المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الرابع والتسعين

١ ابريل سنة ١٩٣٩ م — ١١ صفر سنة ١٣٥٨

المتفجرات

الاساس العلمي للمتفجرات الحربية

النتروجين عنصر اساسي في جميع المكائنات الحيّة ، فلولاه لما نمت ولاستغنت عنهُ مستحيل . ومع ذلك نجد هذا العنصر الحيوي يفوق جميع العناصر الاخرى في تدمير الحياة لأنهُ عنصر اساسي كذلك في جميع المواد المتفجرة تقريباً

فالبارود خليط من نترات البوتاسيوم (سانيتر او ملح البارود) وفحم الخشب والكبريت. وعند ما ينفجر البارود لا يختلف فعلهُ من حيث المبدإ عن احتراق الشمعة . وانما الفرق بينهما ان الاول فعله سريع جداً والآخر بطيء . تؤثر الحرارة العالية في مواد البارود فتتحلل وتتركب تركيباً جديداً . ينطلق الاكسجين من نترات البوتاسيوم ويتحد بفحم الخشب فيتركب ثاني اكسيد الكربون ، وينطلق النتروجين حرًّا . ويتحد البوتاسيوم بالكبريت فيتركب كبريتور البوتاسيوم وجميعها مواد غازية . الا ان الاحتراق والتركيب يحدثان بسرعة عظيمة ، وتتولد الغازات في اثناء التركيب الجديد تولداً سريعاً تلا تتصرف على مهل ، كما يحدث في الغازات الناشئة عن احتراق الشمعة . فاذا كان البارود محصوراً في نطاق ضيق ليس لهُ إلاَّ منفذ صغير ، انفجرت الغازات من هذا المنفذ . ولو احترق البارود في مكان طلق لما حدث الانفجار لأنهُ يتاح لهذه الغازات ان تنطلق وتتمدَّد في الفضاء من جميع النواحي ، فاذا وضع البارود في مدفع او بندقية او ثقب عميق في صخر ، حدث الانفجار لأن هذه الغازات المتولدة من احتراقه تتولد بسرعة وتتمدَّد فتحدث ضغطاً عظيماً فاذا كان المنفذ متقلاً في وجهها مزقت جدران الوعاء الذي يحيط بها

فالمادة المتفجرة هي مادة قوامها جزيئات غير مستقرة التركيب . فاذا صدمت صدمة لطيفة أو عنيفة او اذا قرّب منها لهب مشتعل كان ذلك كافياً لسلبها استقرارها الوقتي فتبدأ ذراتها تتركب تركّباً جديداً تنشأ منهُ الغازات فتحدث الضغط والانفجار او التمزيق

ومن غرائب الامور ان النتروجين في حالته الصرفة عنصر غير فعّال ، يصعب حملهُ على التفاعل مع عناصر اخرى لاحداث مركبات جديدة . ولكنهُ اذا كان داخلاً في مركبات كيميوية تراهُ مستعدًّا ان ينفصل عن الذرّات التي اشترك معها في احداث تلك المركبات ، وهذه الخاصة من خواصهِ تجعلهُ من العناصر التي لا يكاد يستغني عنها في صناعة المتفجرات الشديدة

الامونيا (النوشادر) من مركبات النتروجين التي يحتاج اليها الانسان في ايام السلام ليصنع منها الاسمدة الكيميوية مثلاً ، وهي تصنع بالاسلوب الذي ابتدعهُ الكيمائي الالماني هابر من نتروجين الهواء الصرف . ولكن الحامض النتريك المركّب من جزء من النتروجين وجزء من الايدروجين وثلاثة اجزاء من الاوكسجين ، هو أساس صناعة المتفجرات

ومن ابرع ما وصف بهِ النتروجين كلام للعالم الاميركي ادوين سلوسن Slosson قال : ان فائدة النتروجين في الحرب ترقدُ الى كون ذرّاتهِ تقرُّ من الميدان جملة واحدة . وقد تكون ملايين منها مستقرّة في بندقية او قنبلة مدفع ، فاذا رجَّت او حرقت ارتجفت ذرّات النتروجين ارتجافاً عنيفاً وعندئذٍ يتعذّر حصرها . ثم تسري الرجفة في كتلة المادة المتفجرة كلّها ، فتهجم ذرّات الايدروجين والكربون على ذرات الاوكسجين ، ثم تسرع تبحث عن منفذ تخرج منهُ وهي في حركتها هذه وتناطها تزداد حرارة . ولما كان المنفذ الوحيد في المدفع هو فوهتهُ ولما كانت هذه الفوهة مسدودة وفي الوسع ازالة سدادتها بشيء من القوة ، فأن ضغط هذه الغازات يزيلها فتنطلق من الفوهة وتقذف امامها . واذن فالطلاق المدفع الخارجي يسبقهُ الطلاق داخلي من جزيئات الغازات على مؤخر السدادة او القذيفة والعامل الفعّال في هذا هو ذرة النتروجين المتحدة بذرتين من الاوكسجين . وهذه الطائفة من الذرّات يطلق عليها الكيميوي اسم « طائفة النترو »

في المواد المتفجرة القديمة كالبارود كانت جزيئات النترو NO_2 تستخرج بتولّدها كما قدمنا من نترات البوتاسيوم (ملح البارود) . ولكن عنصر البوتاسيوم نفسهُ غير مرغوب فيهِ في باطن المدفع لانهُ يتلفهُ . ولذلك يستخرج الكيميويون جزيئات « النترو » من نترات البوتاسيوم ثم يضمونها الى مركّب من الكربون والايدروجين يحترق فيولد غازات ولكنهُ لا يترك أثراً وراءهُ . وأشهر هذه المركبات وأبسطها هو مركّب الغليسرين وهو على ما تعلم سائل لزج صافٍ لا لون لهُ ولكن طعمهُ حلو المذاق وهو الذي تمسح بهِ اليدان عند ما تتقشفان

فاذا خلط الغليسرين بالحامض النتريك والحامض الكبريتيك تولّدت مادة تدعى

« نتروغليسرين » وهي مادة ثقيلة كالزيت الثقيل . ويقول الدكتور سلوسن في وصفها « انها مادة يسهل تركيبها ولكنني لا أشير على أحد بعملها إلا اذا كان يؤمن على حياته »

فاذا كان « النتروغليسرين » سائلا كان تناوله ونقله في الصناعة او الحرب شاقا محفوفا بالخطر وتسهيلا لتناوله يخلطه الكيميوي بمادة تمتصه كالنشارة مثلا او بمادة تعرف باسم كيزلجور kieselguhr وهي تراب طيني قوامه بقايا « الدياتوم » وهي أشكال دقيقة من النبات تعيش تحت الماء وتترسب كثيراً من المادة الرملية (سيليكا) . والدياتوم من الاحياء المعروفة في هذا العصر ولكن (الكيزلجور) ليس إلا بقايا كائنات الدياتوم التي كانت حية في العصور المتغلغلة في القدم

فاذا امتصت المادة الترابية النتروغليسرين، صنعت عصيا وتعرف عندئذ باسم « الديناميت » وتستعمل كثيراً في نسف الارض عند شق الطرق في الجبال او فتح المحاجر

ولكن الغليسرين لا يستعمل دائماً في صنع المتفجرات ، ونحن نحله مادة أخرى قوامها النتروجين والايدروجين والاكسجين وهي مادة « السلولوس » وهي المادة الخشبية في النبات وأشهر أشكالها المستعملة في صناعة المتفجرات هي لب الخشب والقطن . فاذا صنعت المتفجرات من القطن عرفت باسم قطن البارود guncotton . ومن غرائب الصناعة ان مادة السلولوس هذه تستعمل في الصناعات السلمية فيصنع منها السكر والورق والحرير الصناعي . ولكنها اذا عولجت بالحامض النتريك والحامض الكبريتيك خرج منها قطن البارود او النتروسلولوس وكلاهما من المتفجرات الشديدة . هذه هي المواد الأساسية في البارود الذي لا دخان له ، وهو البارود الذي له أكبر شأن في الحروب الحديثة . ولكن قطن البارود ، يبدو كالقطن المندوف ولذلك يتعذر حشكه في المدفع فيحوله الكيميون الى مادة عجينية القوام يسهل افراغها في القوالب المطلوب وذلك بحلها في الأثير او الكحول او الاستيون

والاستيون مادة سائلة لا لون لها ولكن رائحتها حريفة وهي شديدة الالتهاب وأهم وجوه استعمالها لحل قطن البارود والسلولويد . فاذا عولج قطن البارود على النحو المتقدم سهل افراغه في قوالب معدنية الشكل او جعله حبوباً مختلفة الحجوم

واذن نحن أمام متفجرين أحدهما سائل وهو النتروغليسرين يجب ان يمتص جسم قابل للامتصاص ، والآخر قطن البارود يجب ان يمتص سائلا حتى يلين ويسهل افراغه في شكل يجعله قابلا للاستعمال . فلماذا لا يمتص أحدهما الآخر فنفوز بمادة مزدوجة التفجر ؟ وهي فكرة معقولة ولكن الفرد نوبل ، صاحب جوائز نوبل المشهورة ، كان أول من فكر في تحقيقها ففاز بما يريد سنة ١٨٧٨ وجنى من ذلك الملايين

ولد الفرد برنارد نوبل في استوكهلم في ٢١ اكتوبر سنة ١٨٣٣ ومات في سان ريمو في ١٠

بسنة ١٨٩٦ في الثالثة والستين من عمره . وبموجب الوصية التي تركها وقف جزءاً من ثروته على ترقية العلم والادب واحكام روابط الوئام الدولية اذ اشترط ان يقسم ريع هذا الوقف خمس جوائز تمنح للمبرزين من الباحثين في ميادين الطبيعيات والكيمياء والطب والادب والسلام

وتبدأ قصة هذه المؤسسة سنة ١٨٤٦ إذ اكتشف اسكانيو سوبريرو من سكان مدينة تورين مادة النتروغليسرين ووصف طريقة تحضيرها في رسالة بعث بها الى اكاديمية العلوم بتورين في فبراير سنة ١٨٤٧ وفيها بسط الصفات التي تجعل هذا المركب مادة متفجرة خطرة. وبعد ذلك ألقى خطبة في مؤتمر علمي ملتئم في البندقية (فينيسيا) فقال فيها : « ولا نستطيع ان نبتّ الآن في الفوائد التي نستطيع جنيها من هذا السائل الذي يتفجر بصدمة » . وعليه ظلّ النتروغليسرين الى اواخر العقد السابع من القرن الماضي تحفة علمية في نظر العلماء وظل استعماله كمادة مفرقعة في حيّز النظر لما تنطوي عليه معالجتهُ من الخطر الداهم

وكانت سنة ١٨٦٧ وكان نوبل قد اخذ يصنع « النتروغليسرين » في معامله . ولكنهُ كان مهدداً بالخطر من كل ناحية . ذلك ان باخرة من البواخر التي كانت في طريقها الى شيلي مشحونة بهذه المادة حدث فيها انفجار وهي في عرض البحر فغرقت بمن عليها . وما حدث لها حدث لسكك الحديد التي كانت تنقل هذه المادة اتفاقاً . حتى معامل نوبل نفسه اصيبت بما اصيبت به الباخرة والسكك الحديدية من قبل فتفجرت المتفرقعات فيها وقتل في الحادث شقيق نوبل الاصغر

قلنا : وكانت سنة ١٨٦٧ وكان نوبل يساعد بعض عماله في تنزيل حمل عربة من عرباته يشتمل على عدة صناديق من النتروغليسرين . وكان أحد هذه الصناديق قد ثقب فخرجت المادة فروّعة على الارض وامتزج قليل منها بالرمل ولم يلبث ان تجمد هذا المزيج . فسرّ نوبل لهذه الصدفة الغريبة لأنها كشفت لهُ عن طريقة تمكنهُ من تحضير النتروغليسرين تحضيراً يمكنهُ من حمله ونقله من غير ان يتعرض للانفجار لدى أقل صدمة يصاب بها . وكذلك صنع الديناميت . وبعد ذلك استنبط مفرقعاً جديداً أقوى فعلاً من الديناميت على انهُ رخو وشفاف كالهلام وذلك بمزج النتروغليسرين بمادة مفرقعة أخرى تدعى قطن البارود . وسنة ١٨٨٩ استنبط باروداً لا دخان لهُ سماهُ بلستيت ومن الديناميت وما تلاهُ من المفرقعات جمع ثروتهُ التي مكنتهُ من أن يصبح محسناً للانسانية بعد مماته

وأدرك نوبل حالاً أثر المفرقعات في الحروب مع انهُ طلبها اولاً للاستعانة بها في فروع الهندسة المختلفة . ولولا اكتشافهُ للديناميت وما تلا الديناميت من المفرقعات لكان التقدم الذي تمّ في فروع الهندسة العملية وأعمال التعدين متعذراً . فان جميع الاعمال الهندسية العظيمة كحفر ترع بناما ، وحفر انفاق القطرات في المدن الكبيرة ، ومد خطوط السكة الحديدية في الجبال ،

وبناء المرافىء الكبيرة وحفر المناجم ، اعتمدت على الديناميت وأشباهه في سرعة انجاز الاعمال

ولكن نوبل كان يدرك ان مستنبطاته ومكتشفاته قد تستعمل في غير الاغراض السلمية التي صنعت لها اولاً اي في الحروب الدولية . وهذا الادراك حلَّ في عقله همًّا تحوَّل الى وسواس جعل أثرهُ يزداد على مرِّ السنين . فصار السعي لاحكام روابط السلام بين الناس موضوع عنايته الاولى والراجح ان إطم والفلسفة لم يكونا حينئذٍ في مقدمة المسائل التي عني بها

بعد هذا الاستطراد نقول انهُ بعد ضمّ النتروغليسرين الى قطن البارود يضاف اليهما قليل من هلام البترول (النازلين) فتعرف المادة الجديدة حينئذٍ باسم الكورديت وهي من اهم المتفجرات الحربية في هذا العصر وهي تعرف باسم كورديت لأنها تجهز بعد معالجتها الكيميوية في شكل حبل Cord . وعلاوة على المتفجرات التي اشرنا اليها وما كان من قبلها هناك صنفان من المتفجرات لهما شأن كبير عند رجال الحرب

هناك مركَّب يدعى الحامض الكربوليك (الفنيك) وهو المستعمل مطهراً . فيومن هذا القيل من المواد التي تقي الكائنات الحية من الفساد . ولكنهُ اذا عولج بالحامض النتريك والحامض الكبريتيك تولدت مادة بلورية صفراء تدعى الحامض البكريك ، والكيميويون يفضلون ان يطلقوا عليها اسم (تراي — نترو — فينول) . والحامض البكريك متفجر شديد ولكنهُ مزج مادة بمادة « الكولوديون » وهي شكل من اشكال قطن البارود . ثم تضغط المادة الجديدة ويطلق عليها اسم يختلف باختلاف البلاد التي تصنع فيها . فالانكليز يدعونها « ليديت » Lyddite والفرنسيون « ميليت » Melinite واليابانيون « شيموز » Schimose

والصنف الآخر من المتفجرات قائم على اساس مادة غير مشهورة شهرة النتليسرين او القطن او الحامض الفنيك وهي مادة تولوول Tolnol المستخرجة من مادة التولوين Toluene وهي من مستقطرات قطران الفحم الحجري . هذه المادة مركب من الكربون والايدروجين وهي شديدة الالتهاب كالبترين فاذا عولجت بالحامض النتريك القوي اجتذبت من الحامض جزيئات « النترو » فتصبح مادة تعرف باسم (تراي — نترو — تولوول) . ولكن هذا الاسم الطويل اختصر بالحروف الاولى من اجزائه الثلاثة فاصبح مادة T.N.T. المتفجرة المشهورة . وهي تمتاز على المتفجرات المصنوعة من الحامض البكريك ، ذلك بأن الحامض البكريك يتلف فلز المدافع وقد يولد مركبات شديدة الاحساس ، فتطلق المادة المتفجرة من تلقاء نفسها احياناً . اما مادة T. N. T. فلا تتفاعل مع فلز المدافع ويسهل حفظها ومن الممكن ان تقرب منها نفاياً مشتعلا او ان تطلق عليها رصاصة مسدَّس فلا تنفجر . ولكن اذا رجَّت رجَّة من ذبذبة معينة انفجرت انفجاراً عنيفاً . يقابل هذا ان تناولها يصبغ اليد صفاً اصفر ويحدث حروقاً فيها وليس بالنادر أن يصاب متناولوها بالتسمم

أغنية الجندول

في كرنفال فينيسيا

لعلي محمود طه المهندس

أين من عينيَّ هاتيك المجالي ... يا عروس البحر، يا حُلْم الخيال
أين عشاقك سُمّار الليالي ... أين من وديك يا مهد الجمال
موكب الحب وعيد الكرنفال ... وسُرى الجندول في عرض الخيال

من كأس يقتضي الكرمُ خمرَهْ
وحبيب يسقي الكأسُ ثغرَهْ
إلتقتْ عيني به أوّلَ مرّهْ
فعرفتُ الحبَّ من أوّلِ نظرهْ

أينَ من عينيَّ هاتيك المجالي ... يا عروسَ البحر، يا حُلْمَ الخيال

مرَّ لي مستضحكاً في قرب ساقي ... يمزجُ الراحَ بأقداحٍ رقاقِ
قد قصدناهُ على غير اتفاقِ ... فنظرنا ، وابتسمنا للتلاقي

وهوَ يَسْعى لي على المفرقِ زَهرَهْ
ويُسوّي بيدِ الفتنةِ شَعْرَهْ
حينَ مسّتْ شفتي أوّلَ قطرَهْ
خلتُهُ ذوّبَ في كأسي عبيرَهْ

أينَ من عينيَّ هاتيك المجالي ... يا عروسَ البحر، يا حُلْمَ الخيال

ذهبيُّ الشعرِ شرقيُّ السماتِ مرحُ الأعطافِ، حلوُ اللفتاتِ
كلّما قلتُ لهُ خذْ قال: هاتِ يا حبيبَ الروحِ، يا أنسَ الحياة

أنا من ضيّعَ في الأوهامِ عُمرَهْ
نَسيَ التاريخَ أو أُنسيَ ذِكرَهْ
غيرَ يومٍ لم يَعُدْ يذكرُ غيرَهْ
يومَ أن قابلتُهُ أوّلَ مرّهْ

أينَ من عينيَّ هاتيكَ المجالي يا عروسَ البحرِ، يا حُلْمَ الخيال

قالَ: من أينَ؟ وأصغى، ورنا قلتُ: من مصرَ، غريبٌ هَهُنا
قالَ: إن كنتَ غريباً فأنا لم تكنْ قبلي لي موطِنا

أينَ مني الآنَ أطيافُ البُحَيْرَهْ
وسماءٌ كسرتِ الشطآنَ نَضرَهْ
منزلي منها على قمّةِ صخرَهْ
ذاتِ عينٍ من عيونِ الماءِ تِبرَهْ

أينَ من لوزانَ هاتيكَ المجالي يا عروسَ البحرِ يا حُلْمَ الخيالِ

قلتُ: والنشوةُ تسري في لساني هِجتَ بي الذكرى، فأينَ الهرمانِ؟
أينَ وادي السحرِ صدّاحَ المغاني؟ أينَ ماءُ النهرِ؟ أينَ الضفّتانِ؟
آهِ لو كنتَ معي فختالُ عِبرَهْ

بشراع تسبح الأنجم إثره
حيث يروي الموج في أرخم نبره
حلم ليلي من يا تسي كبوشره
أين من عيني هاتيك المجالي يا عروس البحر يا حلم الخيال

أيها الملاح قف بين الجور فتنة الدنيا وأحلام الدهور
صفق الموج لولدان وحور يغرقون الليل في ينبوع نور
ما ترى الأغيد وضاء الأسره؟
دق بالساقي وقد أنسلم صدره
ليمحبر لفة بالساعد خضره؟
نبت هذا الليل لا يطلع فجره!
أين من عيني هاتيك المجالي يا عروس البحر يا حلم الخيال

رقص الجندول كالنجم الوضي فاشد يا ملاح بالصوت الشجي
وترنم بالنشيد الوتري هذه الليلة حلم العبقري
شاعت الفرحة فيها والمسره
وجلا الحب على العشاق سره
يمنة يلمي على الماء ويسره
إن للجندول نحت الليل سحره
أين يا فينيسيا تلك المجالي أين غانك ستار الليالي
أين من عيني أطياف الجمالي موكب الغيد وعيد الكرنفال
يا عروس البحر يا حلم الخيال!!

« حامية الفاكهة »

للرسام حسين بدوي عرضت في معرضه بفندق الكونتنتال

[في هذه اللوحة تآلف عجيب بين الجمال وسحر الجمال فتناسب جسم الفتاة وهذا الوضع الذاتي . والحركة الموسيقية . والثوب المتموج بملائمة المنسجم مع الجسم والانشاء الكلي للوحة ؛ اي انسجام — هذه جميعا تآلفها وتناسقا تقف بينيك امام جمال من الخيال المطور بينما تتنقل بروحك الى مسارح الجمال حيث تسمع صداها حلوة موسيقية تعزف احد مقاطع « الخاروفي »]

جامعة فؤاد الاول

تستقبل جلالة الملك فاروق الاول

مغزى الحفلة الجامعية الملكية وأثرها

في يوم ٢٨ فبراير ١٩٣٩ احتفلت جامعة فؤاد الاول في مشهد مهوب جدير بجلالة العلم، باضفاء لقب دكتور فخري على حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول . وهذا الحدث فضلاً عن مكانته التاريخية فان لهُ أثراً عظيماً في توجيه الفكر المصري نحو البحث العلمي وتشجيع حرية الفكر وحث الشباب على المضيّ في البحوث العلمية والعملية المنتجة التي يحتاج اليها الشرق العربي في هذا العصر أشد الاحتياج . فان طابع هذا العصر، وهو طابع المدنية الحديثة التي أخذت مصر بأكثر أسبابها ، انما يحوّل الفكر الى تيار العمل ، ووزن الاشياء العلمية بما لها من الاثر العملي في زيادة الرفاهية البشرية ، وبما لها من المكانة في توسيع آفاق الفكر الانساني . ولا ريب في ان تفضل جلالة الملك المعظم بقبول هذه الاجازة الجامعية السامية دليلٌ على ان جلالتهُ يحيط هذا الاتجاه بتشجيعه السامي ويعزّز في النشء الميول الضرورية للأخذ بالاسباب العلمية البحتة، وجلالتهُ في عمله هذا انما يأثر خطوات المغفور له والده العظيم الذي كان له على الجامعة أكبر الفضل في إنشائها اولاً وتعهدها بما يتمي دوحتها من بعد ذلك . وقد اغرب صاحبا المعالي وزير المعارف ومدير الجامعة عن هذه الحقائق ابلغ تعبير في الخطبتين النفيستين اللتين القياهما في ذلك الحفل الجامعي الملكي الجليل والبك نصهما [محرر المقتطف]

***

خطبة وزير المعارف

مولاي صاحب الجلالة :

ارجو ان تسمحوا لي بأن ارفع الى مقام جلالتكم الأسمى باسم حكومة جلالتكم وباسم مجلس الجامعة وباسم الجامعيين كلهم اساتذة ومتخرجين وطلاباً ابلغ آيات الشكر لتفضلكم

بتشريف هذا الاجتماع وبقبول درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة فؤاد الاول . بل ان عبارات الشكر والحمد يامولاي لتقصر بلغتها دون التعبير عما يجاش نفوسنا وما يفيض بها من عرفان جميل جلالتكم ولما يبدو عليه تعطفكم السامي على الجامعة من معنى كريم

مولاي: لقد تنبى المغفور لهُ والدكم العظيم هذه الجامعة منذ برزت فكرتها الى حيز الوجود فحاطها من عنايته وعطفه بما زادها نمواً واتاحاً وبما جعل معاهدها موضع اعجاب العلماء من مختلف الامم ومحل تقديرهم واكبارهم فلا عجب وقد كان ذلك شأنها أن تحظى من رعاية جلالتكم ومن عطفكم بما حظيت به في كل حين . وان يكون تفضل جلالتكم اليوم بما تفضلتم به عليها مما يزيد رجاءها وابناءها غبطةً وابتهاجاً ومما يجعل المستقبل امامها مشرقاً بالآمال في اطراد نهضتها حتى تبلغ بمصر في اقرب وقت أعز مكان وأكرمه وأسمه

***

مولاي : لقد كانت غاية البلاد من اقامة الجامعة في اوائل هذا القرن العشرين ان تبلغ بمصر بواسطة التعليم الجامعي والبحث العلمي ما بلغتهُ أرقى الامم في سلم الحضارة وان تكشف بنور العلم من اسرار الطبيعة ومن سنة الله في الكون ما يزيدها سلطاناً على الحياة في جانبيها المادي والمعنوي وان تصل بذلك الى المقام الانساني السامي الذي يمكنها من مشاركة الامم في السبق على تقدم الانسانية نحو الكمال . واذا كانت الامم التي سبقتنا الى العلم والتي اتخذت من الجامعات موائل للثقافة العالية قد استطاعت — بفضل جهود الاجيال المتعاقبة من ابنائها — ان تقيم في العالم هذه الحضارة التي زادتهُ بالعلم رخاء ورفعت العلم والأدب والفن فيه مكاناً عليًّا ، فان مصر قد حرصت على ان تسرع الخطى بالاستفادة من تجارب هذه الامم ومن علمها مستعينة لذلك برجال العلم والفن من الاجانب وبالبعوث تفد الى جامعات اوربا ليعود ابناؤنا المصريون اليها بثمرات تحصيلهم وبثمرات تفوقهم وابتكارهم . ولقد وجدت هذه الجامعة من جلالة المغفور له والدكم العظيم اعظم العون لها في هذا وفي ذلك مذ تبناها وليدة الى ان تركها قوية ناهضة تجاهد في سبيل العلم والاصلاح عن طريقه وتصل لتنشر في مصر وفي الشرق العربي كله أنفع الآثار لاحياء الشعوب وان تبث فيها الثقافة الجامعية التي تبعث الى النفوس قوة الايمان الصادق بالحق وتمدها التضحية الخالصة في سبيله

مولاي : لقد كان في مقدور الجامعة ان تكون اسرع سيراً وأغزر في العلم والثقافة انتاجاً لو انها احتفظت بجميع رجالها الذين عادوا اليها بعد ان أوفدتهم كليتها في بعوثها المختلفة والذين أبدوا في السنوات التي اضطلعوا باعباء البحث والتدريس فيها من الكفاية والمقدرة ما يغبطهم

عليه العلماء الممتازون في ارقى الامم وما كان خليقاً ان يقر عازه في لغتنا وبلادنا أحدث ما وصل اليه البحث العلمي في نواحيه المتشعبة . لكن الجامعة ترت ان لا تضن بهؤلاء الرجال على سائر نواحي النشاط في الدولة يرجهوها وجهة صالحة وينشروا في جوها روح التقدم وأساليب التفكير السليم وليهدوا بذلك الى النهوض الصحيح والسير السريع في الطريق السوي . وقد فعلوا. وان من بين رجال الدولة الممتازين اليوم يا مولاي عدداً عظيماً من اولئك الذين يرجع الفضل في استغناء مصر عن معاونة الاجانب في نواحي النشاط التي يعملون فيها واليهم يرجع فضل أعظم من ذلك في النهوض بهذه النواحي الى مقام حاز رضاء المغفور له والدكم العظيم وحاز رضاء جلالتكم وحاز رضاء الأمة

والآن وقد أتيحت هذه الجامعة جامعة فؤاد الاول بأتاً جديداً هو نواة الجامعة التي تقيمن منذ اليوم باسم جلالتكم الكريم وقد بدأ خريجوها ينشئون في مختلف أعمال الدولة والاعمال الحرة ويمضون بها على نحو يتفق وما هو جدير بمن خرجتهم معاهد رعاها والدكم العظيم وهي محل عطفكم وعنايتكم فقد حق للجامعة ان تحتفظ بأبنائها الذين يتولون التدريس والبحث فيها لتتم بهم رسالتها ولتشترك مع جامعات العالم في أداء ما علينا من حق للعلم وللثقافة الانسانية

***

مولاي: ان هذه الامور التي تجول بنفوسنا جميعاً قد تضاعفت اليوم فالجامعيون مستشرون جميعاً بتفضلكم بقبول درجة الجامعة الفخرية العليا وهم يعتبرون هذا اليوم فتحاً للحياة الجامعية مبيناً وأي فتح أعظم من ان تحظى الجامعة بهذه الرعاية السامية من لدن جلالتكم كما حظيت منذ نشأتها بالرعاية السامية من لدن والدكم العظيم

انه لفتح يطمعها في ان تقر ثقافتها على أساس من الايمان بالحق عن طريق العلم الصحيح ونوره وان تضاعف الجهد لترفع اسم مصر في ميادين العلم والادب والفن في ربوع العالم كله

مد الله يا مولاي في حياتكم وأحيا العلم والادب والفن في رحابكم أطيب حياة

وبأذنكم الكريم يا مولاي أختم هذه الكلمة شاكراً لجلالتكم التفضل بسماعها مستأذناً جلالتكم في ان تسمحوا لسعادة مدير الجامعة ان يلقي بين يديكم كلمة الجامعة

***

كلمة مدير الجامعة

مولاي

الى جلالتكم أرفع آيات اغتباط الجامعة لتشريفكم إياها بالزيارة وشكرها الصادق على ان

تفضلتم فرفعتم منها منزلة الشرف وتقلدتم رآسة الأسرة الجامعية على سنة رئيسها الاول وكبيرها الأجل والدكم العظيم رضوان الله عليه

انها ترى في شخصكم الكريم يا مولاي مجد مصر وأملها ماثلين فتستقبلكم وقد استشعرت الاعتزاز بماضيها والثقة بحاضرها والرجاء في مستقبلها

ان الأسرة الجامعية ترى في شخصكم الكريم يا مولاي قوة الشباب ونضرته حقاً لها ان تتيمن بهذا اليوم السعيد الذي يلتقي فيه شباب الملك بشباب العلم تتيمن بهذا اليوم الذي تتلقى فيه يدكم الكريمة لواء الشباب المثقف لترفعه عطياً كريماً يظل طلاب العلم في أقطار الشرق ويهديهم الى مثلهم الأعلى في يحتاج اليه العلم من طموح النفس ونبل الخلق والقدرة على الاحتمال. إن هذا الجيل الناشيء من الجامعيين هو جيل جلالتكم قد عاصركم في النشأة وشاركتكم في الشعور والأمل، وأن مصر تتعرف في جلالتكم ميولكم الديموقراطية الشريفة التي تتجلى آثارها فيما ينبغي أن تتجلى فيه من نظم بعتبار أن المبادىء الديموقراطية هي الوسيلة للتربية السياسية السليمة الناهضة وتعرف في جلالتكم المساواة بين جميع رعاياكم في خضوعكم السامي على حياتهم وأفرادهم وتعرف فيكم الحزم وسداد الرأي. كل أولئك يجعلها تكل اليكم راضية مطمئنة ابناءها تقودونهم الى حيث يبلغون من المجد والعزة والكرامة ما تريدون لوطنكم العزيز

هذه الجامعة يا مولاي التي عرفها كما قدره لها ضمير الامة وفرضه عليها القانون خدمة العلم لذاته وتنشئة الشباب المصري وتثقيفه، هذه الجامعة انما هي من عمل والدكم العظيم تلقاها فكرة تحيش بها النفوس وأملاً يدفع به الشعور بالكرامة الوطنية فحققها وأنشأها معهداً لتربية العقل وتصفية الذوق واذكاء الشعور بواجب مصر لنفسها وللانسانية والعلم. وقد منحها حبه الخالص وأبوته الكريمة وحباها المعونة والتأييد حتى بلغت الى حيث هي الآن فأصبحت مثابة للعلماء وملاذاً للطلاب يفدون اليها من مصر ومن الشرق وكثر عددهم فيها الى حد أشفق منه بعض الكليات على مستوى التعليم فاقترحت الجامعة انشاء فروع في الاسكندرية للحقوق والآداب والطب نواة لجامعة جديدة ستخلف برعاية جلالتكم مدرسة الاسكندرية. وقد شاءت حكمة جلالتكم مشيئة موفقة ان تضاف الى اسمكم الكريم

مولاي: لقد آثر والدكم العظيم جامعته وحباها وابناءها بفضل من عنايته ومكانة ممتازة من قلبه الكبير فآثره الجامعيون بأصفى ما تفيض به القلوب من الحب وأكرم ما تجود به النفوس من الولاء وهم يرون في تفضلكم اليوم بهذا العطف الكريم مضيّاً على سنته ووفاءً بعهده فيملؤهم ذلك غبطة وأملاً ويدفعهم الى ان يؤكدوا لجلالتكم ما أكدوا لوالدكم العظيم من العهد ان يخلص قلوبهم وعقولهم وجهودهم للعلم لا يبتغون بذلك الا مرضاة الحق والملك والوطن

الأساليب العملية

في زراعة النبات بغير تراب

اطلق العلماء لفظ « هيدرو بونكس » Hydroponics الانجليزي على هذا الضرب من الزراعة وهو مؤلف من لفظين اولها «هيدرو» Hydro ويعني ماء والثاني « پونوس » Ponus ويعني عملاً. فاذا شئنا ان نصرف النظر عن استعمال هذا الاسم معرباً صحّ لنا ان نقول «الزراعة المائية» او «زراعة الاحواض» وهما ترجمة اسمين آخرين غير عاميين لهذا الضرب الجديد من الزراعة (١).

اذا زرع النبات في التراب امتصّ غذاءه من المركبات الكيميوية التي في التراب او ما يضاف اليه من اسمدة كيميوية او طبيعية . والنبات يعتمد على الماء في هذا الامتصاص . لأن الماء يحلّ هذه المركبات الكيميوية ويتيحها للجذور في شكل قابل للامتصاص. اما في «زراعة الاحواض» فالجذور تغمس في ماء يضاف اليه الغذاء الكيميوي اللازم لنمو النبات ، فيستغنى عن التراب

يصنع الحوض من الخشب او الاسمنت المسلح او الحديد المطلي بالقَطِران (الأسفلت) . ولا قيد لطوله او عرضه وانما يجب ان يكون عمقهُ نحو ست بوصات. ويجدر بالمبتدىء ان يجعل حوضهُ ست اقدام طولاً وقدمين عرضاً وست بوصات (نصف قدم) عمقاً وذلك لانهُ يسهل عليه عمل الحسابات اللازمة لمقادير المواد الكيميوية التي يحلها في مائه وفقاً للحقائق التي نذيعها في هذا الفصل . ثم يملأ هذا الحوض بخمسة وعشرين جالوناً من الماء . وتوضع علامة ظاهرة على داخل جدار الحوض عند المستوى الذي يبلغهُ هذا الماء وذلك لأن الاحتفاظ بهذا المستوى شرط اساسي من شروط هذا الضرب من الزراعة

ثم يؤتى بشبك من السلك ، تكون كل عين من عيونه بوصة مربعة او نحو ذلك اذا اريدت زراعة النباتات الصغيرة ، ويجب ان تكون نحو بوصتين مربعتين ، اذا اريدت زراعة النبات الكبيرة . ويطلى سلك الشبك بالقَطِران حتى لا تتركب منهُ مواد معدنية قد يحلّ بعضها في السائل المغذي فيغيّر من تركيبه بالتفاعل الكيميوي . ثم يوضع على الحوض بحيث يعلو عن سطح الماء الذي فيه ثلاث بوصات ، لان طبقة الهواء بين الشبك وسطح الماء لازمة لقدر ضروري

(١) راجع على سبيل التمهيد مقال « الزراعة بغير تراب » في مقتطف مارس ١٩٣٩ صفحة ٣٠٩

ن النهوية . ولكن هذه النهوية وحدها غير كافية في زراعة الاحواض فيستطاع دفع مقدار من الهواء في ماء الحوض بمضخة صغيرة كالمضخة التي تستعمل لملء عجل الدراجة عادةً، وذلك بوضع طرفها في الماء وتحريك ذراعها بضع دقائق مرتين كل يوم

على سطح المشبك السلكي يفرش فرشٌ من القش او النشارة وعلى سطحه يوضع غطاء من قماش الصنوبر أو غيره من المواد الناعمة غير القطنية . وكثافة هذا الفرش تختلف باختلاف النبات الذي تنوي زرعهُ . فاذا كنت تنوي ان تذرو البذور على سطحه فمن المستحسن ان تكون كثافتهُ بوصتين . ولكن اذا شئت ان تزرع بصيلات او فروعاً من النبات او « عقلاً » فيجب ان تكون الكثافة من ثلاث بوصات الى اربع

بعد ان تعدّ الحوض والمشبك والفرش وتذر البذور على سطح الفرش او تغرس البصيلات فيه يجب ان تزيد مقدار المحلول الذي في الحوض باضافة الماء اليه حتى تصبح المسافة الفاصلة بين سطحه والمشبك بوصةً واحدة بدلاً من ثلاث بوصات. وهذا ضروريٌّ في البدء فقط وليس بضير المحلول انهُ خفّف باضافة الماء اليه . ولكن بعد ان تكون الجذور المائية البيض يجب ان تحفظ قوة التركيز الأصلية في المحلول وان تبقي المسافة بين سطح الماء والمشبك ثلاث بوصات. واذا كان النبات المزروع في الفرش الذي على المشبك متقدماً في نموّه ، فلا تلبث ان تموت جذور التربة وهي متحللة اللون ، عندما تنمو الجذور المائية . وعلى كل حال يجب ان تعتني بانزال جذور الفروع والنباتات المتقدمة من خلال الفرش حتى يغمرها المحلول المغذي

اما في حالة زرع البذور فيجب ان يرطّب الفرش اولاً ، ثم تنثر البذور على سطحه وتغطى بغطاء خفيف . اما الفروع والعُقَل فتزرع في الفرش كما تلك تزرعها في الارض . وفي نقلها من التراب الى فرش المشبك يجب ان تعنى عناية خاصة بريّ الارض حتى لا تؤذى جذورها عند انتزاعها منها ، ثم بعد انتزاعها من التراب تغسل جذورها مما قد يكون عالقاً بها منهُ . ثم توضع في الفرش بحيث تتصل جذورها بالماء . والبصيلات تزرع في الفرش كما تزرع في الارض فاذا كانت صحيحة لم تلبث حتى تطلق منها جذور سليمة . ويجب ان يبقى الفرش رطباً دائماً ولكن لا يجب ان يكون مشبعاً بالماء

وليس في الوسع ان يضمن النجاح الكامل في هذه التجربة ، لأول وهلة ، وعلى المجرّب ان يبدأ وان يعيد وان يتعلّم بالاختبار كيف تطبّق القواعد العامة على النبات الخاص الذي يجرّب به ، ودرجات الرطوبة والحرارة وغيرها من عوامل البيئة التي يجرّب تجاربهُ فيها فدرجة الحموضة والقلوية في الماء يجب ان تعرف معرفة وثيقة وكذلك تأثيرها في النبات ، وهذا الاخير لا يتاح الا بالاختبار بورق التنوس ، فيزاد من قلوية الماء — او حموضها — او ينقص وفقاً لحاجة

النبات. فاذا كانت درجة القلوية عالية وجب ان يضاف قليل من الحمض النتريك او الحمض الكبريتيك

ثم على المجرّب ان يختار الاملاح اللازمة لغذاء النبات ليحلّها في الماء الذي في الحوض وقد وضع غير واحد من الباحثين قواعد جرت عليها البيوتات التي تبيع البذور فركّبتها ووضعتها في ظروف خاصة تباع . واستعمالها يجب ان يكون تجريبيًّا في البدء ، ليعرف الباحث هل المركّب الذي اختاره يوافق النبات الذي يريد زرعهُ والبيئة التي يزرع فيها ، والى القارىء بعض هذه المركبات

١ — موبو بوتاسيوم فصفات	٧ ½	ملعقة شاي
نترات الجير	٢٠	»
كبريتات المغنيسيوم	١٢ ½	»
كبريتات الالمونيوم	٢ ½	»
٢ — الحمض النتريك (تركيز ٦٩٫٥)	٣٫٨٤	اوقية
ايدروكسيد الالمونيوم (تركيز ٥٨٫٦)	٠٫٨٨	»
الحمض الكبريتيك (تركيز ٩٥)	٠٫٦٧	»
الحمض الفصفوريك (تركيز ٩٠)	١٫٢٩	»
ايدروكسيد البوتاسيوم	٠٫٤٨	»
اوكسيد الكلسيوم	٠٫٤٧	»
اوكسيد المغنيسيوم	٠٫٥٥	»
٣ — فصفات الالمونيوم	½	»
نترات البوتاسيوم	٢ ½	»
نترات الجير	٢ ½	»
كبريتات المغنيسيوم (ملح انكليزي)	١ ½	»

ولعلّ المركّب الثاني هو خير مركّب لتغذية النباتات بوجهٍ عام لأنهُ لم يصنع لنبات معيّن والاوزان المذكورة يجب ان تحلّ في ٢٥ جالوناً من الماء . وواضع هذا المركّب الدكتور آرثر وهو يرى ان يضاف قليل من الحديد واليور والمنغنيس وذلك بصنع محلولات مركزة من كلوريد الحديد ، والحمض البوريك ، وكلوريد المنغنيس . ثم تضاف عشر قطرات من كلوريد الحديد وعشر قطرات من الحمض البوريك وخمس قطرات من كلوريد المنغنيس الى ٢٥ جالوناً من المحلول ، وليس من الضروري ان تكون الاملاح المستعملة في صنع هذا المحلول الغذائي نقية من كل شائبة من الناحية الكيميوية

ويرى واضع المركّب الثالث انهُ يصلح لتغذية اصناف كثيرة من النبات وان وجود ملح

الامونيا (النوشادر) فيه بؤخر زيادة درجة القلوية في المحلول . فيجب أن يضاف قليل من الحديد والبور والمنغنيس والزنك والنحاس . اما الحديد فتؤخذ ملعقة شاي من طرطيرات الحديد وتحل في نحو اربع كيزان من الماء ويضاف ما يملأ فنجان شاي لكل ٢٥ جالوناً من المحلول المغذي مرة في الاسبوع ، او اكثر من مرة اذا بدا لون النبات شاحباً . واما البور فتؤخذ ملعقة شاي من الحمض البوريك وتحل في جالون من الماء ويضاف نحو ثلاث كوبات من هذا السائل الى المحلول المغذي (٢٥ جالوناً) مرة في الاسبوع . واما المنغنيس فتؤخذ ملعقة شاي من كلوريد المنغنيس التي وتحل في جالون من الماء ثم تخفف باضافة جالونين من الماء ويضاف نحو كوبين الى كل ٢٥ جالوناً من المحلول المغذي ، وتعمل العملية نفسها بكبريتات الزنك النقية ويضاف ما يملأ اربع ملاعق شاي من المحلول الى كل ٢٥ جالوناً من المحلول المغذي . اما النحاس فتؤخذ ملعقة شاي من كبريتات النحاس النقية وتحل في جالون ماء ثم تخفف في اربعة جالونات ماء ويضاف ما يملأ ملعقة شاي من هذا السائل الى كل ٢٥ جالوناً من المحلول المغذي

وقد تبسطنا في موضوع اضافة هذه العناصر الى المحلول المغذي لأن النبات يحتاج الى مقادير يسيرة منها لكي ينمو نمواً سويًّا ، علاوة على العناصر التي يستمدها من الماء والهواء

ثم هناك مسألة اخرى . فبعض النباتات يستفد من المحلول المغذي مقادير من عنصر معين اكثر مما تستفده النباتات الاخرى . بل ان النبات الواحد يختلف في ما يستفده من أحد العناصر في دور من أدوار نموه اكثر مما يستفده من العنصر نفسه في دور آخر من حياته . فحتماً تتحقق الماء في فترات دورية ومعرفة ما يحتاج اليه من العناصر التي استفدت منه ، يقترح الباحثون ان يغيَّر المحلول المغذي كلما مرة كل أسبوعين ، وان يلاحظ المجرّب مستوى الماء في الحوض فيضيف اليه ما يبقي سطحه عند المستوى المطلوب

وعندما يفرغ الحوض في آخر فترة الأسبوعين ، يجب ان يوضع فيه أولاً نصف مقدار الماء (اي ١٢ جالوناً ونصف جالون) ثم تضاف المركبات الكيميوية اللازمة اليه ، ثم يضاف المقدار اللازم من الماء لرفع سطح المحلول الى المستوى المطلوب . ويجب تغيير النبات بصحوق الكبريت لوقايته من بعض الآفات . وقد نجحت التجارب التي أجريت حتى الآن في الدلالة على ان هذا النوع من الزراعة يصيب نجاحاً كبيراً في الشمام والبطيخ والنجر والجزر وان الورد و «الكرزانثم» و «البيجونيا» و «الجلاديولي» وغيرها تصيب نجاحاً يبعث على الرضا

إن هذا الأسلوب الجديد في الزراعة يفتح أمام الباحثين ميادين واسعة للتجربة والاختبار . ولا يبعد ان يعمد الباحثون بعد ان تتقن وسائله الى استنباط وسائل جديدة للتحكم باللون والنكهة والرائحة . فالزراعة المائية تهيء لهم السبيل لتجارب دقيقة كانت متعذرة في الزراعة في التراب

البحث الرابع

خليل مطران

شاعر العربية الإبداعية

الدكتور اسماعيل احمد ارقم
عضو اكاديمية العلوم الروسية ووكيل المعهد
الروسي للدراسات الاسلامية

شعر مطران وطابعه العالمي

﴿ توطئة ﴾ الجيل الذي نشأ فيه الخليل هو في الحقيقة جيل تداخلت فيه عصور نيابة ، فهو من هذه الناحية ليس بجيل واحد تتناسق فيه الأوضاع والأحوال وان اجتمعت في نطاق واحد من الزمان . هذا الجيل الذي انصرم بانصرام القرن التاسع عشر نسيج لون من الزمن لم ير تاريخ المشرق له مثيلاً من قبل الا في القرن الثاني للهجرة من حيث تداخلت في ذلك العصر أجيال متباينة الألوان وأوضاع مختلفة الأشكال . غير ان هذا الجيل الذي دخل في صفحة التاريخ اجتمعت فيه ثقافات وحضارات — ثقافات العرب المتوارثة عن العصور المختلفة ، والتي تكوّن ثقافة ذلك الجيل التقليدية ، وحضارات الغرب الطارئة وثقافاته التي كانت تنعكس في صورها المتباينة على محيط الجماعة في ذلك الحين — جعلتهُ مضطرباً ، ومنطوياً على أجيال في تضاعيفه

ونحن لا يهمنا من هذا الجيل غير ما اتصل بالخليل من أسبابه . فكوّن بيئتهُ المكانية من الزمان . وخليل مطران وان ولد في الجيل الثالث من القرن التاسع عشر ، فقد نشأ بين ذلك الجيل والجيل الذي لحقه المنقضي بانقضاء القرن الماضي . ثم إنهُ وان ماشى الجيل الأول من قرنا هذا في اتجاهاته فإن شخصيته تقومت بأسباب الجيل الذي نشأ فيه . ذلك ان الانسان ابن نشأته ووليد بيئته الأولى . لأنهُ من الساعة التي يولد فيها حتى يودع أيام الطفولة فان افعاله العكسية الأصيلة هي التي تتحكم في سلوكه مستمدة الأسباب مباشرة من جهازه العصبي ، تلك الأفعال — التي كانت تعرف من قبل بقوانين الطبع وأحكام الغريزة — والتي تكون مطواعة في طفولة الانسان للمؤثرات التي تنطوي عليها بيئتهُ المكانية من الزمان ، والتي تستمر دوافعه

الأولية على الحركة من قواسر الطبع وأحكام الغريزة . والانسان يخرج من طفولته تحت تأثير هذه العوامل مصبوباً في قالب تتكوّن شخصيته استناداً اليه . هذا القالب يكافىء الحالات التي أحاطت به من جهة ، والدوافع المستزلة من جبلته والتي تحركه من جهة أخرى

ونظراً لأنه في الحالات الاعتيادية تكون الأسباب الطبيعية في تداخلها بالمؤثرات التي تنزل من الجماعة منتهية الى حالة واحدة عامة بالنسبة لأفراد الجماعة البشرية في فترة من الزمان ، فان الناس يخرجون مصبوبين في قالب معيّن . وبعد ذلك فلكل شخص من الجماعة مقوماته الذاتيّة المستزلة من دوافعه الشخصية التي تدخل في التكافؤ مع الجو الذي يعيش في ظله ، والتي تتكوّن شخصيته استناداً اليها

ولما كانت المؤثرات التي تتفاعل في قلب المجتمع البشري لا تثبت على صورة واحدة ، وتتحول من جيل الى جيل بما يستجد مع الزمن في محيط الجماعة من العوامل والمؤثرات ، وتتغاير من قبيل الى قبيل بما يقوم من الانفعالات بروح الجماعات ، فان الحالات الخارجية بالقياس الى الانسان تتغاير ، وتتغاير تبعاً لها المحيط الاجتماعي فتأثر بتغيرها الجماعة التي تعيش في ظل المحيط وتتنفس في أجوائه . وبعد فعصر الخليل من حيث هو جيل تداخلت فيه عصور متباينة ، فهو من هذه الناحية في روحه ، يتكافأ مع صورة كل عصر من هذه العصور التي داخلت الجماعة المتأثرة باسبابها

***

اذن ليس لنا أن ندخل في تفاصيل دقيقة على العصر الذي ولد فيه الخليل ، والعصر الذي نشأ فيه ، ونسهب في وصفهما واستقصاء حوادثهما ووقائعهما لان الذي يعنينا من هذه الفترة ما اتصل بشخص الخليل من أسبابه ، وهي مستزلة من طابع الجماعة العام ، التي عاش الخليل في ظلها وتنفس النسمات الأولى في أجوائها ، ثم الخلوص بحقيقة ما اتصل من العصر بشخص الخليل خلوص بالعوامل التي تفاعلت مع شخصه فكانت سبباً في تكوين شخصيته

ولا شك ان خليل مطران وقد تقلب في أجواء مختلفة بعد ان اكتملت شخصيته ، في موطنه بلبنان وفي تونس وفي باريس التي رحل اليها ، وفي مصر التي استقر بها اخيراً فإن شخصيته مهما تظهر خاضعة للاحوال التي استجدت عليه في العوالم الجديدة التي عاش فيها وتقلب ، فان هذا الخضوع كان في حقيقته مماشاة لتلك الاحوال ، وبعد فشخصية مطران التي تكوّنت تحت تأثير التفاعل بين دوافعه الأولية وأسباب محيطه الدائر وبيئته الأولى ، هي التي تظهر في خلجات نفسه وفي منحى تأثره بالاشياء طيلة حياته

قد تبدو هذه الفكرات الاولية غريبة على ابناء العربية الا انها في صميمها تستند الى حقائق

ذاتية من علم النفس التجريبي ، حققتها معامل بحث التشخيصي للنفس في روسيا وأميركا بتجارب دقيقة [1] وإذن يكون في الوسع ملاحظة القوى الخفية التي تفاعل في أطواء النفس البشرية ووجه تفاعلها ، كما يكون في الوسع النزول بالشخصية عند الانسان الى حكم الموازنة العصبية ، وبيان وجه تركز هذه الموازنة في النفس العكبي الأصيل وما تحول عنهُ من ارتفاقات كوّنت الفعل العكبي المتأصل ، والخلوص من ذلك كله بحقيقة الشخصية الانسانية . ولاشك أنّ ملاحظة أسباب البيئة التي تدخل في مكافأة مع الدوافع الأولية عند الانسان ، الجانب الاكبر من القيمة في معرفة الشخصية الانسانية ، من حيث تحدث الارتفاقات في الرجوع الاصيلة عند الانسان

ومثل هذا التفكير يجهزنا بتكأة علمية لدراسة عصر الخليل نفسه ، بل لتفهم من عصر الرجل شخصيته على وجه علميّ مستنزل من قواعد واصول ، تفضي بنا الى أغوار النفس البشرية وتجعلنا على اتصال بسر المعاني والافكار ، وكيف تتدفق في أطواء النفس البشرية ، بملاحظة آثار الرجل والخلجات التي تظهر في آثاره . الا ان مثل هذا النظر يعتبر مبالغة في اتخاذ الجانب العلمي كما وان تطبيقه على درس الآداب يعتبر انصرافاً عن النقد الفني المباشر الموجه للآداب الى بحث حقيقتها والعوامل التي تفاعلت فكيّفتها على هذه الصورة . الا ان هذه الاعتبارات حائطة لان مثل هذه الدراسة وان قامت على أسس من التحليل يخشى معها انقلاب البحث الأدبي علماً تحليليًّا صرفاً فهي من حيث أنها لا تنسى الاعتبارات الفنية لا تفقد الروح الفنية

هذا المنهج في البحث هو الذي يقتضيه منطق الامور . وإذن لاوجه للاعتراض عليه — كما يفعل البعض — بأنهُ يقتل النقد الفني . لأن الآثار الادبية والفنية ، ان كانت تعكس فيها ظلال روح العصر ، فهي نتيجة للمقدمات الخفية التي تفاعلت في أطواء النفس حيناً حتى برزت ، واذن تكون مهمة النقد الكشف عنها في أصولها ومقدماتها وليس معنى هذا ان يكون درس الأدب علميًّا الاسباب التي تمخض عنهُ ، لانهُ لا يعني اغفال شأن الاعتبارات الفنية . فمثل هذا التفكير لا يؤدي الى رفض ما هو مجرد واحلال كل ما هو نسبي ، وانما هو يعمل للكشف عن الأسس النسبية التي يتقوّم بها هذا المجرد المنتزع من اعيان الاشياء النسبية في صورها المختلفة وأشكالها المتباينة . والواقع انهُ ليس هنالك في الحقيقة ما هو مجرد ، وانما كل ما هنالك تحول دائم وصيرورة متواصلة وتعاقب لانهاية له من الفعل وردّ الفعل ، تأخذ الاوضاع النسبية منها الاشياء ، ثم تراجع القسط المشترك منها ، وهو المجرد المنتزع من أعيان تباينة الأوضاع

هذه أوليات لم نجد بدًّا من الكلام عليها والاستطراد فيها قليلاً ، لنمهد بأساس لدراستنا لعصر الخليل ، وما يستنزل من أسباب شخصيته منها ، وما تقوّم من أدبه وفنه بها

(١) تجارب بالطوف وورانديك وانظر على وجه خاص آثار ماكدوجل عالم النفس المشهور

— ١ —

ولد خليل جبران سنة ١٨٨١ في بشرى . فهو في ثلاثة وثلاثين من سني حياته وهذه السنون التي جاوزت جيلين من الزمان تمتاز بما انعكس على صفحتها من مختلف الاحساسات المتناقضة ومتباين المشاعر المتضاربة . وقد كانت هذه الانفعالات كلها تأخذ في ظهورها على صفحة العصر صوراً متباينة وأشكالاً مختلفة نتيجة لتقلقل الذي أصاب المجتمع في صميمه ، وهذه طبيعة عصور الانتقال في التاريخ دائماً

إذن نحن إزاء عصر انتقال ، وأظهر سمات هذا العصر تداخل الثقافتين الشرقية والغربية وتشابكهما . ويمكننا أن نتخذ سنة ١٨٦٠ التي كانت بحوادثها الدامية وما أفضت اليه من استقلال جبل لبنان استقلالاً داخلياً ضمن نطاق الدولة العثمانية ، نقطة ارتكاز لدراسة عصر الجبل . فإن هذه السنة تعتبر حداً فاصلاً بين عهدين في تاريخ سوريا ولبنان . وتعتبر الفترة التي سبقت عام ١٨٦٠ فترة انتقال من عصور الانحطاط الى عصر النهضة الأولى التي ظهرت معالمها الأولى بقوة في ذلك التاريخ في الشرق الأدنى

لقد كان عهد الانحطاط الثقافي في سوريا يشمل فترة من الزمن تمتد من أيام سقوط العرب عن عرش الخلافة الاسلامية في بغداد وتنتهي بغزوة نابليون بونابرت عام ١٧٩٩ لمصر واجتياحه بعد ذلك أودية سوريا الجنوبية حتى أسوار عكا . وكانت حملة نابليون مقدمة لإيقاظ أهل سوريا ولبنان . فقد أحسوا بآثار المدنية الأوربية في صورها الثقافية والسورية والمعاشية . ثم بدأت الصلات تتعزز بين القطر السوري وأوربا وأخذت التجارة وحب التعامل مع الشرق يجذبان بعض الغربيين الى التوافد على الثغور السورية تحدوهم الرغبة من جهة في فتح أسواق جديدة أمام التجارة الأوربية والحصول على مواد أولية من هذه الأسواق من جهة أخرى

والسوريون أهل تجارة من قديم الزمان . بل هم أول من ركبوا السفن وخاضوا عباب البحر وضربوا بالقوافل شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وامتدت تجارتهم من الهند الى أسبانيا وساروا بسفن سليمان ومن بعده بسفن فراعنة مصر الى جنوبي افريقية . وتقلبت الأحوال وكرّت القرون وأهل سوريا لم ينفكوا عن التجارة براً وبحراً . فلما اتصلت بهم أسباب التجارة بأوربا في أوائل القرن التاسع عشر وكان الأمر في سوريا قد استتب للأمير بشير الشهابي المعروف بالكبير ثم لابراهيم باشا ابن محمد علي باشا عزيز مصر ، عاد الناس الى الزراعة والتجارة ، فثقبوا أراضي الساحل وزرعوا فيها التوت وربوا دودة القز وعنوا بها الى فرنسا فانتعشت الحالة الاقتصادية وسارت القوافل من الجمال والبغال تنقل بضائع المشرق من العراق الى دمشق ومنها الى الثغور السورية على ساحل البحر

كما وأنها كانت تحمل بضائع أوربا الى داخلية البلاد وعنها الى إيران حتى تنتهي الى الهند. فلا ترى بلدة إلا وتسمع غناء المكارين يحدون جمالهم وأجراس بناغم تحيي طلعة الليل وتطرب آذان النيام وتنشر لرخاء عيش جانب كبير من السكان. بخلة جرى عليها أهل الشام من عهد الفينيقيين واشتروا عليها أكثر من ثلاثة آلاف عام يسعدون بها آونة ويشقون أخرى والدهر في الناس قلب[1]

وكان أمراء لبنان قد ذاقوا لذة الراحة بعد طول الكفاح وباروا الفلاحين وسبقوهم في زراعة التوت وتربية دودة القز فصارت مزارعهم في البقاع التي تنتهي عند حدود بعلبك تأتيهم بما يحتاجون اليه من الحبوب وحراجهم في الجبل تسوم فيها قطعانهم ومواشيهم وبساتينهم في الساحل يربى فيها الدود ويعصر من زيتونها الزيت فتمتعوا برفاه العيش وظهر ذلك في أعراسهم وما تمم. وكانت كثرة الخير في هذه الفترة من الزمن سبباً للالتفات للأرض فكثرت غلاتها وتحسن ما تنتجه من ... كان العصر عصر رخاء مادي، استتب فيه الأمن والنظام واستقرت الأمور على حال واطمأن الناس الى حياتهم. وكانت الصلات بين أوربا وسوريا تقوى مع الزمن وتتطور الى صلات ثقافية، وأخذت البعوث تتوافد على الثغور السورية والارساليات تتزاحم، والفكر يجدوه رغبة في نشر الثقافة الأوربية ومن ورائه بعضها الرغبة في تبشير بالمعتقدات والمذاهب، او العمل على نشر اللغات الأوربية، مقدمة لانشاء نفوذ يكون باباً لاستعمار بلدان الشرق الأدنى

كانت حملة نابليون على مصر وحروب ابراهيم باشا مع جيوش السلطان وفتحه لسوريا باعثاً على اهتمام أوربا بالشرق الأدنى واستيقاظ الشرق. وهكذا فعلت الحوادث فعلها في الربط بين العالمين

كان الاتصال بين الشرق الادنى وأوربا سبباً لنشوء حركة جديدة أخذت تستجمع الاسباب للظهور، غير ان مبادئها الأولى بدت في آثار فارس الشدياق قبل عام ١٨٦٠، الا أنها لم تظهر مستجمعة الأسباب للظهور بقوة الا بعد عام ١٨٦٠ في آثار كتاب لبنان، وربما كانت الحوادث الحيل يد في ظهور الحركة الجديدة بقوة. غير أنه يجانب هذه الحركة ظهرت حركة مضادة لها تميل للرجوع الى الماضي محاولة احياء تراث العباسيين والأندلسيين ومن هنا كانت هذه الحركة بالقياس الى الحركة الأولى رجعية، لأنها كانت تستجمع الأسباب من الماضي السحيق وتعمل على ان تصلها بالحاضر لتقيم عليه صرح المستقبل. هذه الحركة المحافظة بدأت وجودها كرد فعل لحركة الجديد[2] وانتهت محاولة جريئة على يد الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠-١٨٧١) لنقل الأدب العربي من ناحية الأغراض التقليدية التي انتهى اليها في عصور الانحطاط

(١) يعقوب صروف في امير لبنان ص٢٧-٢٨ (٢) جورجي زيدان في تاريخ الآداب العربية ج ٤ ص٣١

الى ناحية الأغراض العربية الصحيحة التي كانت على أيام الازدهار للعبقرية العربيّة . ونحج اليازجي ومن بعده ابنه ابراهيم في أن يعيدا للغة العربية قوتها القديمة وبلاغتها السالفة . كما نحج الشيخ نصيف في أن يرجع بديباجة الشعر العربي الى الديباجة العباسية والأموية ومن هنا كانت حركة الإحياء العظيمة لآثار الماضي التي تركت اكبر الآثار في نهضة مصر في ذلك الحين

عادت العربية الجزلة والديباجة القديمة للحياة ، ولكن عادت والاستقرار اساسها ، وظهر بجانب الميل لبعث تراث الماضي والمحافظة عليه في البيئات الإسلامية ، ميل للتخلي عن هذا التراث خصوصاً في بيئات المسيحيين من أهل الجبل ، وذلك تحت تأثير الاتصال الوثيق بأوروبا المسيحيّة

***

كان ضعف الدولة العثمانية سبباً لأن تلعب بها أهواء الاستهارين . وأصبحت محط انظار الطامعين بالاستقلال يشؤون البلاد، وكانت مصر في شبه استقلال عن الدولة، وكانت الثورات والفتن تقوم بين الحين والحين في أنحاء الدولة العلية . وبالجملة كان رأس الدولة قد سرى فيه الفساد ، وكان من معالم سريان هذا الفساد ان أدرك بعض الطامعين في دست الحكم ما يحيش بلبنان من الأحقاد والضغائن وان ساعة الفتنة قريبة فكتموا لها بالتحريض والتشويق بحدوهم الرغبة في احراج الحكومة القائمة عبر البسفور في أستانبول اذا قامت الفتنة وبحركت أوروبا . ومن هنا كانت مساعدة أصحاب الغرض من العسكريين للدروز على النصارى والنصارى على الدروز . ومن هنا شبّت النار وانتشر حريق الحرب الأهلية وتعددت المعارك حدود الجبل بتشويق أصحاب الغرض فشملت سوريا ، وكان ان تحول الصراع الى قتال ضد النصرانية في كل القطر الشامي[1]

وتدخلت فرنسا واوصلت قواتها وانتهت هذه الحوادث بعد ان ذهب ضحية لها آلاف الأرواح الى إنشاء استقلال داخلي لجبل أرض نزعة اللبنانيين الاستقلالية وأشعرهم بكرامتهم الذاتيّة

وقد وقفت حوادث الجبل هذه بجانب الشعور الاقليمي المتوارث عن الآباء سبباً لانعزال الشعور اللبناني عن المحيط العربي ورجعت الى لبنان شخصيته تنفض عنها غبارها علق بها من العروبة. وكذلك كان لحوادث الجبل الفضل في اظهار الشخصية اللبنانية للحياة من جديد من حيث حملها على تقطيع ما كان ينشأها من العقلية العربية[2]

---

(١) يعقوب صروف في امير لبنان ٣٣ و ٣٤ و ٥٥ و ٧١

(٢) انظر Danwiki في بحثه Hist. des Maronites

— ٢ —

ان لحوادث الجبل التي جرت عام ١٨٦٠ مدلولها البليغ من ناحية مقدماتها التي تدل على اضطراب شأن الدولة العثمانية ومن ناحية نتائجها التي سارت لبنان الى الأخذ بالثقافة الاوربية والعمل على نشرها . والواقع ان هذه الحوادث كانت نقطة تحول خطير في تاريخ الماروني في الشرق ، اذ دفعهم نحو الغرب ، فكانوا رسل ثقافتها بعد جيل من تلك الحوادث في الشرق الأدنى . والواقع كما يقول الدكتور صروف :

[شهال لبنان مقر الردة ومعقل رجال الدين . عصى فيه مرسل الروم ولم يخضع لقضاء المسلمين بل كان يلازمهم السلطة في بلاد الشام . وكان لامرائه السيادة المطلقة بين أورشليم الى انطاكية يحاربون في أمة كما يحارب الاكفاء بعضهم بعضاً ، واستمروا على ذلك الى ان وقع الخلاف الديني بينهم وبين أرثوذكس القسطنطينية فعادوا الروم الغرب عليهم ، وتوالت السنون وهم لا يربحون قوة ولا تزيد بلادهم اتساعاً . فضعف شأن الامراء وزيد الخراج حتى اقرضوا وبقيت السيادة لرجال الدين لأنهم يتجددون ولا تحاب فيهم . فديرهم في كل مقاطعة ، وصاروا يحتلون كثيراً من أملاك البلاد .] (١)

وأنت ترى ان الماروني ظلوا محتفظين بكيانهم الشخصي في ذرى جبال لبنان ، لم تؤثر في تكوينهم الأحداث التي مرت في كيان الشرق في عشرات القرون الثوانية التي كرت عليه . غير انهم تأثروا بالثقافة العربية التي سحبت في ان نزولهم من حيث عاشوا جزيرة في بحر عربي متلاطم . فأخذوا اللغة العربية غير انهم ملؤوها فكانت لهجتهم اللبنانية الصميمة امتداداً لأحكام نطقهم في خلجاتها الدقيقة وفي نبراتها . والواقع ان كل شيء في الجبل كان عميق الاتصال بروحها ، غير ان الاخيلة العربية التي كانت تحملها اللغة العربية كانت تلقي ظلالاً على العقلية اللبنانية وتكسب خلجاتها ونبراتها الاصيلة في قالب يطغى عليه الشكل العربي ومن هنا كان لبنان في روحه محض لبناني اما في الشكل فكان عربياً (٢)

غير ان حوادث الجبل حين تركت في النفوس أثرها دفعت اللبنانيين الى قطيعة العرب والابتعاد عن العروبة . وكان يساعد على ذلك استقلال داخلي للجبل في نطاق سوريا الكبرى ، اذ جعل له بحسب نصوص مؤتمر بيروت الذي انعقد من ممثلي الدول الست الموقعة على معاهدة بيروت ، حكومة منظمة في جبل لبنان يؤمن بها من العودة الى ما كان من الحوادث . وكان الاتفاق ان يتولى ادارة الجبل متصرف مسيحي تختاره الدولة العثمانية بالاتفاق مع سفراء انجلترا وفرنسا وروسيا ويساعده مجلس ادارة ينتخب اعضاءه سكان الجبل فهو كمجلس الشورى في البلدان الدستورية ، وقرروا للجبل دستوراً في غاية من الدقة وقررت فيه المساواة التامة بين جميع سكانه وانعقدت جلسات المؤتمر في اوائل مارس سنة ١٨٦١ لتطبيق هذا النظام (٣)

---

(١) الدكتور يعقوب صروف في امير لبنان ص ٣٣

(٢) A. Bikham في تقاليد الشرق الادنى مجلة مجمع الفكر م ٣ ج ٤ ص ٣١٤ — ٣١٥

(٣) الدكتور يعقوب صروف في امير لبنان ص ١١٦ — ١١٧

ان هذه المركزية الخاصة بشؤون الجيل التي تعود لأهلها ومجلس ادارتها المنتخب الذي يساعد المتصرف ، فصلت بين الجبل وبين العالم العربي بحواجز اقتصادية وسياسية ، وكان ان بقي نظام القرية والاشارة المذهبية على أساس من الوحدة جبل لبنان ، فكان نتيجة ذلك كما يقول العلامة الاستاذ انيس المقدسي

[حركة النهضة الحديثة (١٨٦٠) في البلاد السورية وسعيها الى استقلال لبنان الداخلي تركت صفة خاصة في الادب العربي تجلى ان هذه الحركة في الادب ظاهرتين كبيرتين — الاولى تمثيل الطرازات الدينية بين ابناء سوريا — تلك الطرازات التي كانت ولا تزال من أهم بواعث التفاق في الشرق والثانية انفصال لبنان عن السلطة العثمانية بكيان سياسي خاص مضمون من الدول العظمى . فصار اللبناني يشعر بكرامته الذاتية ويتذوق حلاوة الاستقلال وفي ذلك الظاهرتين تكون في نفسه ذلك الشعور الاقليمي في سبيل الوحدة العربية

ومن يراجع دواوين الادباء اللبنانيين هذه الخمسين السنة الاخيرة يرَ شعور ذلك الشعور برغم جميع الوسائل التي كانت تستخدم لاضعافه ولا ينكر ان بعض اللبنانيين أخذ بعد الحرب الكبرى يشرح نزعة وطنية ضامة ولكن الشعور القديم الموروث عن آبائهم والمستمد من استقلال لبنان بعد السنة الستين لا يزال قوياً] (١)

وجاء استقلال لبنان الداخلي سبباً لتأسيس الكليات والمدارس التي تنافس المرسلون من اليسوعيين والاميركيين في اقامتها في بيروت . كما كان التنافس على أشده في الجيل لانشاء المدارس والمعاهد . وفي الفترة التي انقضت من عام ١٨٦٥ الى عام ١٨٧٥ ، أعني فترة عشر سنين من التي عقبت استقرار الاحوال في لبنان شهدت بيروت وضع الحجر الأساسي لأربع كليات جامعة ، وكان الاب جرجس عيسى من الطائفة اليونانية الكاثوليكية اول من شق الطريق في تأسيس الكليات إذ وضع في تلك السنة الحجر الاساسي لمكتبة البطريركية في بيروت التي افتتحت عام ١٨٩٦ والتي كان من خريجيها شاعرنا الخليل . وفي السنة نفسها افتتح الاميركيون ابواب الكلية السورية الانجيلية المعروفة الآن باسم « الجامعة الاميركية » في بيروت . ثم أقام اليسوعيون جامعتهم الكبيرة عام ١٨٧٥ . وفي السنة نفسها وضع المسيو جان دبس الحجر الاساسي في كلية الحكمة . وكان تأثير انشاء هذه الكليات الجامعية في النشء اللبناني والسوري بليغاً من حيث عمل على تثقيفه على الطرائق الاوربية وانشاء الصلة بينه وبين الآداب الغربية . ولما كان هناك بجانب هذه الكليات عشرات من المدارس التي اقامها المرسلون في الجبل وفي انحاء لبنان وسوريا أخذ التصادم بين الثقافتين الشرقية والغربية يميل الى الثقافة الغربية التي كانت تسيغ على النشء السوري والجيل الجديد في لبنان صور الثقافتين اللاتينية والسكسونية التي كانت قد استقرت في ذرى لبنان وفي انشاطيه (٢)

على ان شعور الانعزال عن العالم العربي في لبنان بجانب مدّ المدنية والحضارة الغربية الجارف

---

(١) أنيس المقدسي المقتطف ، ج ١٢ ج ٣ ص ٣٠٠

(٢) K. T. Khairallah في La Syrie طبعة Ernst Leroux ، باريس ١٩١٢ ص ٣٢ — ٦٨

عمل على تنشيط العقلية العربية في اهل لبنان ، تلك العقلية التي كانت مسدلة اسدافها على اللبنانيين حجبة شعورهم في القالب العربي : وللمرة الأولى في تاريخ لبنان نجح اللبنانيون في ان يظهروا شعورهم وخلجاتهم على حقيقتها في آثارهم ، مستمدة أسبابها من محيطهم الطبيعي . غير ان هذه الخلجات كانت تظهر مشوبة بالشكل الغربي نتيجة لما تركته الثقافة الغربية فيهم من الأثر . غير ان هذا الطابع الغربي أخذ يضعف في لبنان حتى كانت فترة ما بعد الحرب ، فانطلق الشعور اللبناني حراً متغلباً على الاحوال التي تتركها عليها أسباب محيطها الطبيعي

وليس لنا أن ندخل في تفاصيل عن هذه الحقائق ، فما يهمنا في بحثنا لعصر الخليل من هذا الموضوع ، غير شأن واحد ، هو تقطع الثقافة العربية ممثلة في الحلقات العربية التي كانت غالبة على اهل لبنان الى عام ١٨٦٠ من حيث كان كل من يثقف منهم يقع تحت تأثير المتون العربية فينصبّ شعوره في القالب العربي

كان هذا العصر من أزهى العصور التي عرفها تاريخ لبنان . فقد أنجحت محاولة اليازجي الكبير وابنه ابراهيم في ان ترجع باللغة العربية الى جزالتها القديمة وبالشعر العربي الى ديباجته الجاهلية والاموية ، ثم كانت الاحداث التي وجهت جانب الجديد في جوّ لبنان ، فرأينا محاولات في سبيل تمثيل العناصر ذات القيمة في الآداب والفنون والعلوم العربية وقد حمل اللواء في هذا الغرض بطرس البستاني (١٨١٩ — ١٨٩٣) الذي حاول اعادة علوم الماضي في دائرة معارف كانت الأولى من نوعها في تاريخ اللغة العربية ، وفي قاموس (محيط المحيط) الجامع الى جانب غزارة المادة جمال التنسيق . ولقد سار في هذا الطريق من بعده ابنهُ وأحد ابناء عمومته سليمان — فأضاف الى ما تركه بطرس البستاني من الدائرة اربعة اجزاء . وعمل سليمان البستاني (١٨٥٦ — ١٩٢٥) في هذا الميدان ورأى بثاقب نظره ان تطور الأدب العربي وقف على ما يلقح به من طرف الآداب الغربية الكلاسيكية فقام بترجمة (الالياذة) من اللغة اليونانية الى اللغة العربية شعراً في قالب يستطيع تمثيله العالم العربي[1]

اذن فنحن في ذلك العصر ازاء بيئات متباينة تتدرج من بيئة المدرسة القديمة التي ترجع الى ايام الازدهار للعدنية العربية تستوحي منها أخيلتها ، الى بيئة المدرسة القديمة التي تمثل عصور الانحطاط للعدنية العربية ، الى بيئة مدرسة تخلصت من آثار عهود الانحطاط واتصلت بموجة الغرب ومن هنا عملت على ان تقتبس من الغرب الى الحدّ الذي يستطيع المحيط في ذلك العصر تمثيله . الى بيئة أنكرت كل ما كان من الماضي وقطعت صلاتها باصول الثقافة العربية التقليدية ومشت سراعاً وراء الثقافة الغربية تحاول ان تقيمها في عالم الشرق الادنى . على ان هذه البيئات كانت

(١) H. A. R. Gibb في B. S. O. S. م ٤ (١٩٢٨) ص ٧٥

تقوى وتضعف بحسب ما تقوم من الاحداث والاسباب

يتحدث خير المتخير الله من كتّاب سوريا المعروفين في كتابه « سوريا » المطبوع بباريس عام ١٩١٢ عن البيئات الجديدة في سوريا ، وهو يذكر منها البيئة الانجليزية والبريطانية والروسية والجرمانية والسكسونية واللاتينية ، الا أنه يتحدث عن غلبة مد البيئة اللاتينية في سوريا ولبنان على غيرها من البيئات الجديدة . والواقع ان البيئة اللاتينية كانت متغلبة في اواخر القرن الماضي في لبنان على كل شيء حتى على البيئة العربية ، وكيف لا تتغلب الثقافة الفرنسية وكل المبادىء والشؤون والفنون كانت تدرس في مدارس الارساليات على العموم باللغة الفرنسية ، ومن هنا خرج ابناء الجيل الجديد في لبنان متشربين الثقافة اللاتينية ومن هنا كانت ميولهم نحو الفرنسيين أيام الحرب

على ان هذه البيئات كانت تتركز في مراكز في لبنان وتخلق حولها جوّاً معيناً ، وكان التضارب بينها على أشده ، من حيث كانت كل بيئة منها تحمل ثقافة تباين بخصائصها الثقافة التي تحملها البيئة الأخرى . وعندك بيئة اليسوعيين الذين يمثلون الفئة المسيحية المحافظة وكانت وسائلهم لتمكين عقليتهم في الجيل اللبناني مدارسهم وكليتهم الجامعة ببيروت . وكانوا يمثلون اقوى سلطة بعد سلطة البطريرك في لبنان ، وكان لهم صحيفة «البشير» اليومية ومجلة «المشرق» الشهرية . وقد وقفت العقلية المحافظة دون ذيوع صور الفكر الجديدة في أوربا واتجاهات الآداب الحديثة . وكانت تنكر على اصحاب « المقتطف » قولهم بدوران الأرض وتحمل عليهم للقول بتسلسل الأنواع ، وتوجّه النقد الى الفيلسوف الدكتور شبلي شميل لآرائه المتطرفة في الدين والاجتماع وتدفعها الى الحملة على الآداب الجديدة التي لا ترجع الى طرائق الأدب الكلاسيكي الفرنسي . ثم عندك بيئة المرسلين الانكليز والأميركيين وهم يمثلون العقلية المسيحية المتحررة ، ولكن كانوا يحملون بينهم جوّاً من الحرية والاتساق المعروف بهما الانكليز والاميركيون ، وكانت بيئة هؤلاء لا تجد جناحاً في مجاراة تيار العصر والرجوع الى التفسير ليوفقوا بين الكتب المقدسة ونتائج العلم الحاسمة ، فكانوا يقولون بدوران الأرض ويعلمونه في دروس الجغرافيا في مدارسهم وفي دروس الفلك في كليتهم . ومن هنا كان تباين القول ومناهج الأذهان في التفكير واختلاف الأذواق الأدبية . وكان بعض المتأثرين ببعض هذه البيئات يذهبون الى أوربا لاكمال علومهم او للتجارة او السياحة ، وكانوا يرجعون وهم يحملون الآراء المتطرفة والمذاهب الجديدة التي عرفتها عقلية القرن التاسع عشر في الغرب

***

كان العصر بجملة القول يمثل عصوراً متباينة — كما قلنا — ومن هنا كان التباين في الثقافة والقول ومناهج الأذهان والأذواق

— ٢ —

امتاز كل عصر من العصور التي انتقلت به الإنسانية من دور الى دور ، بروح مشت فيه وأصبحت الطابع الذي يوسم به ذلك العصر. فللعهد الاغريقي طابع ، وللرومانية آخر ، وللعربية ثالث ، وللقرون الوسطى روحها الكنسية التي تداخل في كل شيء حتى في الحياة العائلية في المنزل. وكذلك الحال في الأربعة القرون الماضية ، منذ أن بزغ فجر القرن السادس عشر حتى اليوم نرى أن لكل دورة زمانية من دوراتها روحاً خاصة . ولكن أظهر ما كان فيها من الآثار نشاط حركة الفكر وتقوي موجة الثقافة وازدياد تيارات العلم ، التي اتجهت بالغرب الى مدنيته الواقعية المادية (١)

والعصر الذي نحن بصدده يمتاز بأن الروح التي تمشى فيه ، هي روح الفكر ، ومن هنا كان أبرز شيء في ثقافة لبنان ، ازدياد حركة الفكر فيها وتقوي موجة الثقافة . غير ان هذه الروح ما كادت تقوى ، وهي متأثرة الأسباب بروح أوربا الواقعية المادية ، حتى قام انضال بين عقلية لبنان الثوارية المحافظة على روحها الكنسية التي تقرب من روح القرون الوسطى ، وبين العقلية الجديدة الواقعية المادية التي حملها الثقافة الغربية اليها

يقول الأديب نشأت المرتيني وهو من شباب سوريا ولبنان المثقفين

[حتى المثقفين منا يرون أننا سنصطنع ما عند الغرب ونقوسنا على ما هي عليه لا تتبدل ، وسنعيش كل ما عند الغرب ونقولنا كما هي ، ونحن الاقدمون لن نتحول ، نطلب عقولنا بالعقول الغربية تعليماً . وشرعنا أدمغتنا بالاساليب الغربية المحافظة ، تبقى عليها خاصة لاساليبها النفسية التي بتركيبة ، ولكنها مستورة بأغشية واهية مادية] ( )

هذه كلمات بليغة في دلالتها على حقيقة ذهنية اللبنانيين . والواقع لا ينكر ان العقلية الكنسية المحافظة في لبنان وقفت في سبيل الذهنية اليقينية فلم تسمح للبنانيين ان يتجاوزوا الحدّ النفي الى اليقينيات . والحقيقة انه في ذلك الحين لم يقدر على التغلب على هذه الروح الا نفر قليل من مفكري لبنان ، نذكر منهم الدكتور الفيلسوف شبلي شميل والدكتور العالم يعقوب صروف والبحاثة الاديب فرح انطون . وبقي بعد ذلك الطابع العام للذهنية اللبنانية غيبيًّا يظهر في نفس الصورة التي كانت عليها العقلية الكنسية ، والتي تظهر بين صفحات التاريخ في القرون الوسطى

الآن الروح الواقعية المادية المتشبعة في ذلك العصر في الغرب ، كانت تنتهي الى جوّ لبنان على يد المرسلين وقد فقدت أصولها اليقينية . واعتاضت عنها بأصول غيبية ، وبعد ذلك فلا جناح ان بقي الشكل يقينيًّا . وهكذا اجتمعت الاسباب على الذهن اللبناني لتخلع على عقليته الغيبية أستار الأساليب الواقعية المادية وهي في صميمها غيبية . وفي هذا وحده ينحصر الفرق بين

(١) انظر اسماعيل مظهر في مفترق السبيل ص ١٧ (٢) مجلة المكشوف ، العدد ١٩٠ ص ٩ — ٧

دهية لبنان في الجيل الماضي والجيل الذي انصرم : العصر والقرن التاسع عشر وبين خاتمة القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر

والطبيعة البنانية من حيث هي أقدر طبيعات الشعوب الشرقية على تشرّب الأشياء وتمثيلها assimile ، فإن هذه الطبيعة كانت تسوق اللبناني الى الانطباع والذهنية الواقعية ، إن كانت المدارس والكليات التي قامت فيها علمانية ، ولكن مثل هذا التقدم لم يكن ، فتشبّثت النفسية الشرقية وقد أمدتها أخشية واقية عليها لا تمت بها وبين روح العصر

الا أن الروح الاوربية من حيث جلبت معها النقد — لان اوضح شيء في المدنية الاوربية حرية الرأي والفكر — كانت تقوم بالروح الفردية الاستقلالية ومن هنا كان الصراع بين العقلية الاوربية والعقلية الشرقية التي ليست نوباً من الاصلاح الديني ثارة وثوباً من الدعة والانتصار للحرية الفردية طوراً

***

المدنية الغربية تغزو الشرق الادنى وعلى وجه خاص لبنان . والمدنية الغربية تؤثر آثارها في كيان المجتمع الشرقي ، وهذا الأثر يبدو طلاء على وجه المجتمع اللبناني . ومن هنا كان الافتتان الظاهر بأشكال المدنية الاوربية ، وهذا الافتتان وان مجح في اعطاء لبنان الاخلاق والعادات الغربية فانه لم يتعدَّ مظاهر الجماعة ، وبعد فجماعة بخلجاتها ونبضاتها الداخلية لم تتطوّر تبعاً للحياة التي يأخذها المجتمع الغربي في ذلك العصر . ومن الوهم ان نحمل تعقد العلاقات والصلات على الثقافة والاخلاق الغربية ، لانها ترجع الى اجتذاب المدن اهل القرى والدساكر ، وفي المدن يتكاثر الناس ويزيد الازدحام فتزيد العلاقات تعقداً والصلات اشتباكاً . وهذه حقيقة لا يمكن نكرانها ، وهي تؤدي الى نشوء المشاعر الجماعية بدلاً من المشاعر الفردية التي تتجلى في الفردية الاستقلالية للجبلي او ابن الصحراء

مثل هذا الاشتباك في الصلات والتعقد في العلاقات كان يسوق ، نتيجة لما ينتهي اليه المجتمع من التيار الثقافي ، الى بعض المحذورات التي لا تقبلها الآداب المتعارف عليها والأخلاق القائمة . ولقد كان هذا الانطلاق من قيود الأخلاق القائمة ، وقيام الآداب الاجتماعية على اساس من انتهاز الفرص واقتناص اللذات ، والتكتل الذي كانت تدفع اليه حالة الازدهار الاقتصادي في ذلك العصر كلها ، بجانب ما تتركه الثقافة الغربية من الآثار الثابتة في كيان المجتمع ، والتي تتداخل مع الثقافة التقليدية الشرقية الآخذة في التقطع — كلما كانت تسوق الى التحلل من قيود الأخلاق القائمة والانطلاق من اوضاع الآداب المتواضع عليها . ولقد كان تكتل الناس في المدن واجتماع مجموع مختلف المشارب والنزعات متضارب الاذواق والحاجات يسوق الى خلق اجواء جديدة

كان من مفهوماتها هذه الأخلاق المتحللة والآداب المتقطعة. على ان الطبقات الدنيا ما كان فيها من بقية صالحة من الاخلاق ومسكة عاصمة من الغواية ، بحكم كونها مركز الثقل في الاجتماع كانت تعتبر غوايات العصر ورذائله من مساوىء الجاه والغنى والمدنية الغربية ، فكانت ترى في فقرها ما تعتصم به من غوايات العصر ورذائل المدنية . ومن هنا كان ذيوع الاخلاق الدينية بين الطبقات الدنيا التي تقوم على اساس من القوة للاعتصام بالصبر والرجاء امام مآسات الحياة. غير ان مغريات العصر كانت اكثر من ان يعتصم منها بالصبر والرجاء والعزاء في عالم اخروي ، فانتشر الرياء والختل والخداع

وهذه طبيعة لعصور الانتقال يجب ألاّ تحرّج من ذكرها

***

وكانت المدنية الأوربية بما تتركه من الأرثالبات في محيط المجتمع اللبناني تتفاعل مع المؤثرات التي تفعل فيه ، فتنتهي الى إحداث رجحان لحالة التغاير الثقافي — التي تكلمنا عنها — وكان من النتائج التي أسفرت عنها ، نشأة مذاهب جديدة تتشعب من الدين الاصلي لجماعة وشكوك تحف بالعقيدة. والواقع ان اختلافات البيئات الثقافية وما كانت مدارس الارساليات تضع بين طلبتها من طابعها الثقافي الخاص ، كانت تمهد لهذا التشعب من جهة ، ولانتشار الشكوك من جهة اخرى. وكان ثمرة هذا كله تقوية ما كان يعرض لمحيط المجتمع اللبناني من عوامل الهدم للعقائد والتشكيك للاخلاق والأديان . وهذا كله كان بمجمع الأسباب ويهيء الجو حول نزعة النقد التي كانت قرارة روح العصر وبذلك يمهّد السبيل للمذاهب المادية . والواقع ان المادية وجدت في بعض الطبقات التي اكتملت اسباب ثقافتها وتحررت عقولها واستقلت شخصيتها على نمط من ذاتها مرتفعاً خصيباً، حتى ان الجيل الأخير من القرن التاسع عشر شهد الفيلسوف اللبناني الكبير الدكتور شبلي شميل يكتب الرسائل في فلسفة التطور ويشحنها بنقد الأديان والعقائد وكان ان بذر هذا الاتجاه المائل نحو المادية الواقعية بذوره في عقلية النشء العربي فاتجهت به الى حركات التجديد في ميدان الدين والفكر والاجتماع

على ان هذا الاتجاه البالغ حد التطرف كان يقابله اتجاه آخر محافظ يستجمع الاسباب من القوى الساكنة في المجتمع يحاول ان يقيم للغيب عالماً في عوالم الشهادة

الاّ ان المجتمع اللبناني في السوم لم يكن يتقبل قبولاً حسناً الحركات المتطرفة في الدين والاجتماع والذاهبة مذهب الماديين من الغربيين، كما وأنهُ لم يكن يسمح بتقبل الصورة الكونية التي رسمتها الكتب المقدسة والشريعة الكنسية المشتركة ، لان ما كان ينتهي اليه من الحقائق

النهائية للعلم اليقيني الأوروبي كان يعارض الصورة الكونية التي رسمتها الكتب المقدسة ، ومن هنا كان الصراع بين الحقائق الجديدة في الكون والصورة القديمة ، وكان مظهر هذا الصراع ، فضلاً بين رجال الدين تملي العلمية المؤمنة بالصور القديمة في الكون وبين رجال الفكر من الآخذين بأسباب العلم اليقيني الأوروبي. وأمام تيار الافكار العصرية والمكتشفات العلمية اضطر رجال الدين ان يفتحوا باب التأويل والتوفيق بين ما في الكتب المقدسة من صور كونية وبين ما انتهت اليه الحقائق العلمية من رسم صورة للكون . ولا يهمنا ما كان من تفاصيل هذا الصراع ، ففي مجلدات المقتطف الأولى شيء من هذا . ويعد فالدين على ما هو عليه من تشعب المذاهب ، والعقيدة على ما هي عليه من الشكوك التي تحف بها ، كانا من أظهر ما يسترعي النظر من طابع ذلك العصر

***

ما تمّ

كان العصر ، عصر إيمان وشك ، عصر يقين وحيرة ، عصر حكمة وجهالة ، عصر اشراق وقتام عصر نور وظلام ، ومن هنا كان ذلك العصر أحسن الأزمان وأسوأها . ولهذا لم يكن من المستطاع لتداخل الحالات المتباينة تعريف العصر بحدّ ثابت غير اننا يمكننا ان نقول :

[لقد كان روح ذلك العصر قلقاً ، كان الجديد يتحول بعد زمن الى حركة ضد القديم ، والقديم يتحول بعد فترة الى حركة ضد الجديد . كان العصر تتجاذبه قوى مختلفة ومن هنا كان متقلقلاً بمثل عصور الانتقال أحسن تمثيل . لقد كانت نسمات الصحراء تهب عليه ، وكانت الرياح تحمل اليه من بيت لحم اصداء ما تركه المسيح في أجواء فلسطين . وكانت تشده أمراس الماضي لحالات يخرج بها منه ، كما تجذبه الى أيام ازدهار المدنية العربية ذكريات تخالجه . ثم بعد ذلك الاعصار الذي كان يهب عليه بين الحين والحين من جهة أوربا تتجمع السحب من البحر الابيض المتوسط فوق قمم الجبال في لبنان ، ثم تسيل بها الوادي وتنصرها سيول المدنية الاوربية تتجري في الوديان والبطاح باعثة الحياة في كيان الشرق الادنى]

كان هذا العصر بطابعه العام خير العصور التي تُمهد السبيل من حيث استجماع الأسباب لمثل رسالة الخليل الإبداعيّة . وليس لنا ان نطنب في الكلام عن الطابع العام لهذا العصر مستقصين عن أسبابه محللين لحوادثه أكثر مما فعلنا ، لأن ما يعنينا — كما قلنا من هذا العصر — هو ما اتصل بشخص الخليل من أسبابه ، وهي مستمدة من طابع الجماعة العام التي عاش الخليل في ظلها وتنفس النسمات الأولى في أجوائها . ولنا بعد ان ننظر في حقيقة ما اتصل من العصر بشخص الخليل ، ونخلص بالعوامل التي تفاعلت مع شخصه فكانت سبباً في تكوين شخصيته

ولاية الانتاج

الزراعي بتغذية الشعب

— ٢ —

لحسين عفار بك

وكيل وزارة الزراعة

(المقتطف) كان موضوع الحلقة الاولى من هذا البحث العلمي النفيس (راجع مقتطف مارس ١٩٣٩ صفحة ٢٦٨ — ٢٧٥) وصف الشأن العظيم الذي تعلقه الحكومات بتغذية الشعب ثم بيان استقصاء الاغذية المختلفة التي يتغذى عليها الشعب المصري في طبقاته المختلفة وشتى انحاء البلاد. ثم بين هذه الحلقة جداول عظيمة الشأن من الناحية العلمية تحتوي على تحليل وافٍ لمختلف الاغذية من حيث ما فيها من البروتين والدهن والكربوهيدرات والوحدات الحرارية ودرجة الحموضة والقلوية وهي عناصر لا بد من معرفتها معرفة تامة لتعيين القيمة الغذائية لهذه الاطعمة. ونشرها هنا متعذر على قلتها العظيمة لانها ذات اختصاص المطولات. ولذلك ننتقل منها الى ما يليها من هذا البحث وهي الامور التي يجب توافرها لتغذية حسن التغذية في الشعب المصري وقد رأينا في نوع منها اختصار الجداول ايضاً.

إذا راجعنا هذه الجداول رأينا ان الطبقات العاملة في وادي النيل لا تعوزها الأغذية المولدة للطاقة كالنشا وكافة الحاصلات النشوية في شتى أشكالها

وقد عمد أهالي مثله بمركز تلا حيث تكثر زراعة البطاطس الى خلط البطاطس المسلوق بعجينة الذرة الشامية في صناعة الخبز وذلك من تلقاء أنفسهم ومن غير ارشاد وهم مجهلون أنهم قد أحسنوا صنعاً لان البطاطس غذاء قلوي مرجب ذو فائدة عظيمة في معادلة حموضة الاغذية النشوية كدقيق الذرة الذي يصنع منهُ الخبز

كما أنهُ لا تعوزهم الحبوب القطانية والزيوت والدهون التي يستخرجونها من مختلف الحاصلات الزيتية كالقرطم وبذر القطن والسمسم واللفت وخس الزيت

ولا تعوز أغلبهم الخضر الغضة (الطازجة) والفواكه الرخيصة بفيتامينها كالبلح والموالح والجوافة وانما تعوزهم الاغذية الحيوانية كاللحوم والألبان ومشتقاتها او ما يعادلها من الاغذية النباتية الغنية في البروتينات المركبة التي تقوم مقام بروتينات اللحوم كفول الصويا مثلاً

والقطر المصري ولله الحمد قطر زراعي لا يضارع في خصبه ووفرة مياه الري فيه وسطوع شمسه وكثرة الأيدي العاملة فيه وطاعتها وكدّها وجدّها وسعيها وراء العيش أي أنهُ يتوافر فيه

العوامل الضرورية لانتاج ما يكفي غذاء ساكنيه والاستغناء عن الواردات الاجنبية . وما كان سكان القطر المصرية في ازدياد مستمر وجب ان تكون مسألة تقديم السبل لمضاعفة انتاجنا ورجحان الامر فيها . وتضمن تغذية الشعب المصري يجب ان تتوافر العوامل الآتية

١ — وفرة الانتاج الزراعي — ٢ — تعدد أنواع الحاصلات والخضر والفاكهة ووفرتها للاستغناء بها عما يرد الينا من الخارج — ٣ — توفير الاغذية الحيوانية — ٤ — المحافظة على المحصول سواء النباتي والحيواني وحفظه من التلف في أثناء النمو والتخزين والشحن الى مكان التوزيع والاستهلاك ٥ — التوسع في الصناعات الزراعية واتقانها — ٦ — ضمان توزيعه في كافة انحاء القطر بين كافة الطبقات من غير تلف وبأسعار معتدلة لا تزيد الا يسيراً عن سعر الجملة — ٧ — عمل احصاءات دقيقة سنوية عن الانتاج

﴿ وفرة الانتاج الزراعي ﴾ تتوقف على عوامل أهمها : — ١ : توافر الارض الصالحة للزراعة ٢ : كثرة الايدي العاملة المدربة على الشؤون الزراعية — ٣ : توافر الشروط اللازمة لنجاح المحصول ٤ : زراعة الاصناف الكثيرة الغلة . ولنتكلم الآن عن كل بند على حدة

﴿ توافر الارض الصالحة ﴾ زمام أراضي القطر المصري أي وادي النيل بحسب احصاء سنة ١٩٢٩ يبلغ ٨٬١١٨٬٣٥٣ فداناً

منها منافع عمومية	٦٩٣٬١٩٧	فداناً
واراضٍ ملك الحكومة	١٬٦٠٨٬٦٧٧	»
وأراضٍ للأفراد والهيئات	٥٬٨١٦٬٤٧٩	»
وهذه المساحة مقسمة من حيث زراعتها الى :		
(أراضٍ مزروعة)	٥٬٦٠٨٬٠٠٢	فداناً منها
محاصيل وخضر	٥٬٥٠٧٬٦٢٥	»
اشجار فاكهة	٥٤٬٢٦٦	»
اشجار خشبية	٢٬٦٦٨	»
مراعٍ طبيعية	٤٣٬٤٤٣	»
(أراضٍ غير مزروعة)	٢٬٥١٠٬٣٥١	فداناً منها
منافع عمومية	٦٧٧٬٦٥٧	»
مستنقعات	١٥٬٣٧٧	»
بور	١٬٧٩٩٬١٢٥	»
(اراضٍ مقام عليها مبان أو احواش أو اجران)	١٨٬١٩٢	»

فى القطر المصري إذن ما يقرب من مليوني فدان من الأراضي البور القابلة للاصلاح وهي كافية للقيام بأود الزيادة المضطردة في السكان إلى أمد بعيد

فالأيدي العاملة الزراعية العاملة بالقطر المصري وفيرة ولله الحمد وكثير منها ولاسيما في الوجه البحري مدرب على الاعمال الزراعية العادية. ولكن الفلاح المصري ينقصه الأساليب الزراعية الحديثة. والطريقة الوحيدة لذلك هي بالتعليم والارشاد العملي — وإلى حضراتكم ما أراه من مقتضيات نهضتنا للنهوض بالزراعة المصرية

١ — يجب أن يوجه التعليم الالزامي والأولي توجيهاً زراعيًا محضاً فتكون مواد الدراسة جميعاً في موضوعات زراعية

٢ — يجب أن يكون أغلب المدارس الابتدائية مدارس زراعية ابتدائية عامة وتخصيصية بحسب الزراعة السائدة في المناطق المختلفة كمناطق الأرز في شمال الدلتا والقصب في الصعيد وصناعة الألبان في منطقة دمياط والخضر والأزهار في منطقة الاسكندرية الخ ... ومدارس لاخراج بستانيين مدربين على زراعة الفاكهة وما تتطلبه من فنون التقليم والتطعيم والطرق العملية لمقاومة الآفات والطرق الحديثة للشحن والتصدير

٣ — يجب أن يعدل نظام التعليم الزراعي المتوسط تعديلاً كليًا بحيث يكون أكثر فائدة للزراعة المصرية من الوجهة العملية الانتاجية فتقسم مدارسه بحسب التخصص إلى

أ — مدارس متوسطة لاخراج نظار العزب ويتدربون فيها على إدارة العزب ومسك الدفاتر وتنظيم العمل الخ ...

ب — مدارس زراعية متوسطة ميكانيكية لاصلاح الآلات الزراعية وادارتها

ت — مدارس زراعية متوسطة لصناعة الألبان وأخرى لتربية النحل والحرير ومثلها لكافة الصناعات الزراعية كحفظ الفواكه والخضر واستخراج الزيوت وصناعة الخمور للتصدير

ث — مدارس زراعية متوسطة للتخصص في تربية الدواجن والماشية

ج — مدارس زراعية متوسطة لفلاحة البساتين

ح — مدارس زراعية متوسطة للحاصلات الأساسية كالأرز والقطن والفلال والقصب الخ

كما أنه يجب أن يعاد تنظيم كلية الزراعة على اساس التخصص في فروع الزراعة المختلفة لتستفيد البلاد منهم إلى أقصى حدود الاستفادة

وبذلك يكون في بلادنا جيش من الزراعيين النافعين العمليين المدربين على أصول الزراعة الحديثة بأيدي اساتذة يلبون حماسة لتقدم الزراعة المصرية

اما الإرشاد العملي لوفرة الانتاج فمن خاص اعمال وزارة الزراعة وفيها الآن قسم للدعاية

والارشاد منظم على أحدث النظم بما يؤدي رسالة الاقسام الفنية بالوزارة الى كافة طبقات الزراع بما يطبعة من النشرات الفنية والمجلات الزراعية والبيطرية ومحاة زمن الفلاح والمنشورات والمجلات المصورة والنوعات المصورة بالاشرطة السينمائية الناطقة التي تعرض على جمهور الزراع بسيارات وأجهزة والدعاية بالإذاعة اللاسلكية والمحاضرات التخصصية في الأقاليم والمعارض الموسمية والمسابقات ومتاحف الاقسام وغير ذلك مما يطول شرحه

٣ — (توافر الشروط اللازمة لنمو المحصول ومجاحه) وهذه الشروط هي :—

ا — جودة التقاوي وخلوها من جراثيم الأمراض : وتعمل وزارة الزراعة على ذلك بأحدث الوسائل فأنشأت محطة لاختبار البذور على أحدث النظم العصرية وانشأت قسم الاكثار لاكثار ما ينتخب من التقاوي الجيدة لتوزع على جمهور الزراع بمعرفة القسم التجاري

ب — حسن الخدمة باستعمال أوفق الآلات الزراعية بالحرث والعزيق وقد توفق الاستاذ حامد البلقيني مدير مزرعة الجيزة سابقاً واستاذ الزراعة بكلية الزراعة حالياً الى اختراع آلات زراعية تسد احتياجات الزراعة الحديثة بأيدٍ مصرية ومواد مصرية يسهل وجودها في كل قرية

ت — حسن اختيار السماد الموافق واضافة المقدار المناسب ويقوم الآن قسم الكيمياء والزراعة النباتية بتجارب في ذلك أسفرت عن نتائج عظيمة في الحاصلات الرئيسية

ث — الزراعة في المواعيد المناسبة من أهم العوامل لضمان وفرة المحصول وتقوم الوزارة بتجارب على كافة الحاصلات

ج — توافر مياه الري وهذا من اختصاص رجال الري وقد خطت البلاد في ذلك خطوات سديدة، واضافة مياه الري في الاوقات المناسبة يعلمها الفلاح بالاختبار والممارسة

ح — حدوث الصرف وتصريفه وهذا ما تعمل الحكومة المصرية على تحقيقه ولا يمكن ضمان احتفاظ الارض بخصبها وانتاجها إلا إذا عمت المصارف ووصلت بالمصارف العامة وهذا واجب صاحب الارض

خ — زراعة الاصناف التي تقاوم المرض في المناطق المناسبة كأن تزرع أصناف القطن التي تقاوم مرض الذبول كجيزة ٧ في الارض الملوثة به وتزرع الأصناف المعرضة للذبول كجيزة ٢٦ في الارض النظيفة منه

وقد خطت الوزارة في هذا المضمار خطوات موفقة فأخرجت صنفاً من القمح يقاوم الصدأ ومرض الدودة الثعبانية وصنفاً من الطماطم يقاوم الذبول وهي في طريقها الى استنباط أصناف جيدة من القمح لمقاومة الصدأ ومن الارز لمقاومة مرض خنق السلبلة وغير ذلك

د — الاستعداد لمقاومة الآفات الحشرية والأمراض بالحقل بالوسائل الحديثة بالرش

والتحمير بالمواد الكيميوية وقد توصل قسم الفطريات الى التغلب على مرض صدإ القول والقمح بالرش بمحلول بردو والتحمير بالكبريت ومقاومة أمراض الياض بمجانين وساحيق مختلفة

لذلك يجب لضمان وفرة الغلة من محصولات وحضر وفاكهة ان يلم المزارع بطرق الحديثة المبسطة لوقاية محصولاته — ووزارة الزراعة بأقسامها المختلفة تقوم بالدعاية اللازمة لذلك بشتى الوسائل — ولكن لنجاح الدعاية يجب ان تكون أذان الفلاح مستعدة لتبولها والعمل على تنفيذها بدقة وإلا فلا فائدة منها ومقاومة الآفات الزراعية الى الآن سواء بالحاصلات أو الخضر أو الفاكهة تقوم بها وزارة الزراعة بناء على نتائج ابحاث قسمي الحشرات والفطريات وهي التي يقوم بتطبيقها في المزارع والبساتين المصابة فرعا الرش والتدخين برشاشاته ومواده الكيميوية. ومع الاسف الشديد ان أغلب الزراع — الا النادر وهذا لا حكم له — يتوسمون مثلاً في إنشاء الحدائق ولا يزودونها بما يلزم من الرشاشات والكيماويات للعلاج عند ظهور المرض لذلك تراهم يتركون الاصابة بدون علاج الى ان يستفحل أمرها وتتعذر مقاومتها فيصرخون طالبين النجدة بعد فوات الوقت من رجال وزارة الزراعة التي تعجز في غالب الاحيان عن المعاونة لتقدم الاصابة فيلومها الزراع وهم في الواقع الملومون وعلى أنفسهم هم الجانون

٩ — اختيار الوقت المناسب لحصاد المحصول والعناية في دراسة هذا شرطان أساسيان لضمان وفرة المحصول والاحتفاظ به الى أقصى مدة في المخزن. فالبطاطس مثلاً اذا قلع قبل ان يتم نضجه او لم يعتن بتقليعه يكون معرضاً لشتى جراثيم العفن

﴿زراعة الاصناف الكثيرة الغلة﴾ وهذا الموضوع من اختصاص قسم تربية النباتات وقد انتخب فعلاً أصنافاً جيدة عظيمة الغلة من القطن والقمح والذرة الشامية والرفيعة والفول والارز وغير ذلك من الحاصلات بأحدث الوسائل الفنية كالتهجين الصناعي في القطن والارز

﴿تعدد أصناف الحاصلات الغذائية والخضر والفاكهة﴾ وهذا شرط أساسي لضمان تغذية الشعب ويتضح من دراسة الاحصاءات الخاصة بمساحات الحاصلات الأساسية المختلفة ومتوسط محصول الفدان وجملة المخصص للاستهلاك والمقادير المستوردة والمصدَّرة في المدة الواقعة بين سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٧ ان القطر المصري يكفي نفسهُ من كافة الحاصلات علاوة على ما يصدوهُ منها ولكنهُ يستورد مقادير قليلة من القمح والحمص والترمس والفول السوداني والسمسم

أما زراعة الخضر في القطر المصري فمساحتها نحو ٢٠٠٢٨٨٩ فداناً يزرع فيها الباذنجان ٢٩٩٦ (فداناً) والباميا (٣٤٣٥) والبصل (٥٥٤١٧) والبطاطا (٢٤٨٨) والبطاطس (٨٧٧٣) والبطيخ (٣٨٣٩٥) والثوم (١١٨٦) والجزر (٧٤٧) والجيزة (٢١٣٢) والسبانخ (٦٠٢) والشمام والعجور والقات (١٤١٨٤) والطماطم (٣٤٥٤٥) والفاصوليا (٥٧٧) والفلفل (١٣٣٨) والقرع

المسني (١٦٢) وقرع كوسة (٣٧٥٩) والبرتقال (٨٥٠) والقطن (٣٦٩٩) والكمثرى أبو شوشة (٤٥٧) والكمثرى (٢٨٧٩) والتفاح (١٠٧٣) والتوبيا (٤٥٠) والمشمش (١٩٦٣) وخضر أخرى (١٩٠٥٩) ومنتجات هذه المساحة استهلكت منها داخل القطر وصدر مقدار كبير الى الخارج. أما زراعة الفواكه فمساحتها في القطر المصري بحسب تعداد ١٩٣٩ بلغت ٥٤٢٦٦ فداناً وأشهرها البرتقال والليمون الاضاليا والليمون الحلو والليمون المالح والتاريخ واليوسفي ومجموع المساحة المزروعة منها ١٧٧٣٤ فداناً. ومنها البرقوق والتفاح والتين والجوافة والخوخ والرمان والزيتون والعنب والكمثرى والمانجو والمشمش والموز والنخيل وأصناف أخرى. ويتضح من دراسة جداول إصدار الفواكه ان مقادير كبيرة من المولح والموز والبلح والعجوة والبطيخ والقاوون والشمام تصدَّر. وتستورد مقادير كبيرة من البرتقال والليمون المالح (الأضاليا) والتفاح والبرقوق والعنب والكمثرى والرمان والمشمش الفضَّ (الطازج) والمجفف والخوخ والبلح والعجوة والتين المجفف والكرز ومقادير يسيرة من البطيخ والقاوون والشمام والسفرجل

وجميع هذه الفواكه والثمار تنمو وتجود في القطر المصري عدا التفاح والكرز وكافة أنواع النخل والتين المجفف والقراصيا والمشمش المجفف وقمر الدين — فواجب مصر التوسع في زراعة هذه الأصناف للاستغناء عن الخارج كما يجب اقامة ثلاجات كبيرة لحفظ الفاكهة واختصار بالتبريد سد حاجات السوق وقت اللزوم

ولما كان البلح من الأغذية الغنية بالمواد المولدة للطاقة وبه نسبة لا بأس بها من البروتين، وهو غني كذلك بالفيتامينات. والأملاح المغذية المفيدة كأملاح البوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم والفسفور والفلور والكبريت وبه مقادير من الهيدراتيات والكتينات والحمض اليمونيك ومادة الكومارين التي تكسبهُ طعمه الذيذ المعروف ولهُ تأثير مدفيء فيختزنه من قدر كبير من المجهود الشمسي Solar energy حتى انه يوصف في الحالات التي يشكو فيها الشخص بعدم الدفء — أي للاشخاص الذين يشعرون دائماً بالبرد — فانهُ يجب تشجيع استهلاكه بين الطبقات العاملة اذ يكفي لتغذية شخص واحد منهُ ١٨٠ جراماً

لذلك اتخذ قسم البساتين بوزارة الزراعة سياسة من شأنها الاكثار من الأصناف المصرية الجيدة التي تصلح للحفظ — وتحسين الاصناف الاخرى واستيراد الاصناف الجيدة من الاقطار الخارجية. ويبلغ عدد النخيل بالقطر المصري بحسب آخر احصاء ٥٠٨٣٫٤٠٠ نخلة

وهذه المقادير لا تكفي لاستهلاك القطر ويجب ان تتضاعف حتى يتيسر للفلاح والعامل المصري ان يجعل البلح غذاءه اساسيًّا له لرخصه وجودته وهذا هو مشروع وزارة الزراعة والسياسة التي يعمل قسم البساتين على تنفيذها. فقد انتخب فعلاً احسن صنف مصري يصلح للحفظ وهو السيوي

واهتم بتجفيفه وحفظه وتعبئته على الطرق الحديثة فنجح في ذلك نجاحاً ملموساً زاد من استهلاك هذا الصنف في المدن وأصبح يصدر منه الى الخارج مقادير لا بأس بها

والاتجاه الآن هو نحو اكثار هذا الصنف وزيادة مساحته بالوجه القبلي ولما كان معظم نخيل الوجه القبلي من الاصناف البلدية المجهولة الاصل الرديئة الصنف فقد وضع القسم مشروعاً لاستبدالها تدريجياً بفسائل من الصنف البيري

وقد انشأ قسم البساتين مصنعين في سيوه البحرية لتعبئة البلح بشكل لطيف وبطرق مختلفة منها الطريقة البلدية بعد تحسينها — ولما كان البلح الجاف يوجد منه بمصر مقادير كبيرة وهو غذاء عظيم لجمهور الفلاحين وخصوصاً بالوجه البحري وشمال سينا فقد اهتم قسم البساتين بهذا الصنف وبصناعته وتحويله الى مصنوعات كالربى وقد جفف وعمل منه بلحاً كبيساً لحفظه كما يعمل سكان شمال سيوه اذ يحصدونه في الفرن وينشرونه في الشمس ثم يكبسونه في الخوص — وورد لمصر مقادير كبيرة من العجوة من العراق بثمن رخيص يجعل من الصعب علينا تصدير عجوة الى الخارج والأمل معقود على احلال العجوة المصرية محلها — ولهذا استورد قسم البساتين اصنافاً من البلح من العراق والحجاز لهذا الغرض وقد نجح بعضها بالقناطر الخيرية وهو يبشر بمستقبل باهر

هذا من جهة البلح أما من جهة الزيتون فقد كانت مصر مقتصرة على الانواع البلدية للتخليل فقط اذ لم تكن توجد صناعة تخليل الزيتون الأسود الذي يرد الينا بكثرة من بلاد اليونان كما أنه لا يزال ترد الينا الى الآن مقادير كبيرة من زيت الزيتون لذلك استورد قسم البساتين أصنافاً كثيرة من الزيتون لاستخراج الزيت ولتخليل الأخضر والاسود فنجح أكثرها نجاحاً باهراً وأخذ في اكثارها وقد حللت هذه الاصناف وبويت الى أصناف للزيت وأخرى للتخليل واختط القسم سياسة زيتونية بموجبها تغرس أصناف الزيت في مناطق معينة في البحيرة والفيوم وعلى طريق الاسماعيلية حتى السويس (وقد عمل بها خريطة) أو أصناف التخليل فتزرع في الاراضي المجاورة للمدن الكبيرة وفي مديرية الفيوم وسيستكثر من جميع هذه الاصناف لسد حاجة القطر من الزيت والزيتون المخلل الأسود والأخضر . وهناك أصناف تصلح للغرضين معاً

وستجعل منطقة مريوط والصحراء الغربية والواحات منطقة لزيتون الزيت وستغرس معظمها بالصنف الشملالي وقد انشئت فعلاً معصرتان لاستخراج الزيت احداهما في سيوه والاخرى في برج العرب وستنشأ اخرى في الجيزة وفي الفيوم قريباً وصناعة الزيتون الاسود المخلل قائمة الآن في سيوه وقد نجحت نجاحاً باهراً بفضل الاصناف التي استوردت لهذا الغرض

ويبلغ عدد اشجار الزيتون بالقطر المصري حوالي ربع مليون شجرة تعطي نحو الفي طن — ويخلل قسم البساتين سنوياً نحو سبعة اطنان من الزيتون

مشكلة السكان

القواعد الاحصائية الصحيحة
لزيادة السكان ونقصهم

للدكتور شعرباف شيرازه

ان قضية معالجة زيادة السكان ونقصهم من القضايا المعقدة التي يعجز عن حلها الاخصائيون بهذا الموضوع . وقد تطوّرت هذه المشكلة تطوّراً عظيماً فبعد ان كانت الزيادة هي الخطر الذي يهدد الامم ويدفعها الى المنازعات والحروب صار نقص السكان شبحاً يهدد كيان الامم وخطراً بالفناء اذا استمرت على سيرها الحاضر ولا تدعي اننا نستطيع القول الفصل في هذا الموضوع الذي تعاصى على جهابذة العلماء بل نسعى لحدث الآراء فيه ونختلف الضربات لأعلامه الذين يشار اليهم بالبنان ونشير الى قواعده الأساسية التي تكشف عن الاخطاء التي يقع بها الباحثون والمستعرون والطامعون ويتخذونها مسوغاً للمجازر التي يُدفعون اليها وعزة أبنائهم والكلمة الصالحة من شعبهم ممن تحتاج اليهم البشرية ويقتدع بهم العلم

﴿ تاريخها ﴾ يظهر ان فكرة احصاء النسل نشأت لغايتين الاولى معرفة عدد الرجال القادرين على حمل السلاح . والثانية معرفة عدد الافراد القادرين على دفع الضريبة . فالقصد الاساسي من احصاء السكان الحرب والجباية . ومما لاشك فيه ان اول من استنبط فكرة الاحصاء احد رؤساء القبائل ليعرف عدد رجاله المحاربين وهذا ما حمل داود ان يأمر يوآب باحصاء الشعب فقال الملك ليوآب رئيس الجيش الذي عنده طف في جميع اسباط اسرائيل من دان الى بئر سبع وعدوا الشعب فاعلم عدد الشعب [1] ثم تحوّلت الفكرة ورغب الحكام في معرفة عدد رعاياهم المتمكنين من دفع الضريبة حرصاً على زيادة دخلهم كما يستدل من نص الانجيل وفي تلك الايام صدر أمر من اوغسطس قيصر بان يكتتب كل المسكونة [2]

ولما سألت مدام دي ستال (Madame de Staël) نابوليون عن اعظم امرأة في كل عصر اجابها هي التي تجهز وطنها بأكبر قدر من غذاء المدافع حينما تتطلب ذلك حاجة امتها [3]

---

(١) العهد القديم : صموئيل الثاني الاصحاح ٢٤ العدد الثاني (٢) العهد الجديد : انجيل لوقا الاصحاح الثاني العدد الاول Population, Carr-Saunders 1931, p. 1

(٣) Mankind at the Cross Roeds, East, 1926, P.61

ثم تطورت هذه الاحصاءات وشملت جميع مناحي الحياة من صحة ومرض وعز وجبن وثراء وفقر وتقدم وانحطاط وصارت الارقام هي اللسان الناطق لكل امة والمرآة التي تنعكس فيها حياتها الاجتماعية والدليل الصحيح على مستواها فالارقام الصحيحة هي المعول عليها اليوم في وضع الامم الحقيقي

﴿ تكاثف السكان ﴾ ان قضية تكاثف السكان قضية نسبية تتوقف على حالة الشعب ومستواه الاقتصادي والاجتماعي. وهناك حد لتكاثف السكان يعبر عنه بالحد الملائم Optimum density وهو الحد الذي يتمكن عنده الفرد من الحصول على اكبر دخل ممكن ليعيش أرغد عيش مستطاع. فبعض الشعوب تكون أبرع من غيرها في الفنن في الزراعة واستنباط مختلف الصناعات فهما تكثر ضمن نطاق تاجها الاقتصادي لازدحام بسكانها. وتكون شعوب غيرها اقل منها انتاجاً وليس لديها من مستنبطات العلم ما لدى الاخرى فتتعرض لازدحام السكان

ومما لا شك فيه ان الشعوب البدائية كانت أقل خصباً منا رغماً عن زواجها الباكر ولا تنسب قلة عددها الى الحاجات والحروب فقط بل الى عدة عوامل منها طول امتناعها عن الجماع تقيداً بالتقاليد الدينية والاجتماعية فكانوا يمرضون عنه قبل الذهاب الى الصيد وحين يكون القمر بدراً وفي اثناء الرضاع ويتعمدون الاسقاط وقتل الاولاد وغير ذلك من العوامل في تقبض عددهم. وكانت هذه الاسباب عاملاً في توازن السكان (٢)

﴿ نمو السكان ﴾ يتوقف نمو السكان على عاملين رئيسيين (١) خصب الامة (٢) مقدار وفياتها. فيمثل الاول العوامل التي تشجع التناسل كالقوة الحيوية والميل الشخصي والاحوال الاقتصادية والاجتماعية وما اشبه. والثاني الامراض والاخطار التي تتعرض لها الامم. ومصدر الخطأ في الاحصاءات الاعتماد على معدل الولادات والوفيات البدائية Crude birthrate and crude death rate وهو معدل الولادات والوفيات لكل الف من السكان بالسنة الواحدة. وهذا هو الاحصاء الذي يعرفه اكثر الناس ويعوّل عليه الساسيون في تعزيز شعوبهم والزج بهم في ميادين القتال

والحقيقة ان هذا الاحصاء لا يفيد معدّل زيادة الامة او نقصانها وقليل من يدرك انه من الممكن ان يزداد شعب ما زيادة ظاهرية لامد محدود بينما تؤول ولاداته ووفياته الى انقراضه اذا استمر على ما هو عليه. ان زيادة الولادات المؤقتة على الوفيات لا تدل على نمو السكان كما ان هبوط الوفيات لا يضمن لنا زيادتهم. ثم تمكن العالم المتمدن من القضاء على كثير من الامراض الفتاكة كالهيضة والطاعون والجدري والتيفس والبرداء وغيرها تقللت وفياته ولكن ذلك لا يؤول

(٢) Population, Carr-Saunders p. 34

الى زيادة السكان لان معدل الولادات والوفيات البدائية هو النسبة السنوية للالف من السكان بقطع النظر عن العمر والنوع والفوارق الجنسية والنقابية والاجتماعية فوفيات الاناث لاسباب احيائية اقل من الذكور [1] فالامة التي يزيد فيها عدد الاناث على الذكور تكون وفياتها اقل والعكس بالعكس. والامة التي يكثر فيها عدد الصغار والطاعنين في السن يكون معدل وفياتها اكثر من غيرها. فخصب الامة يتوقف على المزيج المركبة منه عناصرها من اناث وذكور على مختلف اعمارهم. وليس عدد الولادات بدليل على قوة الامة التناسلية لان سن تناسل البشر محدود فعدد الولادات يتوقف على نسبة الاشخاص بمختلف الاعمار بين السكان وهذا متوقف على نسبة الوفيات بمختلف الاعمار ولا تدل كثرة الوفيات على نقص الامة لان كثرتها وقلتها تتوقفان على تفاوت الاعمار فالشيب اكثر تعرضاً للموت من الشبان والصغار اكثر من الكبار وهلم جرًّا. فالزيادة والنقصان متوقفان على مزيج الامة ويختلف هذا المزيج باختلاف الظروف فقد تكون نسبة الشيب بالالف عند بعض الامم اكثر من غيرها بكثير. ففي سنة ١٩١١ كانت نسبة الذين تجاوزوا سن الـ ٦٥ في فرنسا فوق المائة بالمائة بينما كانوا في انكلترا اقل من ٦ بالمائة [2]

ويرى عدد الاناث في اكثر انحاء اوربا على عدد الذكور وعكس ذلك في الاقاليم غير الاوربية. وقد زاد عدد الاناث في اثناء الحرب العامة على عدد الذكور حيث فقد مايف على الاثني عشر مليوناً اكثرهم ذكور وكان متساوياً عند الامم المتحايدة. وتختلف نسبة الذكور والاناث باختلاف الاعمار وعلى نسبة اختلافها يتوقف خصب الامة او عدمه. فقد زاد عدد الذكور في انكلترا وويلز سنة ١٩٣١ بين طوائف السكان التي في اوائل عمرها بينما زاد عدد الاناث في الطوائف التي تجاوزت سن الخامسة عشرة من العمر. وكلما تقدم العمر كانت زيادة الاناث اكثر ويختلف معدل وفيات الذكور عن الاناث لان الذكور اكثر تعرضاً للاخطار [3] وللعامل الاحيائي الذي ذكرناه

﴿ الاحصاء الصحيح ﴾ يعتقد بعض العلماء ان السكان يتضاعفون كل خمسين او ثلاثين سنة فلنبحث الآن عن صحة هذه الزيادة التي يهدد بها العالم المستعمرون والحاكمون بأمرهم والسياسيون هل هي واقعية او تضخم ارقام منشؤه عيب في طرق الاحصاء القديمة التي استندت الى الولادات والوفيات البدائية والتي لا تدل على قابلية الامة التناسلية لان هذه القابلية محدودة بسن معين من العمر يتراوح بين ١٥ — ٥٠ وانما يتوقف الاحصاء الحقيقي على المزيج المركبة منه عناصر الامة من ذكور واناث وعلى مختلف اعمار تلك العناصر وعدد وفياتها بمختلف الاعمار. فالامم المنتشرة

(١) راجع المقتطف ١ مارس سنة ١٩٣٢ ص ٢٨١ عن الجنس

(٢) Population p. 82 (٣) دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشر تحت لفظة Population

فيها الامراض التي تفتك بالاطفال تدفع ضريبة الموت اكثر من غيرها من توفرت عندها الرقابة الصحية نفسها عند بعض الامم ١٠ بالالف وعند غيرها ٨٠ بالمائة ويتوقف الاخصاء علاوة على ذلك على نسبة الاناث اللاتي بلغن سن الزواج وعلى السن التي يتزوجن فيه ومقدار خصبهن وعلى الهجرة والمهاجرة فان الشباب هم الذين يهاجرون عادة فيكثر عددهم في البلاد التي يهاجرون اليها ويقل في التي يهجرونها وعليه لا تتوقف الزيادة او النقصان على عدد الولادات والوفيات البدائية بل على الحاصل الصافي من هذا المزيج الذي يعيش من ابناء الامة الى سن البلوغ ويعوض عما تفقده تلك الامة من عناصرها في جيل كامل. ويعبرون عن الجيل بلغة الاخصاء بمقدار ثلاثين سنة وبعبارة اوضح تتوقف الزيادة والنقصان على عدد الآباء والامهات الذين يصيرون آباء وأمهات في الجيل المقبل

استنبط الاقتصادي الانكليزي الشهير كازونسكي نظرية R. Kuczynski الذي يعد هو وCarr-Saunders من أشهر الاخصائيين بعلم الاحصاء طرقاً جديدة للاحصاء وهو ثقة يعتمد عليه اكثر العلماء في هذا الموضوع ونلخص طرقه تاليا (١) يعتمدون في الزيادة والنقصان بالاحصاء الحديث على عدد الاناث البالغات الولودات في الامة ويهملون الذكور ويقدر الاخصائيون سن التناسل بين ١٥ — ٤٥ ويعرضون عن اللاتي يلدن قبل هذا السن وبعده وعن النقيطات لانهن قليلات بالقياس الى الشرعيات (٢) يقدرون خصب الأمة بمقدار ما تلده كل الف امرأة بسن معين فالنساء اللاتي بسن ١٥ — ١٩ اخصب ممن هن اكبر منهن سناً فيتوقف نمو الأمة على عدد النساء المتزوجات بالالف في مختلف الاعمار وقد اتخذ علماء الانكليز احصاء الامة السويدية سنة ١٨٩١ مقياساً لتفاوت في الانتاج في مختلف الاعمار نورده مثالاً لتفاوت معدل الانتاج

السن	عدد الولادات بالالف (١)
١٥	٥١٨
٢٠ — ٢٤	٤٥١
٢٥ — ٢٩	٣٧٥
٣٠ — ٣٤	٣١٢
٣٥ — ٣٩	٢٥٠
٤٠ — ٤٤	١٤٢
٤٥ — ٤٩	٠٢٠

فيظهر من هذا الجدول ان اللاتي بسن ١٥ — ١٩ اخصب من غيرهن وتهبط الولادات

(١) Twilight of Parenthood P. 58

ارتفاع السن ومعدل الولادات في مختلف الاعمار ينبيء عن حقيقة خصب الامة ونموها ويمد عنهُ بمعدل دليل الخصب (The Index Fertility Rate) وهو عدد الولادات بالاناث مقسوماً على عدد النساء الوالدات بين سن ١٥ — ٤٥ (١)

استنبط كازولسكي ما يسمى Gross reproduction rate اي معدل التناسل الاكبر وهو عدد الاولاد الذي يمكن ان تلده كل امرأة طيلة مدة التناسل ويهمل عدد الذكور لانهم سيوردها فيما بعد فيكون معدل التناسل الاكبر عدد البنات الممكن ان تلدهُ امرأة طيلة مدة التناسل فاذا كان هذا المعدل واحداً حافظت الامة على عددها وتنقص بنسبة نقصه

(٤) ان معدل التناسل الاكبر لا يكفي لقياس نمو الامة لانهُ بين عدد البنات الممكن ولادتهُ طيلة سن التناسل . ولا يقرب عن البال ان بعض البنات لا يتزوج وغيرهُ عقيم وفريق لا يعيش طويلاً فاستنبط كازولسكي معدل التناسل الصافي Net reproduction rate وهو مقدار البنات اللاتي يعشن طيلة مدة التناسل (اسلفنا ان هذا النوع من الاحصاء يهمل الذكور فيكون معدل التناسل الصافي مجموع الاولاد طيلة مدة الولادة) وهو يتطلب معرفة عدد النساء في مختلف الاعمار وعدد ولادتهنَّ السنوي ومعدل الولادات لكل الف امرأة واللاتي يعشنَ بالاقل من الولادات ومقدار نسل الولودات الجديدات لكل الف فمعدل التناسل الصافي هو القول الفصل في زيادة الامة او نقصانها فاذا كان واحداً حافظت على كيانها واذا زاد زادت او نقص نقصت

والسر في اهمال الذكور واختيار الاناث الولودات هو ان الاناث هنَّ اللاتي يحسنَ الاولاد لا الذكور فلو فرضنا ان عدد الاناث القابلات الزواج في امة ما مليون وعدد الذكور مليونان فلا يمكن تلك الامة ان تنتج اكثر من مليون ولد (اذا اهملنا التوائم) حالة انهُ لو كان عدد الاناث مليونين والذكور نصف مليون فمن الممكن ان يلد تلك الامة ما يقرب المليونين . فالاحصاء الحقيقي يتوقف على عدد الاناث لا الذكور. هذه لمحة سطحية عن اسس الاحصاء اخترنا منها ما يتعلق بناحية اصلاح النسل لنبرهن ان لازيادة حقيقية في السكان عند مختلف الامم توجب تحديد نسلها وتطاحنها . وبعد ان قررنا ان خصب الامة الحقيقي يتوقف على معدل التناسل الصافي الذي هو عدد الاناث الولودات في مختلف الاعمار بدأ باستنطاق الارقام التي هي القول الفصل في الزيادة والنقصان وهي مأخوذة عن كتاب كازولسكي Population Movements « حركات السكان » الذي صدر سنة ١٩٣٦

﴿ حاصل التناسل الاكبر ﴾ بلغ معدل حاصل التناسل الاكبر في اوروبا الغربية والشمالية منذ خمسين سنة ٢٫١ وسماه انهُ ولد لكل مائة امرأة خلال سن التناسل ٢١٠ بنات و(٢٢٠ صبياً) ويشمل هذا العدد المتزوجات وغير المتزوجات. وهبط هذا المعدل سنة ١٩١١—١٩١٤ الى ١٫٦

(١) Twilight of Parenthood p. 59

ونزل الى دون الواحد سنة ١٩٣٣ وبلغ ٩٠ ، وتفسير ذلك بلغة خصب الامة انهُ وُلد لكل مائة امرأة خلال سن التناسل ٩٠ بنتاً فقط قامة كهذه لا تستطيع تعويض نفسها على مدى الايام . وبلغ هذا المعدل في انكلترا وانمسا اقل من واحد سنة ١٩٢٩ واستونيا سنة ١٩٣٢ وفرنسا ولاتفيا سنة ١٩٣٣ وهو فوق الواحد يسير في الدانمارك وتشيكوسلوفاكيا والمجر والولايات المتحدة [١]

ان المانيا التي انخفض معدل تناسلها منذ ١٨٨٠ اكثر من كافة انحاء العالم بلغت منذ ٣٠ سنة اعظم معدل للتناسل الاكبر بين امم اوروبا الغربية والشمالية وسنة ١٩٣٣ أوطأ معدل ثم اخذت بالزيادة سنة ١٩٣٤ والشطر الاول من سنة ١٩٣٥ ولكن ارقام الشطر الثاني هذه السنة تدل على ان هذا المعدل لا يزال دون الواحد واذا استمر على معدل سنة ١٩٣٤ فأن سكان المانيا واوربا الغربية والشمالية مهددون بالفناء ولو بلغت كل مولودة جديدة سن الخمسين . هذه ارقام معدل التناسل الاكبر وهو لا يعني كما بينا ان كل مولودة جديدة تبلغ حقًّا سن التناسل وتتزوج وتلد بل معناه مجموع المولودات فقط

﴿ معدل التناسل الصافي ﴾ لننظر الآن الى المعدل الصافي الذي هو القول الفصل في زيادة الامة ونقصانها : بلغ هذا المعدل في المانيا والدانمارك والسويد منذ خمسين سنة ١٫٤٤ ، و ١٫٥ خلال جيلين ونفس المعدل ينطبق على أوربا الغربية والشمالية عدا فرنسا وإرلندة حيث كان واحداً وهو دون الواحد في كل من أوربا الغربية والشمالية في الوقت الحاضر . وقد تدنى من ١٫٣ سنة ١٨٨٠ الى ٠٫٧٦ سنة ١٩٣٣ وتفسيره أن كل مائة أم تلد في الحاضر ٧٦ فقط من أمهات المستقبل . وقد وجدوا ان هذا الحاصل لا يتجاوز ٧٥ ، ٠ في انكلترا سنة ١٩٣٤

بلغ عدد الاناث اللاتي دون الـ ١٥ من العمر في انكلترا سنة ١٩٣٤ (١٠٠و٧١٠و٤) وعدد الاناث بسن ١٥ـ٣٠ بلغ ٤٠٠و٩٩٨و٤ فمن الواضح ان الاناث اللاتي دون سن الـ ١٥ لا يستطعن التعويض عن اللاتي بسن ١٥ — ٣٠ ولو احزن جميعاً سن التناسل لأنهن أقل منهن عدداً [٢]

ويقدر علماء الاحصاء أنهُ اذا استمر مزيج السكان بهذا المعدل فان سكان انكلترا وويلز ينقصون ٦٠ مليوناً في خلال مائتي سنة . وصرح المستر كرودر Crowther التصريح الآتي : اذا انتظرنا جيلاً آخر دون ان تحركنا قضية نقص السكان واستمر معدل الولادات بالهبوط فلا تستطيع قوة على وجه الارض منع هبوط السكان الى ثمن او عشر مقداره [٣]

وقدرت الدكتورة إيدث تشارلس ان سكان انكلترا الذين يبلغون الآن أربعين مليوناً وتسعمائة الف سيصبحون سنة ١٩٤٣ أربعة وثلاثين مليوناً وثلاثمائة الف [٤]

(١) Population Movements, p. 45 (٢) Population Movements p. 42
(٣) Twilight of Parenthood p. 283 (٤) Eugenic Review, Jan., 1936, p. 273

وظهر من احصاءات Thomas and Whelpton في الكتاب النفيس « اتجاه الولايات المتحدة الاجتماعي الحديث » بأن سكان الولايات المتحدة سيبلغون ١٣٤٫٠٠٠٫٠٠٠ و ١٣٧٫٥٠٠٫٠٠٠ و ١٣٩٫٠٠٠٫٠٠٠ سنة ١٩٤٠ و ١٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ — ١٤٥٫٠٠٠٫٠٠٠ سنة ١٩٥٠ و ١٤٥٫٠٠٠٫٠٠٠ — ١٧٠٫٠٠٠٫٠٠٠ سنة ١٩٨٠ ثم تأخذ هذه الارقام بالتناقص بعد سنة ١٩٨٠ وينتظر ان تبلغ ١٥٥ مليوناً مع اعتبار الحد الاقصى للهجرة [1] ورغماً عن ضخامة هذه الارقام فان دائرة زراعة الولايات المتحدة تقدر ان لديها من الغذاء ما يكفي لاطعام ٣٠٠ مليون نفر بقيت طرق الزراعة على ما هي عليه اليوم دون ان يطرأ عليها أي تحسن [2]

﴿ اليابان ﴾ جرى اول احصاء معقول لليابان سنة ١٩٢٨ فبلغ عدد سكانها ٦٢ مليوناً . ويقدر ثقاة حكومة اليابان ان سكانهم سيزيدون ثلاثين مليوناً سنة ١٩٥٧ و ٤٨ مليوناً سنة ١٩٦٥ . ونسبة الاناث اللاتي بين ١٥ — ٤٩ يقدر بـ ٤٧ بالالف يقابلها ٥٤ بالالف في انكلترا ويرافق قلة عدد الطائفة الفتية للناس ارتفاع في وفيات الطائفة التي دون ١٥ سنة من العمر والتي تربي وفياتها على وفيات ما يقابلها عند غيرها من الامم . ثم تناقص معدل الزواج سنة ١٩٠٨ ومع ان عدد نفوس اليابان كان يزداد في الماضي فانه آخذ بالتناقص الآن بالقياس الى المعدل الأول ومصيره مصير الامم الاوربية . ويقدر كروكر ان محصول المواد الغذائية نسبة الى الوسائط الزراعية الحاضرة بلغ الحد في اليابان ويعزو ذلك الى انصباب الثروة وتخصيص الطرق الفنية على المشروعات الصناعية واهمال الزراعة التي بقيت في الحالة البدائية عدا تقدم محسوس في استعمال انواع الاسمدة الكيمياوية [3]

﴿ روسيا ﴾ يبلغ حاصل الولادات الصافي في روسيا ضعفهُ في انكلترا . وهمة روسيا منصرفة الآن الى تكثير المواد الغذائية واكتشاف نباتات جديدة صالحة للغذاء . ويظهر ان الاتجاه الصناعي الذي يرافقهُ على الأغلب تناقص النفوس اثر في اكثر الامم ماعدا روسيا ولكن عوامل تحديد النسل شائعة في روسيا الآن فانتشرت طرق منع الحمل وصار الاسقاط قانونيًّا وبالوقت نفسه سهلت روسيا على الامهات مسؤولية الاولاد بالمساعدات والامتيازات التي تمنحها لهنَّ (وسنأتي على بعضها فيما بعد) فأثر ذلك في زيادة نفوسها ولكن هذه الزيادة اخذت تتناقص الآن بالقياس الى المعدل الاول [4] . هذه لمحة عن مشكلة السكان ولا نستطيع ان نحيط بها وقد رسمنا صوراً مما يدرك منها المرء اتجاه الامم في هذا الطريق الوعر . وسننتقل الآن الى ناحية اخرى في اتجاه السكان وهي نوعهم لا عددهم وهذه الناحية اهم من الاولى واعظم تأثيراً في الامم ومصير سكانها

(١) Recent Social Trends in the United States, 1933 p. 2
(٢) Twilight of Parenthood, p. 97—98 (٣) Twilight of Parenthood, p. 93—94
(٤) Twilight of Parenthood p. 104-105

كيف نتقي

حالات الاستهداف الخريفية

سواء أصحّ التفسير الذي سمّاه[1] لحالات الاستهداف المتنوّعة كلُّهُ او بعضهُ ام لم يصحّ فالإصابات كثيرة ولابدّ من البحث عن علاج لها وقد ظلّ هذا العلاج متعذراً حتى سنة ١٩١١

في سنة ١٩٠٧ كتب الطبيب الالماني دنبار Dunbar في مجلة طبية فقال انهُ جرّب جميع الاساليب المقترحة لمعالجة « حمّى التبن »[2] في خلال السنوات العشر السابقة فلم يجد بينها اسلوباً ناجعاً . وفي سنة ١٩٠٥ حقن دنبار حبيبات اللقاح الذي يسبب «حمّى التبن » في جواد ثم استخلص المصل من دمهِ ورشّهُ على الغشاء المخاطي في انوف كثير من المصابين او المعرّضين للاصابة بهذه الحمّى فذهب سعاد ادراج الرياح . والتقى اثرهُ طبيب الماني آخر يدعى ويشهارت Weichhardt فأخذ مقادير من حبيبات اللقاح وغذّى بها طائفة من الماشية ثم اخذ مقداراً من دمها وفصل عنهُ المصل وحاول ان يستعملهُ علاجاً للمصابين « بحمّى التبن »فأخفق في ما حاول

ولكن في سنة ١٩١١ نشرت مجلّة « البلانيت » الطبية مقالاً للدكتور لنرد نون Leonard Noon وصف فيهِ طريقة علمية لمعالجة حمّى التبن . وهذه الطريقة كانت مبنية على بحث لرجلين يدعيان روزينو واندرسن من اقطاب مختبر الصحة في وشنطن . كان هذان الباحثان يجربان التجارب في ظاهرة « الاناڤيلكسيس » . فالكلب الذي حقنهُ ربيته عادة غريبة اصيب بحالة الاناڤيلكسيس اي بسقوط قوة المقاومة فيه ، فلما حقن ثانية بالمادة نفسها اصيب باعراض التسمم فالموت . اما روزينو واندرسن فوجدا انهما اذا اتبعا الحقنة الاولى بحقن مقادير صغيرة جداً في جسم الكلب ، كانت الاعراض التي يصاب بها خفيفة جداً . ثم زادا المقادير رويداً رويداً حتى نشأت مناعة الكلب ضد هذه المادة

هذه المباحث دلّت الدكتور نون على الطريق . فهو لم يحاول ان يختلف فعل المادة « الاليرجية » التي تحدث اعراض الاستهداف ، بحقنها اولاً في دم الجواد او بتغذية الماشية بها على نحو ما فعل دنبار وويشهارت بل صنع خلاصة مركزة من حبيبات اللقاح ثم أخذ جراماً منهُ وحقنهُ مليون

(١) راجع المقال الاول في مختطف مارس ١٩٣٩ صفحة ٢٦١ (٢) Hay fever

مرّة ثم قسم الخيوط بشيء جزء واطلق على كل جزء اسم « وحدة التفاح » . ثم بدأ تجاربهُ بحقن بضع وحدات من هذا المحلول (بعد حلّها حتى يسهل حقنها) وحقنها تحت جلد المعرَّض لهذه الحمّى . وبعد بضعة ايام حقنهُ حقنة اخرى تحتوي على عدد من « وحدات التفاح » اكبر قليلاً من وحدات الحقنة السابقة . ثم تلتها حقن اخرى كلٌّ منها اكبر من سابقتها . وكان يحقن المعرَّض هذه الحمى قبل حلول الفصل الذي يطير فيهِ التفاح من الاشجار فيسبب أعراضها . وعند حلول هذا الفصل ثبت ان هذا الرجل لم يصب باعراض المرض . وقد جرَّب نون طريقتهُ هذه على المصابين باصابات مزمنة فشفي بعضهم شفاء تامًّا وتحسنت حالة البعض الآخر فقدت اصابتهُ خفيفة

واذا كان نون اوّل من طبق هذه الطريقة من العلاج على « حمى التبن » فانها استعملت قبلاً في الملايا ضدَّ شدة الاحساس ببعض العقاقير ، وضدَّ الاستهداف لبعض اصناف الطعام. فباحث « بادامون » استعملوا في سنة ١٨٩٠ لعلاج مرضى كانوا شديدي الاحساس ببعض العقاقير فلا يطيقون تناولها . وتبعهُ سكوفيلد في انكلترا فاستعملها سنة ١٩٠٨ لعلاج رجل كان يصاب باعراض مرضية اذا كان في طعامهِ آثارة من البيض فصنع سكوفيلد حبوباً وضع في كل حبة منها جزءاً من عشرة آلاف جزء من بيضة نيئة وأوصى الرجل بان يبدأ بتناول حبة واحدة في البدء ثم زاد جرعتهُ رويداً رويداً حتى اصبح الرجل قادراً على ان يطيق البيض في طعامهِ

واقترح طبيب اميركي يدعى شلوس Schloss خطى سكوفيلد ، ولكنهُ تقدمهُ خطوة . ذلك بان صيَّاجاء شلوس فحصهُ ووجدهُ مستهدفاً لتأثير البيض والفول والزبيب . فأخذ المواد البروتينية في المواد الثلاث وحللها فوجد فيها بروتيناً مشتركاً بين بروتيناتها الثلاثة . ثم امتحن هذا البروتين فوجدهُ العامل الفعال في احداث اعراض الاصابة في الصبيّ ، فصنع حبوباً اودعها هذا البروتين واوصى الصبيَّ بتناول ثلاث حبّات منها ثلاث مرات كل يوم مبتدئاً في اواسط اكتوبر عند ما كانت الجرعة تحتوي على ملليغرامين من هذا البروتين . فما اقبل شهر يناير كانت قد اصبحت تحتوي على سبعة غرامات وعندئذٍ وضع الطبيب في غذاء الصبيّ بيضاً فأكلهُ ولم يصب بالاعراض التي كان يصاب بها

على هذه الاسس قامت الطريقة الحديثة في معالجة المستهدفين وقوامها معرفة المادة التي تحدث الاعراض ثم استخراج العنصر الفعّال فيها الذي تردُّ الاعراض اليهِ ثم تصنع منها حبوب او حقن متدرجة المقادير يتناولها المصاب رويداً رويداً الى أن يصبح قادراً ان يأكل او يشم او يلمس المادة الاصلية نفسها من غير ان يصاب وفي بعض العيادات الطبية حقن وحبوب جاهزة يمتحن فعلها فاذا نجحت فيها وإلاَّ فيجب إجراء بحث خاص على الاسلوب المتقدم

بعض المصابين يشفون شفاء تامًّا باتباع هذه الطريقة وبعضهم لا ينال الاَّ بعض الشفاء وبعضهم يبقى على حالهِ ومن الشكوك فيهِ ان يكون هناك علاج ناجع على اطلاق القول . حتى

ذ. استطاع المصاب ان يفيد من هذا العلاج قدرة على تحمل المادة التي كانت تؤذيه فيعود ثم معرّض للاصابة اذا كان شرهاً في تناول المادة ، او تعرّض كثيراً لحبيبات الفلح او الغبار او غيرها

بعض الاصابات يمكن ردّه الى سبب معيّن كحبيبات الفلح من نبات الحرقة ، او الأحياء البحرية ، او عقار خاص وعندئذٍ تكون معرفة العلاج ميسورة . ولكن سبب بعض الاصابات الاخرى يبقى غامضاً لاسبيل الى معرفته الا ببحث دقيق . ومثل الاطباء على ذلك قصة ربّان كان يصاب بربو شديد وهو في البحر ويبرأ منهُ عندما يزل الى اليابسة . ولم يُعلم لحالته هذا سبب معيّن . وبعد البحث الدقيق رُدَّ سبب اصابته الى تأثره بنبات « الكابوك » Kapok الذي تحشى به وسائده ومقاعد حجره في الباخرة فلما عرف السبب سهل العلاج

وقد استنبط العلماء غير وسيلة واحدة لكشف استهداف الجسم للتأثر بأحد العوامل التي تحدث فيه هذه الحالات المرضية الفريدة من مثل حبيبات الفلح ودقائق الغبار وأنواع الاطعمة والعقاقير وغيرها. ومن اشهرها ما يعرف « بكاشف الخدش » Scratch test وطريقته ان يخدش الجلد ثم يوضع على الخدش خلاصة مستخرجة من المادة التي يراد معرفة تأثيرها في الجسم وهل هو يتأثر بها او لا . فاذا كان الجسم قابلاً للتأثر بها احمرت البقعة حول الخدش وتورّمت في عشرين الى ثلاثين دقيقة . وقد يطبق هذا الكاشف معدلاً تعديلاً يسيراً بوضع قطرة من خلاصة المادة على الجلد ثم وخزه حيث توضع ومراقبة تأثيرها فيه . او قد تحقن الخلاصة تحت الجلد او قد توضع الخلاصة على الجلد السليم بغير خدشه او وخزه وتبقى هناك ساعات او اياماً بلصق قطعة من ورق « السلوفان » عليها . والمبدأ واحدٌ في جميعها

وهناك كاشف آخر قائم على حذف المادة المشتبه فيها من طعام المعرّض لهذا الضرب من الاصابات او من لباسه او الوسادة التي ينام عليها. فاذا كانت المادة المشبوهة في احداث الربو ريش الطير مثلاً وكانت وسادة الرجل محشوة به صنعت له وسادة محشوة بالصوف او القطن . اما في الطعام فقد صنع الدكتور القاريز Alvarez طعاماً قوامهُ لحم الضأن والرز والزبد والسكر والكمثرى المحفوظة في العلب . وهذه المواد قلما تسبب ضرراً لآكلها . ثم يبدأ الرجل باضافة الاطعمة الاخرى الى هذا الطعام واحداً واحداً ويراقب تأثيرها فيه

الا أن هناك فريقاً من الباحثين يرى ان كواشف الجلد مفيدة ولكنها ليست حاسمة ومنهم الدكتور بركان احد اطباء عيادة مايو المشهورة وهو يشير الى غير حادثة كان الرجل فيها معرّضاً للتأثر بالبيض فاذا كان البيض في طعامه اصيب باحدى هذه الحالات المرضية الشديدة ولكن كاشف الجلد كان سلبيًّا . يقابل هذا انهُ رأى اناساً يتأثرون بالكاشف الخاص بالبيض مثلاً ثم اذا وضع البيض في طعامهم اكلوا هنيئاً مريئاً

أنواع النسيب

والتشبيب في شعر العرب

لعبد الرحمن شكري

ربما كان من المستحسن ان نميز في الاسماء والمصطلحات انواعاً من النسيب نختلف في طريقها وأثرها في النفس وقد لا يوافقني على هذا التقسيم بعض الادباء ولكني اراه يخلط في الكلام عن الشعر والشعراء وأراه يسهل تذوق طريقة كل منهم وفهم اسلوبه فنقول

فالنسيب في الشعر أقسام فمنه ما كان مصدره العشق ومنهُ نسيب الوجدان من غير عشق خاص ومنهُ نسيب الصوفية ونسيب التمثيل او القصص التمثيلية ومنهُ نسيب المحاكاة والصناعة الزخرفية ومنهُ النسيب المشوب بالمجون وهناك انواع اخرى بين بين لانها تجمع بين طريقتين او اكثر وأبعد انواع النسيب هي ما بعدت في هذا الترتيب وأقربها ما اقتربت فيه وقد يجمع الشاعر بين المتقاربين كما قد يخلط الناقد بينهما في حكمه فقد يخلط الناقد بين نسيب العشق ونسيب الوجدان لان الاول جزء من الثاني وهو وجدان متعلق بانسان جميل وقد يخلط بين نسيب الوجدان ونسيب التمثيل لان الشاعر اذا مثّل العاطفة في شخصه او في شخص في قصة لابد ان يكون لهُ من الوجدان الصافي ما يساعد بصيرته الثاقبة في اتقان ذلك التمثيل ولكن نسيب الوجدان هو شعر قد لا يراد به تمثيل العاطفة وانما قد يأتي من الشاعر عفواً كما يصدح الطائر الفريد فهو قد لا يدل على التعلق بانسان معين وقد لا يدل على تمثيل العاطفة تمثيلاً يأتي به مزاج مؤلف القصص التمثيلية او مزاج الفنان الممثل . وقد يخلط الناقد بين نسيب الوجدان ونسيب الصوفية لان نسيب الصوفية يستمد من الوجدان ولكن الحقيقة ان نسيب الصوفية يجمع اخلاطاً كثيرة من الاحاسيس اما في قصيدة واحدة واما في قصائد مختلفة او شعراء مختلفين فتراه يستمد من إحساس العبادة وقد يكون خلال المعبود فيه غالباً لجمال المحبوب وقد يكون العكس وقد ترى في بعض غزل الصوفية قدرة الفنان الممثل للعاطفة وقد تراه يستمد من الصناعة الزخرفية وقد تختلط فيه الافكار وتهوش اذا حاول الشاعر التوفيق بين امور الحياة والكون المتناقضة توفيقاً

لا يفتحه التفكر المنظم. وقد ترى بعض المجون او ما يشبهُ المجون فيه من ذكر محاسن اعضاء الجسم والوصال واللذات والغنى والريق والخمر ويؤول كل ذلك تأويلاً قدسيًّا والحقيقة المعروفة في علم النفس ان الشهوة الجنسية الحقة قد تجد لها منفذاً بهذه الوسيلة عن طريق التعبد . وقد يكون الشاعر الصوفي المكين صادقاً في تعبده وقد يكون آخر من يفطن الى حقيقة عمل النفس هذه

وكذلك قد يجتمع شعر المحاكاة والزخارف وشعر المجون من غير ان يخالطها وجدان او عبادة صوفية . وقد يخلط الناقد بين نسيب المزاج التمثيلي وبين نسيب المحاكاة والزخارف لان الشاعر الذي ينظم النوع الثاني يتدعّي العاطفة او يدعي وصفها ولكنهُ قد تعوزه بصيرة الفنان النافذة الى اعماق النفوس كما يعوزه الوجدان الرقيق الصافي الذي يساعد البصيرة النفسية (السيكولوجية) فاذا اعوزه الوجدان العميق الصافي واعوزتهُ البصيرة السيكولوجية كان نسيبه من نوع شعر المحاكاة والزخارف لا من نوع النسيب التمثيلي الذي نراه في القصص التمثيلية وفيما يلحو نحاها وفيما من شعر غير القصص التمثيلية وكما نراه في شعر الشاعر الذي أتيح له مزاج الممثل الذي يمثل العاطفة فتملكه العاطفة وقت تمثيلها

وهذه الاقسام التي ميزناها في شعر النسيب ليست خاصّة كل منها بعصر في الجاهلية وصدر الاسلام نرى نسيب الشوق في شعر العذريين ونرى نسيب الوجدان اذا لم يتعلق الشاعر الناسب بانسان معين وانما يفيض بوجدانه المتعلق بالخيال ويصدح بحنينه ويغني بانغامه ونرى نسيباً يقرب من نسيب الصوفية وان كان سببه ان فرط الحب أكسب الحب شيئاً من احاسيس العبادة بينما نرى ان العبادة في شعر الصوفيين كانت وسيلة لارضاء عاطفة الحب . ونرى في ذلك العصر ايضاً شعر النسيب التمثيلي الذي يدل على بصيرة فنية سيكولوجية تنظم شعراً يمثل نسيب الشوق او نسيب الوجدان المحض الذين لا يهمها الفن والصنعة ، ونرى ايضاً نسيب المحاكاة التي تفيض فيها العاطفة وقد يجمع الشاعر الى محاكاة الصنعة وصف الذات والمجون فنسيب امرئ القيس نسيب المحاكاة والصنعة . وقد يرق ويلطف ويدل على وجدان وعلى تعلق بانسان جميل من غير ان يكون هذا التعلق عشقاً كما كان عشقاً عميقاً عند قيس بن الملوح او قيس بن ذريح فاذا رق شعر امرئ القيس وقارب شعر العاطفة والوجدان قال في وصف حبيبته : —

تُضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب مُتبتّل .

ولكن اكثر نسيبه نسيب صنعة ووصف للذات . وكذلك نسيب مشهوري الشعراء في ذلك العصر أمثال الاعشى والنابغة وزهير بن ابي سلمى وكعب بن زهير وطرفة بن العبد وغيرهم وهم الذين سنوا سنة غزل المحاكاة لشعراء الدولة الاموية ومحاكاة المحاكاة للعباسيين والمتأخرين وكان البيت الغنطي يزداد كلما بعد العهد بمن سنّ هذه السنة في صناعة الشعر . وقد فطن جرير في عهد

الدولة الاموية الى ان الصناعة وحدها لا تيسّر الشعر ولا تجعله يأخذ بمجامع القلوب فصار يخلط بين تمثيل العاطفة او محاكاتها وبين الوجدان . ومن أجل ذلك كان شعره أرق وأسير في عهده من شعر الشعراء المتأخرين له

ولكنا اذا أردنا ان نجمع مجموعة من شعر النسيب في اللغة العربية نفاخر بها اللغات الاخرى لم نلجأ الى شعر امرئ القيس او الاعشى او أمثالهم ولا الى شعر جرير والاخطل والفرزدق وامثالهم ولا الى شعر ابي نواس ومسلم بن الوليد وابي تمام والبحتري وامثالهم فان هؤلاء امتازوا بالقول في ابواب مختلفة من الشعر ولكن يُرمى في النسيب قيس بن الملوح وقيس بن ذريح وأبو صخر الهذلي وعروة بن حزام وابن الدمينة وجميل بن معمر وكثيّر على قلة ما انتهى الينا من اقوال هؤلاء . وهؤلاء هم الذين قالوا أحسن ما قيل في النسيب في اللغة العربية وبهم نفاخر وهم الذين نرشح لينوبوا عن النسيب العربي في معرض النسيب بين الامم . انظر مثلاً الى قول قيس بن الملوح من قصيدة في التذكر والتمني وهما موضوعان هامان من موضوعات النسيب قال : —

فوالله ما انساكِ ما هبت الصبا ... وما غرّد الطيرُ الغريبُ في وضح الفجر
وما لاح نجم في السماء وما بكت ... مطوّقةٌ شوقاً على فنن الدر
وما طلعت شمس لدى كل شارق ... وما هطلت سحب على واضح الزهر

الى ان قال : —

تداويت من ليلى بليلى من الهوى ... كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
اذا ذُكرت يرتاح قلبي لذكرها ... كما انتفض العصفور من بلل القطر
ألا ليتنا كنا غزالين نرتعي ... رياضاً من الجوزاء في بلد قفر
ألا ليتنا كنا حمام مفازة ... نطير ونأوي بالعشيّ الى وكر

واسمع في ذكر أمانيه المختلفة الى ان قال : —

وداعٍ دعا اذ نحن بالخيف من منى ... فهيّج إطراب الفؤاد ولا يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلى طائراً كان في صدري

فهذا الشعر ليس فيه روعة الصنعة التي في غزل أصحاب المعلقات ولكنهُ شعر صادق دافق من القلب يدل على أن قائله شاعر بطبعه وخياله ووجدانه ويدل على عاطفة صادقة تأخذ المألوف من مظاهر الكون والخليقة من تغريد الطيور في وضح الفجر ومن هبوب النسيم وهطول المطر ونضرة الزهر وانتفاض العصفور والحمام في الوكر والغزال في القفر كي تعبر بها عن ذكريات القلب وأمانيه وهذه الوسائل التي تستخدمها والتشبيهات هي الوان مادة الشاعر فليس كل شعر يحتويها

بشعر كما ان ليست كل صورة ذات الوان بصورة . وانما العاطفة هي التي تجعلها شعراً . وانظر الى قول قيس بن الملوح ايضاً : —

واحبس عنك النفس والنفس صبة بذكراك والسعي اليك قريب
مخافة ان تسعى الوشاة بنظرة وأحرسكم ان يسترب مريب
سأستعطف الايام فيك لعلها يوم سرور من هواك تؤوب

وقوله: — فاصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح في أعقاب نجم مغرّب

وقوله: — الله يعلم أن النفس هالكة باليأس منك ولكني أمنيها
وساعة منك ألقاها وإن قصرت أشهى لديَّ من الدنيا وما فيها

وقوله: — وكنت كذبّاح العصافير دائباً وعيناه من وجدٍ عليهنَّ تهمل
فلا تنظري ليلى الى العين وانظري الى الكف ماذا بالعصافير تفعل

وهو لا يعني كل ذبح للعصافير وانما هو فرض كي يتمثل معنى فعل الحب به وانظر الى قوله في قصيدته الميمية الكبيرة :

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
وخبرتماني ان تيماء منزل لليلى اذا ما الصيف القى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قصرت فما للنوى ترمي بليلى المراميا
وما طلع النجم الذي يهتدى به ولا الصبح الا هيّجا ذكرها ليا
اعد الليالي ليلة بعد ليلة وقد عشت دهراً لا أعد الياليا
يقولون ليلى بالعراق مريضة فياليتني كنت الطبيب المداويا
ولم أرَ مثلينا خليلين جناية أشد على رغم العداة تصافيا
خليلان لا نرجو لقاه ولا نرى خليلين الا يرجوان التلاقيا
واني لأستحيك ان تعرض المنى بوصلك او ان تعرضي في الدجى ليا
وأنت التي ان شئت أشقيت عيشتي وأنت التي ان شئت ألهيت باليا
واني ليغشى لقاؤك كلما لقيتك يوماً ان ابتك ما يا
اذا سرت في ارض خلاء وجدتني اصانع رجلي أنَّ ليلى حذائيا
يميناً اذا كانت يميناً وان تكن شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا
واني لاستغني وما بيَ غنية لعل خيالاً منك يلقى خياليا
هي السحر لولا ان للسحر رقية واني لا القى لها الدهر واقيا

لا اظن ان شاعراً يستطيع ان يميز الشعر الصادق بقول كما قال بعض الكتاب ان شعر قيس

ابن اللوح من وضع الرواة ومن ثبت هذا لم يكن له وجود نحن نفهم هذا القول لو كان الشعر ذكراً او بارداً او كاذباً او مصطنعاً (١) يستطيع ان يقوله كل انسان اما ان يصنع الرواة شعراً من أصدق وأحسن ما قيل في اللغة العربية من النسيب فهذا رأي لا نستطيع الأخذ به وأما ان بعض ابيات الشاعر نسبت الى اكثر من شاعر فهذا لا يدل على شيء وانه مثيل في كل عصر. وهذا شعر ابي تمام فيه ابيات وقصائد منسوبة الى شعراء آخرين وهذا لا يدل على ان ابا تمام لم ينظم شعراً ولم يكن له وجود وظاهرة انكار الوجود هذه ظاهرة مألوفة فقد انكروا وجود هومير وشكسبير. وهناك مؤلف مؤرخ ينكر وجود سيدنا عيسى عليه السلام وقد اختلف الرواة في نسبة شعر كثير فاختلفوا في نسبة قصيدة (صاح في العاشقين يا لكنانه) وفيها البيت المشهور

خطرات النسيم تجرح خدّيه ولمس الحرير يدمي بنانه

وهي ليست من شعر المتقدمين حتى يقال ان قدم الزمن هو الذي انسى الرواة ولم يقل احد انها من صنع الرواة انقسموا واختلفوا في نسبة شعر كثير لمتأخرين كقصيدة :

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب انبك ان التفصي وانتهى الطلب

فنسبت لابن اخيمي ونسبت لنجم الدين بن اسرائيل. واختلاف الرواة في نسبة بعض شعر قيس بن الملوح لا يدل على شيء فان شعره يدل على شخصية حية وعلى شاعر من الطراز الاول. وشاهدي في تلك الخصائص وفي تلك المنزلة قيس بن ذريح انظر الى قوله : —

لقد كان فيها للامانة موضع وللنفس مرتاد وللعين منظر
وللحائم العطشان ري بحسنها وللعرح الخثان خمر ومسكر
كأني لها ارجوحة بين أجبل اذا ذكرة منها على القلب تخطر

وقوله: —احبك أصنافاً من الحب لم أجد لها مثلاً في سائر الناس يوصف

فمنهنّ حب للحبيب ورحمة لمرفقي منها بما يتكلف
وحب بدا بالجسم واللون ظاهر وحبٌ لدى قلبي من النفس ألطف

والى قوله : —

تعلق حبي روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد
فزاد كما زدنا فأصبح نامياً وليس اذا متنا بمنصرم العهد
ولكنهُ باقٍ على كل حادث وزائرنا في وحشة الموت واللحد

وقوله: —اذا طلعت شمس النهار فسلمي فانية تسليمي عليك طلوعها

(١) مثل ذلك اذا قرن القارىء المتذوق معلقة عنترة العبسي (وهي لا شك من شعر شاعر) وبعض القصائد النافرة الركيكة التي تنسب لعنترة سهل عليه تمييز الشعر الصادق والشعر الموضوع

وقوله: — يلبي أنادي عند اون غشية ويثني بها إنداعي فأسبق
فتسرحني اذا ماذرّت الشمس ذكرها وفي ذكرها عند المساء غروق

وقد كان من رأينا دائماً ان شعر العاطفة والوجدان يتقارب في جميع اللغات وانما الذي يتباعد في اللغات شعر الصنعة والمحاكاة بالصنعة لأن هذا أساسهُ العرف والاصطلاح والذوق الاقليمي. أما شعر العاطفة والوجدان فهو واحد في كل إقليم وانك لو نقلت الشعر الذي استشهدنا به من شعر قيس بن الملوح او قيس بن ذريح الى اللغات الأوربية لطرب لهُ القراء كما يطرب قراء العربية اذا نقل اليها شعر العاطفة والوجدان من اللغات الاوربية نقلاً صحيحاً لا سخيفاً.

ويقارب قيس بن الملوح وقيس بن ذريح في طريقتها يزيد بن الطثرية الذي يقول: —

برغمي أطيل الصد عنها اذا بدت أحاذر أسماعاً عليها وأعينا
أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ويقول: أحبك أطراف النهار بشاشة وبالليل يدعوني الهوى فأجيب
أجبك حب اليأس لو ينفع الهوى وإن لم يكن لي من هواك طبيب

ويقول: بنفسي من لو مرَّ بردُ بنانه على كبدي كانت شفاء أنامله
ومن هائمي في كل شيء وهمته فما هو يعطيني ولا أنا سائله

ويقول: أليس قليلاً نظرة إن نظرتها اليك وكلا ليس منك قليل
فيا خلة النفس التي ليس فوقها لنا من اخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم يُطّلع به عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام اشتكي غربة النوى وخوف العدا فيه اليه سبيل
وكنت اذا ما جئتُ جئت بحاجة فأفنيت علاني فكيف أقول

ومثل هذا الشعر في صدق التعبير عن الأحاسيس النفسية شعر أبي صخر الهذلي الذي يقول:

لقد كنت آتيها وفي النفس هجرها بتاتاً لأخرى الدهر ما طلع الفجر
فما هو إلاّ أن أراها فجاءة فأبهت لا عرف لديَّ ولا نكر
وأنسى الذي قد كنت فيه هجرتها كما قد تُنسّي لبَّ شاربها الخمر
وقد زكني أحمد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر
تكاد يدي تمتد اذا ما لمستها ويثبت في أطرافها الورق الخضر
وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلّلهُ القطر

فهذا الشاعر لا ينظر في دواوين الشعراء كي يرى ماذا يقال في وصف هذه العاطفة وكيف يقال وانما ينظر في نفسه وأحاسيسها وهواجسها وما يعتري نفسه وجسمه من أثر العاطفة. ومن

شعراء هذه الطريقة بين الذمنة فان شعره يرق ويصفو ويكتسب من وجدانه وعاطفته انغاماً عذبة انظر الى قوله : —

أرى الناس يرجون الربيع وانما ربيعي الذي أرجو نوال وصالكِ
أرى الناس يخشون السنين وانما سنيَّ التي أخشى صروف احتيالكِ
فان سامني أن يطفئي جمرة لقد سرني أني خطرت ببالكِ

والى قوله : —

وقد زعموا ان الحب اذا نأى يمل وأن النأي يشفي من الوجد
بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذي ود

وقوله : وإني لأستحيكِ حتى كأنما عليَّ بظهر الغيب منكِ رقيب
بنفسي وأهلي من اذا عرَّضوا له ببعض الأذى لم يدرِ كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البريء ولم تزل به سكتة حتى يقال مريب

وهذه الأبيات الأخيرة انما هي مثل من شواهد الخبرة بعلم النفس التطبيقي التي اكتسبها هؤلاء الشعراء لكثرة تأملهم في صفات النفوس وهذه الخبرة بالنفس تقل في شعر المتأخرين أو تعدم إلا ما كان مأخوذاً بالمحاكاة عمن قبلهم ومن شعراء هذه الطريقة أيضاً جبل بن معمر انظر الى قوله : —

لقد قلتُ في حيي لكم وصباتي محاسن شعر ذكرهن يطول
فان لم يكن قولي رضاك فعلمي نسيم الصبا يا بثنُ كيف اقول
فما غاب عن عيني خيالك لحظة ولا زال بعضها والخيال يزول

وقوله : — ومما شجاني انها يوم أعرضت تولت وماء العين في الجفن حائر
فلما اعادت من بعيد بنظرة اليَّ التفاتاً اسلمتهُ المحاجر

على مثل هذه المشاهد النفسية وأمرها كان يعتمد هؤلاء الشعراء لا على المبالغة والتشبيهات البعيدة فكان شعرهم على سهولة وبساطة مشاهداتهم أوقع في النفس من المبالغة والتشبيهات البعيدة وانظر الى نصيب كيف يستخدم ما يشاهد من حياة الطيور لتصوير عاطفته في قوله : —

كأن القلب ليلة قيل يُغدَى بليلى العامرية او يُراح
قطاة غرَّها شَرَكٌ فباتت تُجاذبهُ وقد علق الجناح
لها فرخان قد تُركا بوكر فشبها تُصفِّقهُ الرياح
اذا سمعا هبوب الريح فضًّا وقد أودى بها القدر المتاح

وللشاعر كُثيِّر اشعار عذبة تدل على وجدان ولو انهُ كان يتهم بادعاء العاطفة الظر الى قوله:

وأدنيتني حتى اذا ما ملكتني بقول يحق الحق سهل الابطح
تناهيتِ عني حين ما لي حيلة وغادرتِ ما غادرتِ بين الجوانح

وقولهُ في تائيته الكبيرة:

وقلت لها يا عزّ كل مصيبة اذا وُطِّنتْ يوماً لها النفس ذلت
واني وتهياء بعزة بعدما تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوَّأ منها للمقيل اضمحلت

وقوله: — كريم يميت السر حتى كأنهُ اذا استخبروه عن حديثك جاهلهُ
ويرتاح للمعروف في طلب العلا لتحمده يوماً عند ليل شمائله

وفي هذه الابيات ايضاً خبرة بصفات النفوس ودراسة سيكولوجية تصور لأثر الحب في النفوس العالية. ومن اشعر العذب الشهي قول ابي بكر الزهري: —

ولما نزلنا منزلاً طلهُ الندى ... ايفاً وتاهاً من النَّوْر حاليا
أجدَّ لنا طيبُ المكان وحسنهُ مَنَّ فتنينا فكنتِ امانيا

وقول الحارثي: —

منىً إن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلاَّ فقد عشنا بها زمناً رغدا

وكأنما كانت هذه الطريقة عاصفة اشترك في اثارتها المرقش وعروة بن حزام وابن الدمينة وأبو صخر الهذلي وجميل بن معمر وعمر بن ابي ربيعة (وان كان شعره اقرب الى اللهو والعبث) وكثيِّر وقيس بن الملوح وقيس بن ذريح والعرجي والخزومي وابو دهبل وابن الرقيات وابن الطثرية وابن ميادة والاحوص ونصيب والمجنَّل وذو الرمة والابيرد وابو حية النميري وتوبة ابن الحميِّر والنهدي ومزاحم ووضاح اليمن وعروة بن اذينة وغيرهم وامتدت الى عصر الحسين ابن مطير والعباس بن الاحنف. ولم ينعدم شعر العاطفة والوجدان بعد ذلك فانا نرى شعراء الصنعة امثال بشار وابي نواس ومسلم وابي تمام لهم بجانب مجونهم نسيب وجداني رقيق ولكنهُ قليل. وقد كان البحتري ذا مزاج فنيٍّ يشبهُ مزاج المثل الذي يتملكه ما يمثل من الاحاسيس. ومن اجل ذلك كان لهُ نسيب رقيق عذب. ولابن الرومي نسيب وجداني صادق ولكنهُ قليل[1] وكان الشريف الرضي ذا وجدان فجاء نسيبه وجداني النزعة وحاكاه مهيار ثم اعتمد الشعراء

(١) من نسيب ابن الرومي الرائع قوله:

اعانقها والنفس بعد مشوقة اليها وهل بعد العناق تداني
كأن فؤادي ليس يشفي غليله سوى ان يرى الروحين يمتزجان

بعد ذلك على المقالات والتشبيهات البعيدة او الزخارف. وكان اكثر شعرهم محاكاة لمعاني من سبقهم ولم يخلف شعراء الصوفية مجموعة شعر تعين على كما فعلوا ولكني اظن ان محيي الدين بن العربي والسهروردي وابن اسرائيل وابن الفارض لو قدم بهم الزمن او لو تأثروا بوجدان الشريف الرضي واسلوبه لكان شعرهم ارقى منزلة فان فيهم طبع الشعراء ومزاجهم ولكن تعوزهم قوة الاداء وفخامة الاسلوب وحسن الاختيار. فقصيدة السهروردي المشهورة التي مطلعها

ابداً نحنُّ اليكمُ الارواح ووصالكم ريحانها والراح

تبدأ مبدأ رائعاً ولكنها تفتر متأثرة بطريقة المتأخرين من ضعف في الاداء

وقد اشتهر بهاء الدين زهير شهرة لا تناسب قيمة شعره فالهُ قوة في الأداء ولا فخامة ولا روعة في الأسلوب ولا وجدان عميق وأنغامه أنغام لفظية رخيصة مثل قوله : —

أنا بالعاذل ألهو أنا بالعاذل ألعب

وأحسن قصيدة في النسيب قالها شعراء الأندلس والمغرب هي قصيدة ابن زيدون النونية التي يقول في مطلعها : —

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ونابَ عن طيب لقيانا تجافينا

وهي تجمع بين علو الصنعة وصفاء الوجدان فليس لمحمد بن هانئ الأندلسي في النسيب ولا لابن حمديس ولا لابن خفاجة قصيدة تدانيها في هذه الصفات. وهذه القصيدة تذكرني بما يحكي عن بعض الطيور التي اذا حان حينها جمعت كل قوى روحها واطلقتها في تغريدة قبل موتها. ونسيب ابن زيدون على العموم اكثر وجداناً من نسيب الآخرين وان كان قد برزه الآخرون في صفات أخرى فبزه ابن خفاجة وابن حمديس في الأوصاف وربما كان قد بزه ابن هانئ الأندلسي في الأسلوب الخطابي وإن لم يكن تحت أسلوب ابن هانئ الاندلسي الخطابي دائماً معنى او مزية . على ان لمحمد بن هانئ قصائد رقيقة يتغنى بها مثل قصيدة (فتكات طرفك أم سيوف أبيك) وقصيدة (قمر في مأتم على العشاق)

أما نسيب ابن سهل فهو نسيب رقيق يتغنى بعضه ولكنهُ ليس فيه روح العاطفة وتروتهم الشعرية ولا يحاول قائله الاناقة في الاداء التي تزيد النسيب عذوبة وبعض الاناقة يفعل ذلك كما أن بعضها يثقل الشعر . ومما يُتغنى به قوله (سل في الظلام أخاك البدر عن سهري)

ومن القسم الذي فحصناه يتضح انهُ ليس من المحتوم أن يطالب الشاعر بعشق كي يجيد النسيب ولكنهُ مطالب بوجدان يصدح ويعبر عن نواحي تلك العاطفة وبمزاج فني سليم وبصيرة سيكولوجية تمكنهُ من فهم أحاسيس النفس ومن تصويرها

ابن بدر

وكتابه التفيس

لفريد حافظ طوقان

عثر المستشرق التشيكي الدكتور (نيكل) في اثناء زيارته لمدريد عام ١٩٣٣ على الكتاب الآتي : « كتاب فيه اختصار الجبر والمقابلة » تأليف ابن بدر ، فكرّم وأرسله اليّ ، فاستحق بذلك الشكر الجزيل على هذه الهدية العلمية النفيسة

وأول ما استوقف نظري اسم المؤلف « ابن بدر » ، ومع اني من الذين يعنون بتاريخ تقدم العلوم ولا سيما الرياضيات عند العرب والمسلمين لا اذكر انّي مررت على هذا الاسم في دراساتي ولدى البحث الدقيق وجدت ان ابن بدر كغيره من علماء العرب اصاب الاهمال تراثه وأحاط الغموض حياته فلا نجد شيئاً يذكر عن مآثره في كتب تاريخ العلوم الرياضية ،وهو الذي برع فيها ووقف جهوده عليها وأخرج فيها مؤلفاً من انفس المؤلفات كله مادة وكله فائدة وكله متاع

وكل ما استطعنا ان نصل اليه عن ابن بدر انهُ من علماء اشبيلية من اعمال اسبانيا ظهر في اواخر القرن الثالث عشر للميلاد واسمه ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن بدر

وكتاب «اختصار الجبر والمقابلة» الذي بين ايدينا مطبوع في مدريد عام ١٩١٦ في المتين العربية والاسبانيولية وقد وقف على طبعه يوسف شانجاس بيره الجبريطي . والطبعة العربية غريبة في اشكال حروفها ؛ تصعب قراءتها فبعض هذه الاشكال يختلف تماماً عن اشكال الحروف الحالية ، فشكل الحرف (د — دال) هو غير الشكل الذي نعرفه ، وعصا الحرف (ط) مائلة جداً ، وكذلك اشكال الحروف (ج ، ح ، خ ، ر ، ك) شملها تعديل بسيط

والكتاب منسوخ عن مخطوطة نسخها عبد الصمد بن سعد بن عبد الصمد من فاس عن مخطوطة قديمة . ويقول في نهاية الكتاب : « . . . أتممت قراءة هذا الكتاب بعد ان كنت فهمتهُ من غير هذه النسخة ، وأصلحت ما ظهر لي فيها من الفساد بسبب فساد النسخة المنقول منها هذه ، وذلك في الرابع من شوال عام اربع وستين وسبعمائة (هجرية) قال ذلك وكتبهُ بخط يده الفانية العبد المعترف بذنبه الراجي مغفرة ربه عبد الصمد بن سعد بن عبد الصمد ، لطف الله تعالى به . وذلك بسجانة القصر من داخل مدينة فاس . . . والحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده . . . »

يبدأ الكتاب بما يدور عليه الجبر من اعداد وجذور وأموال ، والمقصود من الجذر المجهول (س) ومن المال مربع الجذر (س^2) ، ويوضح كلاً من هذه الاشياء الثلاثة ، ويذكر مسائل الستة وهي المذكورة في كتاب الخوارزمي وكتب غيره من علماء المسلمين والعرب

فالمسألة الاولى — اموال تعدل جذوراً اي ان : م س^2 = حـ س

والمسألة الثانية — اموال تعدل عدداً اي ان : م س^2 = ب

والمسألة الثالثة — جذور تعدل عدداً اي ان : هـ س = م

والمسألة الرابعة — اموال وجذور تعدل عدداً اي ان : حـ س^2 + هـ س = ب

والمسألة الخامسة — اموال وعدد يعدل جذوراً اي ان : م س^2 + ب = حـ س

والمسألة السادسة — جذور وعدد تعدل اموالاً اي ان : حـ س + ب = هـ س^2

ثم يأتي على كيفية حل كل من هذه المسائل بطريقة لا تختلف عن التي نعرفها الآن . وبعد ذلك نجد ابواباً تبحث في الجذور واضافها وتجزئتها وضربها وقسمتها وجمعها وطرحها ، ويقصد من الجذور هنا الأعداد التي تحت علامة الجذر التربيعي من التي لها جذر والتي ليس لها جذر أي الجذور الصماء . ومن هذه الموضوعات وما حوتها من أمثلة عددية كثيرة نتبين ان ابن بدر كان ملمًّا الماماً جيداً بنظريات القوى والجذور الصماء وكيفية اجراء الاعمال الاربعة عليها مما نجده الآن في كتب الجبر للمدارس الثانوية . وبعد هذا ينتقل ابن بدر الى ضرب المجاهيل في بعضها والى اللامتين (الزايد والناقص) وما يسودها من قوانين حين الضرب وحين القسمة ، وكذلك الى جمع الاشياء والاموال والكعوب بعضها الى بعض ، وطرحها بعضها من بعض ، وقسمتها بعضها على بعض . وقد أتبع هذه البحوث باباً « في معرفة الجبر والمقابلة » جاء فيه : « الجبر هو الزيادة في كل ناقص حتى لا ينقص والمقابلة طرح كل نوع من نظيره حتى لا يكون في الجهتين نوعان متجانسان .. »

اي انه لو كان لديك المعادلة : ١٠٠ — ١٠ س = ٧٠

فبالجبر تصبح ١٠٠ = ٧٠ + ١٠ س

وبالمقابلة تصبح ٣٠ = ١٠ س .

وهناك من علماء العرب من عرف « الجبر والمقابلة » بغير هذا الا أن الاختلاف في التعاريف بسيط جداً حتى يمكننا القول ان الخوارزمي ومن أتى بعده من علماء العرب كأبي كامل وابن البناء والآمدي والقلصادي وغيرهم اتفقوا في تفسيرهم الكلمتين — الجبر والمقابلة — بعد كل هذا أتى ابن بدر على تطبيقات في المسائل الست وهي (على رأيه) : « التي يدور عليها جميع الجبر » كما جاء على مسائل اخرى وضعها في ابواب متنوعة سماها : باب مسألة العشرات ، وباب في مسائل الاموال

وباب في الصدقات ، وباب في القمح والشعير وفي التجارة. وقد يرغب القارىء او عبارة اصح بعض القراء ان نأتي على امثلة من هذه الاسئلة : جاء في باب العشرات : « عشرة قسمتها الى قسمين فضربت كل قسم في نفسه وجمعت الضربين فبلغ اثنين وثمانين » . وجاء في باب مسائل الاموال : « اذا قيل لك مال طرحت منهُ ثلثه وربعه واربعة دراهم وضربت ما بقي في مثله فعاد المال واثنا عشر درهماً .. » . ومن مسائل باب التجارة : « اذا قيل لك رجل كان معهُ مال قاسمهُ رجل وفضله بدرهم ثم قاسمهُ بالباقي رجل ثان وفضله بدرهمين ثم قاسم بالباقي رجلاً ثالثاً وفضله بثلاثة دراهم وبقي معه عشرة دراهم. كم المال ... » . ومن باب الصدقات : « امرأة تزوجت ثلاثة ازواج فأصدقها الاول شيئاً مجهولاً وأصدقها الثاني جذر ما أصدقها الاول ودرهماً وأصدقها الثالث ثلاثة امثال ما أصدقها الثاني واربعة دراهم فكان المجتمع اربعين .. » . ومسائل باب القمح والشعير لا تختلف حلها عن التي تقدمت . وهكذا سار ابن بدر في مسائل وقد حلها جميعها وكان يُرجع المسألة الى حالة من حالات المسائل الست ثم يجري عليها طريقة حل تلك الحالة . ومن غريب الأبواب التي وجدناها في الكتاب باب الجيوش دخل فيه مسائل تحتاج الى استعمال المتواليات العددية وقوانين جمعها ويقول بهذا الشأن : « ... وعلة عمل الجيوش وتفاضل الفلة نوع من انواع الجمع وهو اذا تفاضلت الاعداد بعدة معلومة دون التضعيف فاضرب التفاضل في عدة الأعداد الا واحداً ، فما بلغ فاحمل عليه اول الاعداد يكن ذلك آخر الاعداد فاحمل عليه اول الاعداد واضربهُ في نصف العدة أعني عدة الاعداد يكن ذلك المطلوب ... » . وهنا يأتي ابن بدر على قانون جمع المتواليات العددية وقد كان معروفاً قبله فلو اخذنا المتوالية العددية : ٤و٧و١٠و١٣و١٦ . فالتفاضل هو ٣ وعدة الاعداد في هذه الحالة ٥ وعلى هذا فمجموع هذه الاعداد بحسب ما يقول ابن بدر كما يلي : —

٣ × (٥ — ١) =	١٢	
١٢ + ٤ =	١٦	وهو آخر اعداد المتوالية العددية
١٦ + ٤ =	٢٠	
٢٠ × ٢/٥ =	٥٠	وهو مجموع الاعداد

وفي الكتاب ايضاً باب البريد وفيه مسائل تتعلق بسير البريد وخروجه واللحاق به منها : « اذا قيل لك بريد خرج من بلدة ، وامره ان يسير كل يوم عشرين فرسخاً فسار خمسة ايام ثم ارسل بعده بريداً آخر وامره ان يسير كل يوم ثلاثين فرسخاً . في كم يوم يلحقهُ ... »

ولا يخفى على مدرسي الرياضيات بالمدارس الثانوية ان هذه المسألة على نمط كثير من المسائل في كتب الحساب الحديثة . ونأتي الآن الى الباب الأخير وقد سماه « باب الالتقاء » ولعل القارىء يدرك نوع مسائله من المسألة الآتية : « اذا قيل لك رجلان التقيا ومع كل واحد

منهما مال ووجدا مالاً فقال احدهما لصاحبه اعطني مما معك دراهماً وهذا المال الموجود يكون معي مثل ما بقي معك ، وقال الآخر بل انت ان اعطيتني مما معك اربعة دراهم وهذا المال الموجود يكون معي ثلاثة امثال ما بقي معك : كم كان مع كل واحد منهما وكم المال الموجود ؟ اي ان : س + ١ + ع = س

س + ١ + ٤ + ع = ٣ (س — ٤)

وهنا فرض ابن بدر ان ما مع الاول س وما مع الثاني س + ١ والمال الموجود ع

وعند حل هذه المسألة وغيرها من مسائل باب الالتقاء وباب القمح والشعير خرج ابن بدر بمعادلات غير معينة وقد اطلق على هذا النوع من المسائل « المسائل السيالة » لانها « تخرج بجوابات كثيرة » او بأجوبة كثيرة . وفي هذه المناسبة اوى ان استعمال « المعادلات السيالة » خير من استعمال « المعادلات غير المعينة » واني أوجه نظر لجنة العلوم الرياضية والطبيعية في مجمع فؤاد الاول للغة العربية الى هذا الاصطلاح الرياضي فلعلهم يأخذونه فيكونون قد اجروا — اصبح اجراً — استعماله استعمالاً ويفي بالمعنى المقصود من « المعادلات غير المعينة » . وقد حل ابن بدر كثيراً من المسائل التي تؤدي الى معادلات سيالة بطرق ملتوية تدل على قوة فكره ورسوخه التام في علم الجبر . ويمكن القول بأن أكثر المسائل التي أتى بها ابن بدر في كتابه مسائل عملية تتناول ما كان يقتضيه عصره من معاملات في التجارة او الصدقات واجراء الغائم والمرتبات على الجيوش كما تطرقت الى البريد وسيره والحاق به والى طرق البيع والشراء في القمح والشعير . وهذه ميزة امتازت بها المؤلفات العربية القديمة فلقد كان رياضيو العرب يفضلون المسائل العملية والتي تتعلق بحاجات العصر ومقتضياته ، وحبذا لو يتبع المؤلفون هذه الطريقة في وضع المسائل الرياضية في ذلك ما يعود على الطلاب باكبر الفوائد مما يجعلهم يدركون مكانة العلوم الرياضية من الوجهة العملية في نواحي الحياة المختلفة واتصالها الوثيق بأعمال الانسان المادية . واخيراً نجد « مسألة من شاذ » يظهر انها من وضع عبد الصمد الناسخ الاول للكتاب وقد وضعت في ذيله وهي : « .. إذا قيل لك مائة وزة تعلف في الليلة الواحدة مائة برشالة ومات منها كل ليلة واحدة الى ان فني عددها . كم توفر من الطعام وكم أنفق من الطعام . . . » ولا يخفى ان حل هذه المسألة يتطلب استعمال قانون جمع المتواليات العددية ، وقد جاء الحل كاملاً في الكتاب . ويقال ان محمداً ابن القاسم الغرناطي في القرن الرابع عشر للميلاد شرح كتاب ابن بدر شرحاً وانه محفوظ في احدى المكتبات في المغرب

والآن . . وبعد ان أتممنا تقديم كتاب ابن بدر والتعليق عليه يتبين لنا فضل المؤلف على الجبر وسعة اطلاعه فيه ، وقد صاغ قوانينه واصوله في لغة بليغة واسلوب أخاذ . وعلى كل حال فالكتاب يمثل اثراً من الآثار الخالدة التي تركها العرب للاجيال — كانت من أهم عوامل تقدم الرياضيات العالية وسائر العلوم الطبيعية التي قامت عليها الاعمال الهندسية الكبرى والنهضة الصناعية الحديثة

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

— ٢١ —

لمحمود مصطفى الدمياطي

شَجَرَةُ الجَوْزِ الهِنْدِيِّ

ويقال لثمرها (النَّارجيلُ) و (الشُّنْصُورُ) كما جاء في القيروزباديِّ وفي « البستان » أنهُ (جَوْزُ البَحْرِ) و (النارجيل البحريّ) اسمها العلميّ (Cocos nucifera, L.) (فوقوس نوميفرا) وفصيلتها النخلية (Palmées) (بالمي) وبالانجليزية (Cocoa-nut tree) وبالفرنساويَّة (Cocotier cocotier)

تثمر في جميع بلدان المنطقة الحارة وموطنها الأصليّ بلاد الهند او مجموعة الجزائر المجاورة لها . جذعها ليس بالضخم يرتفع كالعمود الى ٢٥ متراً او أكثر وينبتها في الارض مجموعة بسيطة من جذورها الدقاق وفي أعلى الساق منها طاقة عظيمة من أوراق (سعف) معقوفة في نظام تام كأنها تاج قد يبلغ طول الواحدة منها ستة أمتار وعرضها متر . أزهارها ضاربة الى الصفرة تنشأ في إبط الأوراق السفلى على شكل نورة عنقودية . الذكرية منها تشمل الجزء العلويّ والأنثوية وعددها أقل كثيراً توجد في أسفله . ويكون لهذا العنقود قبل الإزهار غلاف عبارة عن قنابة كبيرة تنفتح من جوانبها كقنو النخل العادي . ثمرتها جوزة في حجم رأس الانسان لكنها مثلثة الزوايا قليلا . قشرتها ليفية سُخَيَّة مغطاة بأخرى ملساء ضاربة الى الخضرة . نواتها بيضية الشكل صلبة جداً مع ان سمكها لا يزيد على أربعة ملّيمترات . لوزتها وهي الجوزة التي تؤكل عادة جوفاء تشتمل قبل تمام نضجها على سائل لبنيّ لذيذ الطعم اذا شرب طازجاً . لحمها في أول أمره ذو عصارة ثم لا يلبث ان يصير ذا ألياف كالجلد . وتؤكل جوزة الهند في أواسط نضجها حين تكون مادة اللوزة كالقشدة الثخينة نوعاً كما تؤكل بعدئذ حين تكون لوزتها أشد صلابة وطعمها كطعم البندق . وعلى كل حال يجب الاعتدال في أكلها لأنها عسرة الهضم . ويصنع من جوزة الهند مستحلب مغش كما يتحصل منها على زيت يستعمل وقوداً . وفي الصناعة الحديثة يخلطون دهن جوز الهند مع اللبن فيكون منهُ زبد وهو السمن الصناعي المعروف في التجارة باسم (Cocose, Végétaline) يطهون به الطعام . ويصنع من مبشور اللوز أنواع من الحلوى معروفة ومرغوبة . وقشر الجوزة يستعمل كوعاء . والألياف تستعمل في صنع الحبال وفي « حَلْفَطة »

السفن . واذا استقطرت عصارة الشجرة نتج منها شراب مُسكر كالعرقي Eau-de-vie يسمّى في بلاد الهند (عَرَق نيبودين) (Arrack de palm) ويصنع من الأوراق سلال وشباك وحصر. هذا ويمكن أكل البرعم الطرفي من الشجرة chou palmiste كما يؤكل الجُمّار في مصر

الأَنَبُ أو الباذنجان

وبرادفهُ من لغة العرب الفصيح (الحَدَقُ) شبّه بحدق الماء و(الخَيْصَل) و(العَضَد) فهو (الباذنجان) بكسر الذال وقد تفتح كما في المصباح تعرّب (بادنكان) بالفارسية ومعناها بيض الجانّ ويقال لثمره الذي يؤكل (الوَغْد)—عشب من جنس عنب الثعلب يزرع سنويًّا وهو في ملمس القطن على نوع ما يتراوح ارتفاع ساقه بين ٣٠ سنتيمترًا و ٤٠ متفرّع ومزوّد هنا وهناك بأشواك دقاق صفر اللون أو بيض . أوراقه بيضية الشكل حادة الطرف ذات أعناق وعلى سطحها السفليّ اشواك . أزهاره بنفسجية اللون أو بيض ذات أعناق وتوجد فرادى متقابلة مع الأوراق . ثمرته وهي الجزء الذي يؤكل من النبات تكون في حجم بيضة الأوزة أو البرتقالة كريّة الشكل أحيانًا وأحيانًا بيضيّة ذات سطح برّاق كثيرة اللحم من الداخل ولونها بنفسجيّ عادة . وأشهرها ما كان مستطيلاً أسود أو بنفسجيًّا ومنهُ صنف أبيض بحتي

اسمهُ العلمي (Solanum melongena) (سولانوم ملونغنا) وفصيلته الباذنجانية وبالانجليزية (Aubergine, Mélongène, Morelle Mélongène : وبالفرنسية Egg-plant or Aubergine)

يزرع في جنوبي أوربا وجزائر الهند الشرقية والغربية ومصر والسودان وثماره مرغوبة جدًّا تتخذ عند تمام نضجها غذاء وتؤكل مقلوّة او شواء أو تطهى بطرق متنوعة كالطماطم

وثمّ نوع يعرف (بالباذنجان الأبيض) وهو غير المعروف عندنا

اسمه العلمي (Solanum ovigerum) (سولانوم اويغروم) وبالانكليزية (Oval-egg-plant) وبالفرنسية (Plante aux oeufs, Poule pondeuse, Morelle à oeuf ou ovigère)

يزرع للزينة ثماره ذات لون ابيض حليبي الواحدة منها تشبه بيضة الدجاجة لكنها لا تؤكل لأن فيها عناصر سامة حرّيفة اسمها (السولانين) (Solanine) فقد يوجد في هذه الثمرة قبل تمام نضجها حتى اذا تناولته الانسان صار هضمه رديئاً

الاسقالُ أو الاسقيلُ (العُنْصل)

ويقال له (بَصَلُ العُنْصُل) و (بَصَلُ الفَأْر) نبات ذو بصلة مغشاة بطبقات كثيرة الحجم لها ساق جذرية ستتية يبلغ طولها في الغالب ٨٠ سنتيمترًا الى متر تنتهي بشوكة مستطيلة من أزهار بيض ذات بقع خضر . أوراقه الناشئة بعد الازهار بيضيّة الشكل أو شبيهة بالنصل ضيّقة ذات أخاديد طولية يتراوح طول الواحدة منها بين ٣٠ سنتيمترًا و ٤٠ . وقد تبلغ البصلة حجمًا كبيرًا وتزن الى كيلو جرامين . ولونها من الخارج اسمر ضارب الى الحمرة

اسمهُ العلمي (Scilla maritima) (اسكيلا ماريتا) وفصيلته الزنبقية وبالانكليزية (Squill. Sea onion) وبالفرنسية (Scille maritime ou officinale) وهو ينمو في السواحل الرملية من المحيطات وسواحل البحر المتوسط . وحراشيف البصلة منه ذات طعم حرّيف ومرّ وتستعمل في الطب إما مسحوقة أو صبغة لإدرار البول وتنظيف الصدر . ويدخل الإسقال في كثير من المستحضرات الطبيّة منها : إقراص الإسقال ونبيذهُ وخلّهُ وأكسيمله والنبيذ المدر للبول كما يستعمل الإسقال طازجاً مُشدَّحاً في بعض امراض الجلد . والحراشيف من شأنها ان تحدث إحراراً في الجلد بالاستعمال

بَقْلَةُ الحَمْقاء

قيل لها ذلك لأنها تنبت على مجاري المياه فيطمح عليها الماء فيقتلها ثم تعود تنبت هناك . ويرادفها (الفَرْفَخ) بإخاء المعجمة و(الفِرْفِير) و(الرِّجْلَة) ومنهُ المثل «هو أحمق من رِجْلة» عشب سنويّ ذو عمارة . أوراقه لحمية مترادفة بيضية الشكل او في صورة المنعقة . أزهاره صفر مجتمعة في حمل كل منها فيهِ بضع زهرات

اسمهُ العلميّ (Portulaca oleracea) (پورتولاكا أولراسيا) وفصيلته الرجلية (Portulacaceae) وبالانجليزية (Purslane) وبالفرنسية (Pourpier commun) ينبت بطبيعته في الهند ومصر والسودان وجميع الأراضي الزراعية بفرنسا وغيرها وتزرع كالخضر في البساتين وتزرع أنواع منهُ للزينة . وليس لهُ نكهة خاصة ويؤكل بيتاً في السَّلاطة او يطهى بطرق متنوعة . وبزوره تستعمل في الطب منعشة ومدرة للبول وقابضة الى حدّ ما

البِيقَة أو البِيبَة (الكِرْسِنَّة المَزْرُوعَة)

نبات معروف في مصر باسم (الدُّحْرِيج) زغبيّ يعلق بغيره ويرتفع من ٣٠ سنتيمتراً الى ٦٠ أوراقه ريشية الشكل في الواحدة منها عدد من الوريقات يتراوح بين ٦ و٢٠ . وريقته بيضية الشكل أو مستطيلة مقطوعة الطرف . أذينات أوراقه شبيهة بالسَّهم حافتها مسنّنة ويندر أن تكون غير مسنّنة (كاملة) . أزهاره إما فُرادى أو كل اثنتين معاً . تويج زهراته بنفسجيّ اللون طوله سنتمتران . ثمرته قَرَن زغبيّ اصفر أو في لون الصدأ دقيق الاستطالة يتراوح طول القرن بين ٤ سنتمترات و٦ وعرضهُ بين ٥ ملّيمترات و٨

اسمهُ العلميّ (Vicia Sativa) (ويسيا ساتيوا) وفصيلته القرنية وبالانكليزية (Common vetch) والفرنسية (Vesce commune) . يزرع في اوربا والشام وحبُّهُ اكبر من الجلبان المعروف في مديرية قنا أخضر يؤكل مخبوزاً ومطبوخاً وتعلفهُ البقر . وهو ينبت في الحروث نطريًّا وبخاصة في حقول القمح بمصر ويكون اطول من العدس

من وحي انكلترا

الباش الثائر

[عبر الشاعر بحر المانش في طريقه الى انكلترا . وما هي الا لحظة حتى ثار البحر فثارت أوحت اليه بهذه الابيات]

غضب البحرُ غضبةً فحسبنا هذه الارضَ زُلزلت زلزالا
وسمعنا الرياح تصفر في الجـــوّ صفيراً يقطّع الأوصالا
وجرى الغيم في السماء عبوساً ساحباً فوق شمسها أذيالا
والصباح الضحوك صار كئيباً والضحى الواقعيُّ أضحى خيالا
وكأن السماء خافت من الأر ض فجادت بدمعها هطالا ...

***

أيها البحر ! قد ركبناك رهواً فلقينا بمتنك الأهـــوالا
وحسبنا العبور عفواً — ولكن لا المنى أنجزتْ ولا الصفو طالا
ورأينا فيك الأواذيَّ تعلو فكأن الأمواج صارت جبالا
ومشى الرعبُ في النفوس ومالت شُعَبُ القلب كالفُلك مالا
وظننا الخلاص منك بعيداً وحسبنا النجاة فيك مُحالا

***

ذُعر الرُّكب في مظالكَ وضجوا وتنـــادى صُراخهم وتعالى
غمرة لم تُطق عليها اصطباراً ووُهًى لم تُطق لهنَّ احتمالا
وسمعنا النضال في شُعَبِ الأر ض فجئنا نعيد فيك النضالا ..!
وحسبنا القفارَ أكثرَ رُعباً فرأينا البحار أســوأ حالا
أنت يا بحر ساخـــرٌ بأناس جهلوا قدرهم وظلوا ضلالا
ملأوا الارض ضجةً وهديراً ثم ما زال كلهم أطفالا ...

***

أين مِنْ غمرة البحار الموالي غمراتُ السنين وهي تـوالى ؟؟
كلُّ هول يا بحر يأتي ويمضي والبالي تغيّـــر الأحوالا

عمر عبد الله حسن

الغدد الصم

وتأثيرها في شخصياتنا — شخصياتنا المختلفة — طبيعة

الغدد الصم — وظائف الغدد الصم —

الشذوذ الغددي — علاج

الغدد بالجراحة

حسن السلمان

مدير ثانوية البصرة

« ان في جسم الانسان صيدلية خفية وطبيباً سوارياً »

«عن الميزن ، يصنع الادوية ويصفها ويستعملها بحسب»

« ما تقتضيه الحال . ولو لم يخلق الله تلك الصيدلية »

« وهذا الطبيب لما اجدت مساعي جميع الاطباء — »

« ولعجز اي مخلوق على البسيطة عن الحياة »

« براسلسس »

١ — شخصياتنا المختلفة

اعتاد الناس القول ان فلانة غانية في الجمال لولا ما يعوزها من جاذبية ، وان اختها ممتلئة الجسم مرحة ضروب ، او ان فلان شخصية فذة لولا بعض تصرفات منحرفة ، وان فلاناً ذو شخصية متسلطة آمرة كأنما خلق لان يكون قائداً عظيماً . فماذا يعنون بقولهم هذه ؟

الشخصية في نظرهم صفة جسدية ، ليس لها علاقة ببناء الجسم الداخلي يعنونها على فلان ويمنعونها من فلانة غير عالمين ان لا فاصل بين بناء الانسان الداخلي وبين شكل جسده وهيئة بنائه الخارجي وبين تصرفه العقلي . فلقد بين العلم ان لكل فرد من الناس شخصية تولد معه وتتكيف بحسب تغير بعض اعضائه الداخلية . ومن الاخطاء الذائعة عند الناس ان الشخصية تقسم اقساماً مختلفة فيقولون الشخصية الجسمية ويقصدون بها ضخامة الجسم وطول القامة وخشونة الصوت والشخصية العقلية ويعنون بها سعة الاطلاع وحدة الذكاء والتروي في الاحكام . والحقيقة ان كلة الشخصية تنطوي تحتها جميع صفات الانسان سواء أجسمية كانت ام عقلية ، عاطفية ام خلقية ، وكل طارىء يطرأ على هذه الصفات فيغيرها تغيراً جزئياً او كلياً إنما هو مغير للشخصية ذاتها . وكما تتفاوت صفات الانسان كذلك تتباين التأثيرات في شخصيته . فقد يزداد طول الانسان او قد ينقص وزنه ومع ذلك لا يظهر عليه تغير في خلقه او سلوكه ، حتى وان ظهر تغير بين في اعماله العقلية . وسيتضح لنا في بحثنا هذا ان اي تغير في البناء الداخلي لا بد ان يكون مصحوباً بتغير عقلي ، محسوساً كان ام غير محسوس

والناس وان لم يفرقوا بين صفات الفرد الجسمية والعقلية ، الا انهم يصفون الافراد بحسب صفاتهم الفسيولوجية . فالسمين عنوان للفرح وخفة الروح ، والشيخ والعجوز رمز للوقار والرزانة . ويكره الناس رؤية سمين لا يهزل وشيخ لا يجد ، ويستحقرون الشيخ عندما يتصابى والفتى عندما يتشيخ . واذا ما شذ احد عن المألوف اهتموا بأمره وجدوا في تعليل هذا الشذوذ . وفي احوال كثيرة يتنبأون عن خلق الفرد بتدقيق صفاته الجسدية فقط . وهذه التنبؤات وان لم تكن جميعها صحيحة الا انها تدل على مبلغ تعلق الصفات الخلقية والعقلية بالتكوين الجسدي

ولنتساءل الآن لماذا اختلفت شخصياتنا ، سواء اطويل كنا القامة ام قصيرها ، ممتلئي الجسم ام نحيفه ، جميلي الصورة ام قبيحها ، سود الشعر ام صفره ، كاملي العقل ام ناقصيه ، بطيئي الحركة ام سريعيها . إن ذلك ناجم عن افرازات بعض الغدد الصغيرة الحجم في الدم أو في اللعاب وهذه الغدد تدعى «الغدد الصم» ، اي التي ليس لها قنوات خاصة تصب فيها افرازاتها . وهذه الغدد هي المكونة لشخصياتنا والمكيفة لها . وعلى هذا فاننا اذا اردنا ان نتفهم شخصياتنا واذا رغبنا في السيطرة عليها وودنا ضبط أعمالنا وتصرفاتنا فاننا لن نستطيع ذلك ما لم نتفهم حقيقة عمل كل من هذه الغدد ومقدار ما تفرزه من افرازاتها الباطنية في اجسامنا

٢ — طبيعة افراز الصم

يحتوي جسم الانسان على الآلاف من الغدد بعضها كبير وبعضها صغير جداً. بعضها بسيط البناء وبعضها معقد التركيب وهي على اختلاف انواعها وتباين حجومها ضرورية لنمو الجسم وصحة العقل. فغدد العرق في الانسجة الجلدية وغدد اللعاب في الفم والزعابات المعدية في المعدة والكبد والبنكرياس والكليتان والغدد التناسلية وغير هذه من الغدد مهمة في بناء الجسم وضرورية لسلامة الانسان. وجميع هذه الغدد عدا الغدد التناسلية لا علاقة لها علاقة مباشرة بالشخصية، اللهم الا في حالات عدم قيامها بواجبها عندئذ يتضرر الجسم بأجمعه ويمرض الانسان وربما فقد حياته. وبديهي ان تأثيراً عاماً كهذا قد يحدث عند ما لا يقوم اي عضو آخر بواجبه حق القيام

وتعرف الغدد المار ذكرها بالغدد « ذات الافراز الخارجي » فهي تستمد المواد الضرورية لها من الدم او اللمف او الامعاء وتصنع منها مركباً كيماوياً على هيئة سائل تفرزه في الاعضاء المتعلقة بها بواسطة أقنية ظاهرة لا تستطيع الغدد بغيرها افراز مادتها. وبهذه الطريقة تفرز الكليتان البول والكبد الصفراء وغدد اللعاب اللعاب اللازم للهضم في مراحله الاولى

وهناك في الجسم نوع آخر من الغدد لا قنوات لها ولا ثمر المواد التي تفرزها بأقنية خاصة تقوم بوظيفة التوصيل، فيزان افرازها تمتصه الاوعية الدموية او الاوعية اللمفية التي تخترقها فينقله الدم واللمف الى جميع اعضاء الجسم. هذه هي الغدد الصم التي نعنيها في دراستنا هذه، ويدعى افرازها بالهورمون Hormone (١)

في طليعة من اهتم بدراسة الغدد الصم دراسة فسيولوجية طبيب فرنسي من باريس يدعى براون سيكار Brown Sequard. فقد اعتقد هذا الطبيب ان افرازات الخصيتين تعيد للجسم نشاطه وترجع للهرم شبابه. ولكي يحقق فكرته هذه حضّر خلاصة مائية من افرازات خصيتي كلب قوي البنية، صحيح الجسم وطعّم نفسه بها وادّعى ان تلك الخلاصة أعادت اليه نشاطه الجسمي وحيويته العقلية وزادت في سرعة دورته الدموية. وقد اثبتت التجارب الدقيقة الحديثة بطلان تجربة براون سيكار، ويؤكد العلماء ان ما شعر به عندما طعّم نفسه بتلك الخلاصة انما هو مجرد وهم وتصور. ومع ذلك كان لتلك التجربة من التأثير في علماء الفسيولوجيا ما لا يوصف، لانها اثارت فيهم حب البحث عن الغدد الصم وعن تأثيرها في جسم الانسان مما ادى الى اكتشاف اسرارها والى ابتكار أبسط الطرق لاستخلاص افرازاتها واستعمالها في كثير من الامراض المستعصية

ولدراسة هذه الغدد طريقتان (١) الطريقة التجريبية (٢) والطريقة الكلينيكية. في

(١) المقتطف: اقترح الدكتور محمد شرف بك لفظ نور بفتح فسكون والجمع انوار ومعناه الرسول بين القوم ويمكن تخصيصه للمعنى المقصود باللفظ الاعجمي وقد جرينا على استعماله مقروناً بلفظ هرمون حتى يذيع

الطريقة الاولى تستعمل الحيوانات وسائط للبحث. واسلوب العلماء في ذلك ان تؤخذ من حيوان التجربة ، الغدة التي يراد معرفة تأثيرها وفعلها ، ثم تدون ادق الملاحظات عن نموه وحركاته وجميع مظاهر حياته بعد ازالة الغدة . وتوازن هذه الملاحظات بالملاحظات المدونة عن حيوان سوي لم تنزع منهُ غدته . او ان يطعم الحيوان الذي نزعت منهُ غدته بخلاصة غدة حيوان آخر ويدرس درساً دقيقاً بعد هذه العملية

ولما كان من الصعب تطبيق الطريقة التجريبية على الانسان اضطرَّ الباحثون لاستعمال الطريقة الكلينيكية . وكيفية ذلك ان تدرس غدد الاشخاص الذين يولدون وهم مصابون بشذوذ في غددهم فهي اما ان تكون اكبر حجماً او اصغر من الغدة السوية او اشدَّ منها نشاطاً او اقل . وبعض هذه الغدد قريباً من الجلد بحيث يستطاع درس شذوذها من الخارج واذا تعذر ذلك فبالتمان بأشعة اكس . وقد لوحظ ان الشخص المصاب بتضخم الغدد او بتكلسها او بزيادة فعلها تظهر عليه حالات خاصة في جسمه او عقله او في كليهما معاً . وبالاستعانة بالطريقتين السابقتين تمكن الباحثون من جمع اكبر الحقائق عن اشخاص منوا بشذوذ كبير في تغضياتهم مما ساعد على تحضير أنجع الادوية لمعالجة شذوذهم والى اعادة صحتهم الى الحالة الطبيعية

٣ — وظائف الغدد الصم

الغدد ذات الافراز الداخلي — الغدد الصم ثمانية جوامع ، الغدتان الدرقيتان Thyroids والغدد قرب الدرقية Parathyroids وموضع هاتين المجموعتين في الرقبة . والغدة التيموسية (الصعترية) Thymus في الصدر والكظران Adrenals فوق الكلية ، والغدة الصنوبرية Pineal والغدة النخامية Pituitary وموضعهما في الجمجمة قرب الدماغ . وهناك غدد تفرز افرازين احدهما خارجي والآخر داخلي ، اي ان لها قناة ومع ذلك تفرز افرازاً داخلياً في الدم مباشرة وليس لهذا الافراز علاقة بما تفرزه في الاقنية . وهذه هي البنكرياس (الحلوة) والخصية والمبيض

حسب الاقدمون ان الغدد الصم اجسام زائدة في الجسد ليس لها وظائف مهمة ، ولكي يفسروا وجودها زعم ان لها وظائف خيالية ، كزعمه ان الغدتين الدرقيتين وطيان الحنجرة فيكسب الصوت رنة موسيقية مع ان الغدة الدرقية أظهر الغدد وظيفة وأوضحها عملاً . وظنوا ان لمواقع الغدد تأثيراً كبيراً في وظائفها . والامر على عكس ذلك ، كما سيتضح لنا فيما بعد ؛ فالغدتان الصنوبرية والنخامية وان وجدتا تحت الدماغ الاَّ ان تأثيرها في الدماغ اقل كثيراً من تأثير الغدة الدرقية فيه مع انها مستقرة في الرقبة . وأغرب من هذا ان الغدة الصنوبرية اكثر شبهاً بوظيفتها الغدة التيموسية من جارتها الغدة النخامية

(١) الغدة النخامية — في قاعدة الدماغ تحت السقف الاتي تسكنُ غدة صغيرة الحجم يبلغ

وزنها نصف جرام تدعى الغدة النخامية . وقد حجبت الطبيعة هذه الغدة في صندوق عظمي في منخفض داخل الجمجمة لتنبأ اي عطب يصيب الرأس

في اواخر القرن الثامن عشر استرعى نظر طبيب انكليزي ، يدعى جون هنتر ، طول قامة عملاق ارلندي . فلما توفي العملاق بذل الطبيب مالاً وافراً وجهوداً جبارة لامتلاك جثته وعند ما شرحها وفحص دماغه وجد ان غدته النخامية كانت بحجم البيضة . ومع ذلك لم يدرك الدكتور هنتر سر طول الرجل الارلندي . وفي اواخر القرن الماضي درس خواص هذه الغدة طبيب اميركي اسمه هربرت مكلين ايثاز ، وتمكن من تحضير افرازها . و استدل من تجاربه الكثيرة التي اجراها على الفيران ان مقدار الهورمون الذي تفرزه الغدة في الدم يعين شكل الجسم وهيئته ، ومع ان التجارب كثيرة والمحاولات متعددة الا ان الهورمون النقي لم يحضر حتى الآن

وقد اثبتت تجارب الدكتور كوشنغ Cushing ان جسم الحيوان ينقص نموه عند ما تستأصل الغدة النخامية منه ، ويكون دماغه قليل النشاط وحركته بطيئة واعضاؤه التناسلية ضامرة جداً فاقدة لنشاطها التناسلي . كذلك دلت تجارب الباحثين ان الغدة النخامية مكونة من قسمين القص الامامي ويفرز هورموناً يدعى فيون Pitym وله علاقة كبيرة بنمو الجسم ونشاطه ، والقص الخلفي ويفرز افرازين احدهما يدعى پرولون Prolone وهذا له علاقة كبيرة بنشاط الاعضاء التناسلية والآخر پرولاكتون Prolactone وهو الهورمون الذي يثير التدرين في ذوات الاثداء ويزيد لبنها بعد الولادة زيادة كبيرة ، ويعتقد بعضهم ان افرازات القص الخلفي من الغدة تحدث قبض عضلات الرحم قبيل الولادة

(٢) الغدة الصنوبرية والغدة التيموسية :— أما الغدتان الصنوبرية والتيموسية فيصح ان ندعوهما بغدد الطفولة ، لان كلاً منهما يكون كامل التكوين عند ولادة الطفل ثم يزداد نموها في الاعوام الاولى للطفولة ويقف عند سن البلوغ عندما يبدأ نشاط الغدد التناسلية . وفي الانسان السوي تضمحل الغدة الصنوبرية تمام الاضمحلال في دور المراهقة ، ولا يبقى من الغدة التيموسية (الصعترية) بعد هذا الدور الا الشيء القليل

وتستقر الغدة الصنوبرية بين ثنايا الدماغ فوق الغدة النخامية بقليل . ولا يزال العلماء في شك من حقيقة وظيفتها ، ولا يدرون هل هي تفرز هورموناً خاصاً بها او لا تفرز . ولكنهم مجمعون على انها تقوم بوظيفة الضابط للنمو التناسلي . فان ضمورها وتكلسها يحدثان تغيرات كبيرة في حياتنا التناسلية قبل أوانها ، كنمو الشعر في جسد الاحداث وحول اعضائهم التناسلية ، وبروز الهدين في الفتيات الصغيرات ، وظهور جميع علامات البلوغ عند الاطفال

والغدة التيموسية (الصعترية) رخوة الجسم ، وردية اللون موضعها فوق القلب ويكون وزنها قليلاً عند

الولادة ثم يزداد حتى تقدر كاملة عند سن البلوغ . ثم تأخذ الغدة في الضمور شيئاً فشيئاً ولا يبقى منها بعد سن الشيخوخة الا جزء يسير . والمظنون ان خلاصة هذه الغدة تزيد من سرعة نمو الحيوان وتكثر كثيراً في نشاطه التناسلي

(٣) الغدة الدرقية والغدد قرب الدرقية : — في أسفل الحنجرة عند ملتقاها بالقصبة الهوائية تستقر غدة كبيرة مكونة من فصين كل على جانب من القصبة ويصلهما فص ثالث يدعى البرزخ ، وهذه الفصوص الثلاثة تكوّن الغدتين الدرقيتين

لقد لاحظ الباحثون ان تضخم الغدة الدرقية يكون دائماً مصحوباً بجحوظ العينين وخفقان القلب وتضخم العنق (Goitre) . ولاحظ طبيب انكليزي ان المصابين بالكريتنسم (القَمَه) Cretinism يصابون بمرض الغدد الدرقية وان المصابين بالمكسيديما (الخرَج الشرف) Myxoedema يصابون أيضاً بضعف الغدد الدرقية ، كما أنهم وجدوا ان افرازات الغدد الدرقية من حيوانات سوية تشفي هذه الامراض . كما يثبت ان الغدة الدرقية من أكثر الغدد تأثيراً في صحة الانسان

ومن أهم وظائف الغدة الدرقية أنها تنظم نمو الاطفال ، وتسير التفاعلات الكيمياوية التي تجري في خلايا الجسم بصورة سوية . وهي وإن لم تزود الجسم بطاقة ما ، الا أن افرازها يزيد فعل الخلايا فتزداد طاقة الجسم وتتكون من تغير الطاقة من نوع الى آخر

وأفراز الغدة الدرقية المدعو ثيروكسين Thyroxine يحتوي على مقادير قليلة من عنصر اليود ، وأن مفعول الافراز يعود في الأصل الى تفعول هذا العنصر في الخلايا . وتستمد الغدة ما تحتاج اليه من عنصر اليود من الاطعمة التي يتناولها الانسان او من الأملاح اليودية التي توجد مقادير قليلة منها في مياه الشرب . فالبيض واللبن الحليب والبصل والجزر وغيرها من الخضار تحتوي على عنصر اليود بالنسبة الكافية . وقد لوحظ ان تربة بعض المدن يقل فيها عنصر اليود فيقل العنصر كذلك في الخضار التي تزرع هناك وفي مياه الشرب أيضاً فيكثر في تلك المدن تضخم العنق وجحوظ العينين

أما الغدد قرب الدرقية فهي غدد صغيرة الحجم يشكل حبة الفاصوليا تلتصق بالغدد الدرقية او تجاورها وهي زوجان كل زوج منها يستقر عند أحد فصي الدرقية

كان المعتقد أولاً ان هذه الغدد أجزاء من الغدة الدرقية او تصلبات منها غير ان التجارب الدقيقة التي أجريت على الحيوانات آكلة الحشائش اثبتت أنها غدد قائمة بنفسها وان لها عملاً خاصاً يختلف تمام الاختلاف عن الغدد الدرقية . وفي عام ١٩٠٩ لاحظ مكالم MacCallum وفوجتلين Voegtlin ان مرض التيتاني Tetany يكون دائماً مصحوباً بنقص في مقدار الكلسيوم في الدم ، وقد اكتشف كولب Collip عام ١٩٢٥ أن الحيوانات التي زال غددها فوق الدرقية تصاب بتشنج عصبي وتزداد سرعة حركة القلب وتموت بعد ثمان واربعين ساعة من جراء

الشب الكثير وان دمها لا يتخثر حتى بعد الممات . وعندما حلل دمها وجد بهُ فقد عنصر الكلسيوم . واذا أسرع في حقن الحيوان قبل وفاته بخلاصة هذه الغدد عاد الى الحالة السوية وزالت عنهُ جميع أعراض مرض التيتاني . وهذا مما يثبت ان أفراز الغدد فوق الدرقية تنظم مقدار الكلسيوم في الدم . وبدون ذلك يعرض الاطفال للكساح وتزكام والتهاب الدموي ويعرض الكهول للسل العظمي

(٤) الكظران : — والكظران غدتان صغيرتان تستقر كل منهن فوق كلية من الكليتين ويختلف بناؤهما عن سائر الغدد الصم بكونهما مكونتين من لب وحشو وقشرة سميكة

والسابق إلى معرفة شأن الكظرين طبيب انكليزي يدعى اديسون Addison وذلك في عام ١٨٥٥ ، فقد اشار هذا الطبيب فيما كتب ان ضعف الجهاز العضلي والجهاز العصبي يكون مصحوباً دائماً بضعف الكظرين . ومما اكتشفهُ براون سيكار ان ازالة الكظرين من الجسم تعرضهُ لضعف كل من الجهاز العضلي والعصبي ، اي لمرض اديسون ، وعاقبة المريض الموت المحتم . غير ان اول من بحث الكظرين بحثاً دقيقاً العالم الاميركي جون جاكوب ابيل J. J. Abel فكان يسحق من عدد الاغنام شرائح رقيقة ثم يعرضها لحرارة لا تزيد على ٦٠ م° حتى تجف ، ويزيل المادة الدهنية التي فيها باذابتها في الاثير فيترسب لديهِ مسحوق رمادي اللون ، وعندما يذاب هذا المسحوق في الماء ويحقن به حيوان ما يرتفع ضغط دمه

وفي اوائل هذا القرن استطاع كيمياوي ياباني يدعى تاكامين Takamine من تحضير خلاصة افراز الكظرين بشكل بلورات دعاها بالادرينالين Adrenaline والحقيقة ان ما استحضره تكامين هو افراز الجزء الداخلي من الغدة . فمن خواص هذا الافراز انهُ يرفع ضغط الدم لكثرة الانقباضات الحادثة في الشرايين والاوعية الشعرية ، وانهُ ممكن القلب الضعيف من الاستمرار في عمله عند ما يضنيه التعب . وللادرينالين تأثير كبير في تمثيل المواد الكربية فهو ينقص من الكليكوجين في الكبد فيقوم بعمل معاكس لعمل الانسولين ، وانهُ كذلك يمنع الزف في الانف والاذن والحلق ويبطل القصبات الرئوية عن العمل فيمنع بذلك التشنج في الزلة الشعبية

والكظران هما غدتا الشجاع والجبان . فقد اكتشف كانون Cannon عام ١٩١٠ بطريقة تجريبية غاية في الدقة ان الادرينالين يكثر إفرازهُ عند ما يهيج الانسان فيجعله في حالة غضب شديد او خوف شديد ، وينجم عن ذلك احتراق زائد في الجسم وازدياد سرعة الدورة الدموية ويكثر خفقان القلب والتنفس . ومقدار الافراز يبين هل الانسان شجاع او جبان . ومن اهم وظائف الادرينالين كما حققها كيلاوي Kellaway وكوويل Cowell انهُ يفعل كترياق ضد السموم التي تنشأ من النازات المكونة في الامعاء

اما نشرة النكتريين فتفرز هورمونا يسمى الكورتين Cortine، وهذا الافراز غني بفيتامين ج ومن وظائفه ان قلته تنتج مرض ادبسون وللكورتين علاقة كبيرة بالغدد التناسلية فهو الباعث على زيادة نشاطها

(٥) البنكرياس او الغدة الحلوة: — والبنكرياس غدة كبيرة تقع قرب المعدة من الخلف وهي وردية اللون وتتصل بالاثني عشري من الامعاء بقناة دقيقة

اكتشف لانجرهانس Longerhans عام ١٨٦٩ ان هذه الغدة تحتوي في وسطها على مجموعة من الخلايا تختلف في شكلها عن باقي خلايا الغدة — ولاحظ منكوسكي Minkowski عام ١٨٨٩ ان الحيوان الذي يزال منه البنكرياس يصاب بالمرض السكري الحاد. وبعد هذا بيوم واحد وجد بكوبونو Sobieranow ورفيقه ان (الحلوة) اذا ما ربطت قناتها ضمرت وبقيت جميع خلاياها عدا الخلايا التي اكتشفها لانجرهانس والتي تدعى اليوم «جزر لانجرهانس». ومع ذلك فان الحيوان يبقى سنين بدون سكري مما جعل العلماء يدركون ان جزر لانجرهانس تفرز افرازاً داخلياً خلافاً لما تفرزه سائر خلايا الغدة يقي الجسم من المرض السكري وقد سُمّي الانسولين

وقد كان السكري من الامراض الكثيرة الانتشار بين مختلف طبقات الناس حتى جرب الاطباء مداواة مرضاهم بحقنهم قطعاً من البنكرياس، وحاول البعض منهم تحضير الانسولين من الغدة بكاملها ولكنهم لم ينجحوا لان الافراز الخارجي للبنكرياس يحتوي على مادة تدعى تريبسينوجين Trypsinogen، وهذه تبطل عمل افراز «جزر لانجرهانس» اما بانتج Banting مكتشف الانسولين فقد سعى لتحضير الانسولين من جزر لانجرهانس وحدها بعد ان ابادَ الخلايا الاخرى، فكللت مساعيه بنجاح تام عام ١٩٢٠ وفاز بتحضير الانسولين نقياً. وكذلك استطاع البكتيريولوجيون انقاذ الآلاف من الناس الذين يقضي عليهم بالمرض السكري

(٦) الغدد التناسلية (الخصية والمبيض): — من اعظم الغدد شأناً في جسم الانسان الخصية في الرجل والمبيض في المرأة، وليس شأنها متعلقاً بظاهرة التناسل او حفظ النوع فحسب وانما بمقدار افرازاتها الداخلية. لان مقدار الافراز يعين كثيراً من صفات الانسان العقلية والخلقية والجسمية. وهذه الافرازات هي التي تكسب الرجل رجولته والمرأة انوثتها

يبدأ نشاط الغدد التناسلية عندما ينتهي نشاط الغدة الصنوبرية والغدة الصنوبرية فعالة غدد الطفولة في اشد نشاطها لا تقوم الغدد التناسلية باي عمل ما، وما ان تقف تلك عن افراز هورموناتها حتى تتحرك هذه القيام بوظيفتها فتتغير شخصية الرجل كما تتغير شخصية المرأة ايضاً ويكون كل منهما قد جاوز دور طفولته ودخل سن المراهقة

وفي طليعة من درس خواص الغدد التناسلية وعرف عن اسرارها الشيء الكثير الدكتور

شتايناخ Dr. Steinach فقد اثبتت تجاربهُ الدقيقة اثباتاً قاطعاً لا يحتمل الشك ان الغدد التناسلية تحتوي نوعين من الخلايا مختلفين في وظائفهما: الخلايا الخارجية وعملها افراز الصفات الذكرية في الرجل والبويضات في المرأة . ويحيط هذه الخلايا بخلايا اخرى اكتشفها من قبل ليديج Leydig تقوم بافراز الهورمونات التي نحن بصددها

ومما اجراه الدكتور شتايناخ ان انتزع من حيوان غدده التناسلية وزرعها في غير مواضعها فعاشت هذه الحيوانات عيشة سوية ولم يظهر عليها اي شذوذ جسمي إلا أنها لم تستطع القيام باعمالها التناسلية . وانتزع من بعض الحيوانات خصيتها وزرع عوضاً عنها مبائض حيوانات اخرى من نوعها فظهرت على هذه علامات الانوثة واختفت صفات الذكورة منها . ولاحظ الدكتور شتايناخ ايضاً ان الحيوانات التي اجرى عليها تجاربه اخذت تميل الى ذكور من انواعها عند ما سكنت معها . ومما قام به من التجارب أن ربط الحبل المنوي لحيوانات متقدمة في السن مشرفة على الهلاك فلاحظ ان الخلايا الخارجية للخصية ضمرت بينما تكاثرت غدد ليديج وازداد نشاطها . فانبعث من افرازات هورموناتها تكان من جراء ذلك ان شعرت الحيوانات الهرمة بنشاط جديد وبقوة ما كانت تشعر بها من قبل

وقد بتحضير هورمون الخصية العالم بوتيناندButenandt وسماه تستوستيرون Testosterone ويعرف اليوم باسم پروفيرون Proviron وتأثير البروفيرون انهُ يظهر على الرجل جميع الصفات الثانوية الذكورية كظهور الشعر على الخصية وخشونة الصوت وضخامة الجسم الى غير ذلك من صفات الرجولة الكاملة . اما هورمون المبيض فقد حضره الدكتور دوزي وسماه ثيلين Theelin وعمل هذا الهورمون انهُ يكسب المرأة جميع صفاتها الثانوية الانثوية كرقة الصوت وبروز الثديين ودقة الجسم وظهور الطمث وغيرها من صفات الانوثة المعروفة

واذا ما حقن البروفيرون في جسم انثى خشن صوتها ونبت الشعر على عارضيها ، اما اذا حقن الثيلين في جسم رجل فقد الكثير من صفات الرجولة فيه وظهرت عليه علامات الانوثة ففي سنة ١٩١٦ اخذ غودیل Goodale المبيض من دجاجة وزرعهُ في ديك ازيلت خصياه فتحول الديك دجاجة في مظهره الخارجي وسلوكه ، وذلك لان هورمون المبيض افرز في دم الديك فاكسبهُ صفات الانوثة

٤ — الشذوذ الفردي

الغدد الصم قلما تستقر على حال واحد . فهي تتأثر بعامل الوراثة والبيئة كما يتأثر اي عضو من أعضاء الجسم . فقد تضمر الغدة قبل اوانها فتعطل عن القيام بوظيفتها ، وقد يزداد نشاطها زيادة غير طبيعية . وفي كلتا الحالتين تتأثر قوى الانسان الجسمية والعقلية . وكثير من

الشذوذ العقلي والجسمي والخلقي ناجم عن زيادة في افراز الغدد او نقص فيه . وها نحن هنا ندرس الطوارىء التي تطرأ على الانسان عند زيادة نشاط الغدة او عند نقصه

شوهد في بعض البالغين ان الغدة الصعترية والغدة الصنوبرية لا تضمران بعد سن البلوغ كما يجب ان يحدث في الحالة الطبيعية ، فيحدث من جراء ذلك ان يبقى الشخص طفلاً عقلاً وسلوكاً ، ويعيش ضعيف الارادة بطيء التفكير لا يستطيع الكد والتعب في هذه الحياة . وتظل غدده التناسلية غير نامية لا تفرز افرازاتها الداخلية فيكون الانسان اشبه بالخصي بهيكله العظمي الطويل المستدق وبصوته الموسيقي المرتفع الترديد ولا ينبت الشعر في عارضيه .

واذا ضمرت الغدتان والطفل في الخامسة من عمره ظهرت عليه جميع علامات البلوغ وهو في اول عمره ، فيشبه الشخص البالغ بظهور الشعر في جسمه وحول اعضائه التناسلية ويتضخم صوته ان كان ذكراً او ترقة الصوت وبروز الهدين ان كان انثى ومن الغريب ان الميول التناسلية تظهر على الطفل وهو بهذا السن

وعندما لا تقوم الغدد الدرقية قياماً تاماً بوظائفها يتشوه الجسم تشوهاً ظاهراً . اذ يتضخم الانف وتتدلى الشفتان ويخشن الجلد ويزداد البعد بين العينين وتتقعد اللسان بريقها وشعلتها ، وتقصر القامة وترخو العظام ويصاب الانسان من جراء قلة افراز الغدد الدرقية بانخفاض ضغط الدم وبطء حركة القلب فتنزل درجة الحرارة حتى تصل الى ٩٦° ف فلا يقوى على الشغل الشديد ويعرض بصداع المزمن والامساك الدائم ومرض المفاصل وفقر الدم وضيق التنفس ومختلف الامراض العصبية . وتعرض المرأة لاضطراب الطمث بحيث ينقطع حيناً ويشتد آخر ويكون مصحوباً بارجاع في الظهر فيعتري المرأة من جراء ذلك خمول عام وبطء الحركة

واذا تعطلت هذه الغدة عند الاطفال فانهم يعرضون لمرض الكريتنزم « البله الوراثي » Cretinism ومن علامات هذا المرض تضخم اليدين والرجلين وقصر اصابع الكفين وضخامتها وقلة نمو الاظافر وتشوه الاسنان وتآكلها لفقدان مادة الميناء منها ، وخشونة الشعر وكثرة تساقطه وجفاف قشرة الجلد وخشونتها ، وظهور البلادة والكسل والبله على الطفل فيكون دون المتوسط في عقليته وذاكرته وله استعداد للخبل والجنون

اما اذا ازداد نشاط الغدد الدرقية ، وكثرت افرازاتها فان اعصاب الانسان تتهيج فيكون كثير الغضب سريع الحدة ، لا يطيق معارضة ولا يتحمل انتقاداً ، وتزداد سرعة حركة قلبه ويرتفع ضغط دمه وتكون درجة حرارته فوق المعدل ، ويتغير شكل رأسه فيستطيل وتختفي وجناتاه ويبرز جبينه ، وتجحظ عيناه ، وتستدق شفتاه وتكون اسنانه صغيرة قوية لؤلؤية الشكل ويسترسل شعره ويكون على الغالب كثاً متموجاً ناماً نمواً زائداً . ويكون أحد هؤلاء

كثير الخجل قليل الغضب تحمر وجنتاه في حالي الحياء والخجل ، يعمل دور المراهقة بسرعة وتكون حساسيته الجنسية على أشدها

والكظران عند ما يضمحلان ويعجزان عن القيام بوظائفهما ، سواء حين الولادة او من جراء مرض طارىء او من اثر الشيخوخة ، يحدثان في الجسم اضطراباً بيناً فينخفض ضغط الدم وتقل حرارة الجسم وتضعف الاعصاب وتضطرب القوى العضلية ، ويعرض الانسان لمرض الثورمتايا او للامساك المزمن او للخفقان . وبعكس ذلك عند ما يزداد مقدار افراز الكظرين فان الشخص يكون كثير الغضب سريع الحركة ميالاً للعراك ، مفتول الساعد قوي العضلات ، وتظهر على الفتاة التي هي من هذا النوع سمنة في الصدر وضخامة في الثديين، واما النسوة المتقدمات في السن فيسن سمنة مفرطة وينبت الشعر على ظهورهن وفوق شفاههن العليا وعلى ذقونهن . ويرتفع ضغط الدم في الجسم ارتفاعاً عالياً بعرض الجسم في احيان كثيرة لخطر مفاجىء

واذا ما تعطلت الغدة النخامية عن عملها فان قوى الجسم عقلية كانت ام جسمية تتعطل عن العمل ايضاً فيتناقص افراز الغدد الدرقية ويضعف دماغ الانسان فتقل مداركه وينضب معين تفكيره حتى يصبح اقرب الى البلاهة منه الى الذكاء ، فلا يقوى على ضبط نفسه ولا يستطيع السيطرة على اهوائه ولا يتردد عن ارتكاب افظع الجرائم وحتى القتل منها

والاطفال الذين تضمر غددهم النخامية ينشأون على حب الكذب والسرقة وسوء الاخلاق فلا تجديهم تربية الوالدين نفعاً ولا تعدل المدارس من شذوذهم الخلقي شيئاً ، وعلاوة على هذا فان نموهم العقلي والجسدي يتوقف وهم دون الخامسة فيقضون سني الحياة وهم اقزام في هيئاتهم الجسمية اطفال في عقلياتهم ميالون للاتصاف بصفات الاناث ان كانوا ذكوراً او بصفات الذكور ان كن اناثاً . ويتوقف نمو الاعضاء التناسلية عندهم وتنعدم فيهم قابلية القيام بالاعمال التناسلية وعند ما تضعف هذه الغدة في المتقدمين بالسن فان اجسامهم تضخم ويكثر الشحم المترهل في اسفل جذع المرأة وبقل في صدرها وفي نهديها . اما الرجل فيسقط شعر رأسه وجسده وتتشوه اسنانه ويصفر رأسه وفي حالة توقف الغدة عن الافراز يعرض الانسان لمختلف الامراض العصبية وبصورة خاصة للعته والجنون ، وللاضطرابات التناسلية فيعشق الشخص ابناء شقه Sex ولا يميل الى النوع المخالف له بالشق .

ويكون الحال على عكس ما ذكر عند ما يكثر افراز الغدد النخامية ، فيزداد النشاط العقلي والجسدي ويتضاعف الذكاء ويزداد الذهن حدة . ويمثل هذا النوع من الناس المكتشفون والمخترعون والفلاسفة وقادة الرأي . ومن الصفات التي تميز هؤلاء الناس عن غيرهم ضخامة العظام وكبر القدمين والكفين وطول القامة وكثرة الشعر في الرأس وعلى الوجه وفي الاطراف

والجذع وقد يزداد الافراز كثيراً فيزداد حجم الشخص ويتضخم عظمه وتأخذ الغدد التناسلية بالقيام بوظائفها قبل أوانها . والافرازات الداخلية للغدد التناسلية تؤثر تأثيراً كبيراً جداً في شخصية الانسان وفي الصفات العقلية والجنسية . فعند ما تزال الغدد التناسلية من الجسم تصبح في الشخص جميع الصفات التناسلية الثانوية . وليس من شك ان الحياة لن تكون سعيدة هانئة ما لم تكن الغدد التناسلية في حالة سوية قائمة بوظيفتها على الوجه الاكمل

وتعتقد طائفة كبيرة من علماء النفس وفي مقدمتهم العالم النمساوي الكبير سجمند فرويد Freud ان لجميع اعمال الانسان وافكاره عاملاً تناسلياً خفياً وان الشخص السري في افكاره وفي اعماله لا بد وان تكون اعضاؤه التناسلية في حالة طبيعية سالمة من اي مرض او عطب . ويلاحظ ان الطفل الذي تضعف خصيتاه او تستأصلان منه ينشأ ضعيف البنية دقيق العظام رقيق الصوت عالي التردد ضعيف القوى العقلية اشبه بالمرأة منه بالرجل . وكذلك الحال في المرأة التي يضعف مبيضاها فانها تفقد الكثير من انوثتها وروعة صوتها وتخشوشن عظمها وتمتلىء جسمها وينبت الشعر على شفتيها فتميل الى بنات جنسها وتنفر من الرجال . وفي حالة قلة الافرازات الداخلية في المرأة تتعرض لاضطراب الحيض Amenorrhea والهيستريا وفي الرجل يتعرض لمرض العزبة او الخوف من الفضاء Agoraphobia والنورستانيا وغيرها من الامراض العصبية

٥ — علاج الغدد بالجراحة

من مميزات الطب الحديث ان الجراح بدقته الفائقة استطاع ان يبدل من شخصية الانسان ويغير سحنته ، ويزيل تشويه جسمه ويرجع عقليته الى الطريق السوي ان كانت حائدة عن غير هدى ، وان عملية بسيطة يجريها الجراح الحاذق على احد الغدد التناسلية عندما تشذ تعيد الى الانسان كثيراً من الصفات التي يجب ان يتصف بها وتكسبه شخصية سوية وتسبغ عليه حياة سعيدة هانئة

في عام ١٩٢٣ اصيب شاب في مقتبل عمره من مدينة سنسناتي في الولايات المتحدة الاميركية بمرض لم يتمكن الاطباء من معالجته . فقد اخذ جسم الشاب وضخت اعصابه وصارت تنتابه نوبات عصبية عصيبة وجحظت عيناه جحوظاً شديداً وانتابت عضلاته رعشة مستديمة ولم تمض بضعة اشهر على ظهور هذا المرض على الشاب حتى فقد عقله ، فنزل في مستشفى المجاذيب خوف الفتك بالناس وقبض الله له جراحاً ادرك بثاقب بصيرته ان الغدد الدرقية عند هذا الفتى لا بد وان تكون اشد نشاطاً مما هي عليه في الحالة الطبيعية ، وان المقدار الكبير من التيروكسين الذي يفرز في دمه كان يستنفد جميع المواد المخزونة في الجسم ، فقرر ان يقطع قسماً من غدته الدرقية فان اجرى الدكتور دي كوردي Dr. De Courcy العملية المطلوبة ، وهو الطبيب الذي شخص

المرض ، حتى اخذ نفس يستعيد قواه الطبيعية والجسية قليلاً قليلاً . وبعد بضعة اشهر غادر المستشفى وعاد الى الحياة العامة سليماً معافى يزاول عمله اليومي كما كان قبل ان يعتريه مرضه العصبي

والعمليات الجراحية على الغدد السم يجب أن تجري بكل عناية ودقة بحيث لا يحدث نزف مهما يكن ضئيلاً لحدوث النزف يؤدي في كثير من الاوقات بالمريض الى الهلاك . وتحقيقاً لهذا ابتكر الجراحون مبضعاً جديداً غاية في الدقة يدعى بالسكين الكهربائي Radio Knife . وهو ابرة كهربائية تقطع الغدة وتخيط الاوعية الدموية التي فيها وتقم الجرح في آن واحد

وفي عام ١٩٢٦ جيء الى المستشفى السوسي مدينة بوسطن بملاح مصاب بمرض غريب عجز عن تشخيصه أمهر الأطباء . وكما عرفهُ الأطباء عن هذا المريض انهُ فقد من طوله سبع عقد خلال ثمانية أعوام . فلقد كان طول قامته ستّ أقدام وعقدة واحدة عام ١٩١٨ فأصبحت خمس أقدام وست عقد عام ١٩٢٦ وعلاوة على هذا ضعفت عظامه حتى صارت لا تقوى على حمله . وعندما فحصهُ أحد أطباء المستشفى بأشعة اكس وجد ان مقدار الكلسيوم كان يتناقص في عظامه مما يدل على ان الغدد قرب النوقية كانت كثيرة النشاط . فعالجهُ الطبيب المذكور بعملية جراحية أزال فيها غدتين من هذه الغدد فلم يمض على العملية وقت طويلٌ حتى برح المستشفى وهو بكامل صحته

ومما يجب ان يسطر بمداد من الفخر لطب الحديث اكتشافه علاجاً للمرض الكبري ، المرض الذي كان يقضي على الآلاف من الناس في مختلف بلاد المعمور . أما اليوم فبفضل الأسولين زال خطر الكبري ، ومع ذلك فان الاطباء المعاصرين يتجهون الى ناحية أخرى من نواحي الطب لمعالجة هذا المرض ، هي ناحية الطب الجراحي

قبل بضعة أعوام قام الدكتور جورج تاكات Takat في مدينة شيكاغو بعملية جراحية لرجل مصاب بالكبري أدت الى نجاته من هلاك محتم . وطريقته في ذلك ان شق الجدار البطني وأزاح المعدة حتى بان البنكرياس فربط القناة البنكرياسية التي توصل العصارة البنكرياسية الى الامعاء الدقيق ، فكانت النتيجة ان ضمرت الغدد الجدارية للبنكرياس وزادت نشاط الخلايا في جزر لانجرهانس فتناقص مقدار السكر في الدم حتى وصل الى المقدار الطبيعي . وقد أجريت عدة عمليات من هذا القبيل نجح بها الجراحون نجاحاً باهراً

وفي عام ١٩٢٩ أتت الى الدكتور كوستر Koster من نيويورك فتاة في ريعان شبابها كانت تشكو السمنة المفرطة . فقد كان وزنها يوم ذاك ٣٣٥ رطلاً مصريًّا وكان وزنها يزايد بمعدل ١٢٥ رطلاً في العام الواحد . فقرر الطبيب بعد الفحص الدقيق وجوب ازالة أحد الكظرين . وعندما أجرى العملية وجد ان الكظر الواحد كان قد تضخم حتى بلغ ثلاثة امثال حجمه السوي . وبعد شفاء الفتاة من العملية الجراحية أخذت تفقد الشحم المتراكم في جسدها بذات السرعة

التي اكتسبتها . ولم يمر عامان حتى كانت الفتاة بشكل طبيعي جذاب ، واستعادت كثيراً من مظاهر جمالها وجاذبيتها الجنسية

والغدد الخاصة وان كانت غاية في الصغر ومنزوية داخل الحجمة الا أن مبضع الجراح وصل اليها واستطاع استئصالها . فالبعض من الاحداث مرضى بمرض الكاشة (شرف) Acromegaly [1] ومن مظاهر هذا المرض زيادة عوالكفين والقدمين وتضخمها . وفي مثل هذه الظروف لا بدَّ من استئصال الغدة النخامية بعملية جراحية . وكذلك الغدة الصنوبرية وان كانت مستقرة بين نيات الدماغ فان مبضع الجراح يهددها كما اعتورها شذوذ ولا سيما حينما يزداد نموها زيادة فاحشة بحيث تضغط ضغطاً شديداً على الدماغ فتسبب الصداع المزمن وأحياناً العمى والموت الفجائي

ومن أشهر العمليات الجراحية التي أجريت على الغدد هي عملية الدكتور شتاينخ وعملية الدكتور فورونوف Voronoff . أما الأولى فتتلخص في ربط الحبل المنوي لمنع افراز المادة المنوية فتضعف من جراء ذلك الخلايا المختصة بإفراز السائل المنوي في حين ان الغدد التي تفرز الهورمون التناسلي تزداد فعالية . أما العملية الثانية فتتلخص في زرع غدد حيوان بكامل قواها ونشاطها في حيوانات ضعيفة متقدمة في السن

لقد أجريت قبل بضعة أعوام طبيبان مصريان في مستشفى بنيس عملية شبيهة بعملية فورونوف وذلك انهما زرعا غدتين مستئصلتين من شابين قويين في شيخ مصاب بضعف عام ورعشة مزمنة . ولم يمض أسبوع واحد على هذه العملية حتى ظهرت بوادر النشاط الجسدي والعقلي على الشيخ واختفت الرعشة التي لازمته مدة طويلة . وقد اجريت عدة عمليات على نسوة اصبن بأمراض في مبائضهن مما ادى الى حرمانهن في الحمل وزرعت فيهن قطع من مبائض نسوة سالمات فحملن وولدن اولاداً كاملي الخلقة سالمين من اي مرض مزمن . ولا ريب ان جراحة الغدد الصم هي اليوم في مرحلتها الأولى وسيأتي اليوم الذي يتغلب فيه الطب الجراحي على كثير من الامراض المستعصية الناجمة عن سبب غددي

البصرة حسن السلمان

مراجع البحث :

1 — Handbook of Physiology. By Halliburton & Mcdowall
2 — How Glands Affect Personality. By Grace Adams
3 — Eugenics & Sex Harmony. By H. H. Rubin
4 — Outline of Modern Belief. By W. Grierson & J. W. N. Sullivan
5 — Encyclopedia of Modern Knowledge. Edited By Sir John Hammerton
6 — Popular Science Monthly. June, 1933.
٧ — مجلة المقتطف عدد ١ ، ٢ ، ٣ من المجلد التسعين

(١) المقتطف : وضع خطأ في السطر ٩ صفحة ٤٥٨ من هذا البحث (الحرج) مقابلا لكلمة ميسوبة الى «شرف» والواقع أنها في معجم أوزيا مخاطية واستسقاء لحمي عن الخوارزمي

الطاقة الذرية

اطلاقها بأسلوب

جديد بارع

حل العالم على عتبة عصر جديد يخفقُ من ناحية تحقيق حلم طالما ساور اذهان العلماء هو — اطلاق الطاقة الذرّية واستخدامها ، مستغنياً بذلك عن الفحم والنفط وغيرهما

ولسنا نوجّه هذا السؤال توهماً او تخيّلاً ، وقد سبق لنا ان نبّهنا قبلاً ان الطاقة المنطلقة من تهشيم الذرّة اقلُّ من الطاقة المنفقة على عملية التهشيم . ولكنا نوجّههُ اليوم بعد اطلاعنا على نبأ اسلوب جديد لتهشيم الذرّة ، كانت فيه الطاقة المنطلقة من جرّاء التهشيم اعظم جدًّا من الطاقة المستعملة في احداثه ، وقد ذهب وطسن داينس رئيس « مكتب العلم » بوشنطن الى ان هذه التجارب قد تكون اعظم شأناً من كشف النشاط الاشعاعي نفسه

وأول ما يريد علماء الطبيعة توجيه النظر اليه في هذا الصدد ألاّ يسري الذعر الى نفوس الناس عند ما يقرأون هذا الخبر بمجاراتهم لبعض الروائيين الذين يلمعون الى تصوُّر المستقبل وقد اطلقت فيه الطاقة من الذرّات فاستعملت في تدميره ونسفه

اما الجديد في هذه التجارب فهو ان عنصر الاورانيوم على ما يعلم قرّاء المقتطف اثقل العناصر اطلاقاً ، وهو عنصر مشعٌّ ينحلُّ من تلقاء نفسه انحلالاً بطيئاً فتنطلق منه طاقة في خلال هذا الانحلال ولكن العلماء استطاعوا ان يشقوا ذرتهُ فأسفر عملهم هذا عن انطلاق قدر كبير من الطاقة منها ، وكانت وسيلتهم الى ذلك الدقيقة المعروفة باسم النوترون (المحايد) وهي الدقيقة المتعادلة التحنة الكهربائية التي كشفها شدك الانكليزي من نحو سبع سنوات

فاذا اطلقت النوترونات على ذرات الاورانيوم ، حملت الذرات على ان تشقَّ فتنطلق منها مقادير كبيرة من الطاقة — مهما تكن طاقة الطلاق النوترونات صغيرة — وقد بلغ مقدار الطاقة المنطلقة من الاورانيوم على النحو المتقدم في التجارب التي تمّت مائة مليون فولط

وليست المسألة بسيطة كما يتبادر الى الذهن لأنهُ لابدَّ من اعداد الاجهزة اللازمة لتوليد النوترونات وإطلاقها بحيث تصيب أكبر كمية مستطاعة من ذرّات الأورانيوم . وهذه

الناحية من العمل لم تبلغ بعد حداً بعيداً من الاتقان فاذا اتفق ذات يوم ان يزيد قدر الطاقة المنطلقة على مائة مليون فولط لان الحسابات النظرية تجعل هذا القدر ممكناً ذلك

وليس في وسع القارىء ان يدرك مغزى هذا القدر الكبير من الطاقة المنطلقة من انقسام ذرات الأورانيوم بتسديد النوترونات اليها . الا اذا علم ان اكبر قدر من الطاقة استطاع العلماء اطلاقهُ من ذرَّات مادة ما هو ٢٠ مليون فولط . وقد كان ذلك بتسديد الدوترونات (وهي نوى ذرَّات الايدروجين الثقيل) الى مادة البريليوم

وقد بدأ الفصل الأخير في رواية تهشم الذرَّة واطلاق طاقتها ، بباحث العالم الطبيعي الألماني الدكتور أوتو هان (Hahn) ذلك بأنهُ لاحظ ان ذرة اورانيوم الغريبة عند ما تسدَّد اليها النوترونات . ولكنهُ لم يستطع ان يفسر ما شاهد . وعرف الدكتور لز مينر (Meitner) والدكتور فرتش من علماء كوبنهاغن خاصة الدنمارك — وأوطأكان زميلا للدكتور هان وهو من مشرديي العلماء الالمان الآن — ما شاهده الباحث الألماني فاقترحا ان انقسام ذرَّات الأورانيوم وتحوُّلها الى ذرَّات عناصر أخرى يفسر لهُ . وكان هذا الرأي جديداً ، ولكن البحث أثبت صحته . ولما اجتمع مؤتمر علوم الطبيعة النظرية من عهد قريب في جامعة جورج واشنطن بالعاصمة الاميركية كانت نتائج هذا البحث قد نشرت ، فكان موضوعها حديث رجال المؤتمر . فهبت جماعات الباحثين في موضوع الذرَّة الى البحث والتجريب . وقد قرأنا في عدد رسالة العلم الأسبوعية الصادر في ١١ فبراير ان مباحث جماعات أربع قد أيدت أقوال هان ومينر وزملائها في برلين وكوبنهاغن ثم علم أيضاً بعد انفضاض مؤتمر واشنطن أن مختبر بلزبور Bohr العالم الطبيعي المشهور وحائز جائزة نوبل الطبيعية ، أيَّد النتائج السابقة

أما وقد ثبتت هذه الحقيقة في ما يخص ذرَّة الراديوم ، فليس ثمة ريب في ان الباحثين سيقبلون الآن على تسديد النوترونات الى جميع العناصر الثقيلة ليتبينوا تأثيرها فيها من حيث انقسام ذرَّاتها وانطلاق الطاقة منها في خلال الانقسام

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد ، أن الرأي اتجه أولاً الى ان الذرَّات التي تنفر عن انقسام ذرات الأورانيوم بتسديد النوترونات اليها ، انما هي ذرَّات نظير isotope من نظائر الراديوم . فحاول الدكتور هان — وهو من أبرع الكيماويين الطبيعيين في العالم — ان يتبين الراديوم بالكواشف المعروفة فعجز عن ذلك ثم ثبت لهُ ان ما أمامهُ ليس إلا نظائر عنصر الباريوم

فظن أنهُ أخطأ الحساب والاستنتاج ، فأدخل تعديلاً على طريقته ، غرضهُ امتحان النتيجة فثبت لهُ ان ذرَّة الأورانيوم تنقسم قسمين متقاربين كتلة : إحداهما ذرَّة نظير من الباريوم وقد تكون الاخرى ذرَّة نظير الكربتون

المروءة

مصدر مطوي

للدكتور بشر فارس

ذهبت المروءة وجاءت في تآليف العرب حتى انتهى بها الأمر أن وقعت موقع الفضيلة . وقد كثر الكلام عليها لاشتباهها . من ذلك تلك الأقوال التي قيلت فيها والتعريفات التي عرفت بها ، وهي متباينة بل متضاربة (١)

واليك فصلاً فيها من « كتاب الفتوة » لأخي أحمد المحب بن شيخ محمد بن ميخائيل الأرديلي (وتاريخ وفاته مجهول) . وكثيراً ما يذكر الأرديلي في كتابه هذا أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (٣٣٠ — ٤١٢ هـ) صاحب « كتاب الفتوة » ، ثم القشيري (٣٧٦ — ٤٦٥ هـ) صاحب « الرسالة » . فالأرديلي لاحقٌ لهما إذن . أضف الى هذا ان السلمي والقشيري من المتصوفة . ولذلك تدخل الفتوة على قلم الارديلي في التصوف ، وكذلك المروءة التي هي شعبة من شعبها في كتاب الأرديلي . هذا وبين المروءة والفتوة أوجه شبه ، سواء في كتب الادب أو في كتب التصوف

وكتاب الفتوة للأرديلي لا يزال مخطوطاً . وهو مخزون في دار الكتب لآيا صوفيا ورقمهُ ٢٠٤٩ ، ويقع من صفحة ٩٩ الى صفحة ١٠٧ (٢) . وأما الفصل الذي في المروءة وعنوانهُ « باب في بيان المروّة » فيقع في صفحة ١٠٦ (٣)

ب . ف .

---

(١) في كتاب من هذا القلم اسمه « مباحث عربية » يظهر في شهر ابريل من هذه السنة في مصر ، مبحث عنوانه « المروءة : كلمةٌ ومعنىً » . وهذا المبحث يتناول لفظة المروءة من نواحيها المتعددة

(٢) وقد وصف هذا المخطوط المستشرق الاستاذ تيشنر F. Taeschner في مبحثه : Der Anteil des Sufismus an der Formung des Futuwwaideals في مجلة Der Islam المجلد ٢٤ ص ٥٨ . وهذا الباب الذي اشرنا اليوم قد بحث به الى المستشرق تيشنر ؛ لله الشكر

(٣) تنبيه : ما يقع تحت هاتين العلامتين [ ] يفيد تصويباً من عندي — هذا وقد حافظت على رسم الحروف في المخطوط ، وأما الترقيم فمن عندي

باب في بيان المروّة

« قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)[1]

وقال النبي صلّى الله عليه وسلم : (ستّة من المروّة ثلثة منها في الحضر وثلثة في السفر. فأما اللواتي في الحضر فتلاوة كتاب الله تعالى وعمارة مسجد الله واتّخاذ الاخوان [في] الله ، وأما اللواتي في السفر فبذل الزاد وحسن الخلق وكثرة المزاح في غير معصية الله)[2]

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (ضيع خصال عماد المروّة : أن لا تقاتل المسلمين الاّ مع امام عادل ، وان تؤمن بالقدر خيره وشرّه ، ولا تطلب من علم النجوم الاّ ما تهتدي به في البرّ والبحر فانها تدعو الى الكهانة ، ولا تسبّ احداً من المسلمين ، ولا تذل ولا تفرّ)

وقال الحسين بن علي رضي الله عنه : (المروّة صيانة دينه والجهد باصلاح نفسه والقيام على صفة الاحسان مع خلق ربّه)

وقال مالك بن دينار : (المروّة ترك الآثام وصلة الارحام ولطف الابتسام وموافقة الملك العلاّم)

وقال السرّي : (المروّة كتمان القاقة ورفع الحاجة) يعني حاجة غيره

وقال الشبلي : (المروّة ان تختار حقّ غيرك على حقّك وان تختار ربّك على دنياك ولا تختار من الدنيا الاّ الدين ولا من الآخرة الاّ الربّ)

وقال النوري : (المروّة بذل الندى وكفّ الأذى وترك الهوى والزهد في الدنيا وطاعة المولى)

وقال أبو بكر الوراق رحمة الله عليه : (المروّة ثلثة : الخلق والصدق والرفق)

وقال فضيل رحمة الله عليه: (المروّة الاستغناء عن الناس وترك وإليك ! وتركك لواليك؟ الحاجة الى الناس) . وقال : (من اختار الدنيا فلا دين له ومن اختار العقبى فلا مروّة له او اختار غيره عليه)

---

(١) سورة النحل آية ٩٠

(٢) هذا الحديث مما لم يدون في أصول الستة : راجع معنا « المروءة : كلمة رمز » المذكور قبل

وقال محمد بن واسع رحمة الله عليه : (المروّة تقديم حقّ الحقّ على حقّ الخلق)

وقال الجنيد رحمة الله عليه : (المروّة ترك معصية الله تعالى حياء من الله تعالى ، والمحافظة على طاعة الله تعالى خوفاً من الله تعالى)

وقال الحكيم : (المروّة ان يعامل الغير بما يرضى لنفسه ، ولا يفعل في خلواته ما يستحي منه في ملواته [جلواته] (١))

قال ابو اسحق الطبري : (المروّة خمسة اشياء : انصاف من النفس وبذل المال وصلة الرحم والتورّع [عن] الشبهات والحلم عن الجاهل [الجاهل]) وقد جمع الله تعالى ذلك في قوله تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)

وقال معمر بن كرام رحمة الله عليه : (من لا حياء له لا مروّة له ، ومن لا مروّة له فلا دين له)

وقال الحسن البصري رحمة الله عليه : (ليس من المروّة ان يرتع الرجل على صديقه)

سئل عن [سئل] البوشنجي رحمة الله على [عليه] : (ما المروّة) قال : (حسن السرّ) قيل لمعاوية : (ما المروّة) فقال : (اطعام الطعام وضرب الهام)

قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنهُ : (لا وفاء للول ولا مروّة لكذوب)

قال أبو الحامد رحمة الله عليه : (المروّة على ثلثة اوجه : مروّة القلب ومروّة الروح ومروّة السرّ . فمروّة القلب اجتناب [اجتناب] الريب والشبهة ، ومروّة الروح محافظة اهل الصدق والحكمة ، ومروّة السرّ ادامة الذكر والخدمة . فعلامة مروّة القلب القناعة بالقسمة ، وذلك مذكور في قوله تعالى: (من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينّه حيوةً طيّبة) (٢)، والحيوة الطيّبة هي القناعة . وعلامة مروّة الروح الشكر على النعمة، وذلك مذكور في قوله تعالى : (اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم) (٣) . وعلامة مروّة السرّ الصبر في اول الصدمة ، وذلك مذكور في قوله تعالى: (وبشّر الصابرين الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انّا لله وانّا اليه راجعون) (٤) »

---

(١) « الخلوة : محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا احد سواه — والجلوة: خروج العبد من الخلوة بالصورت الآلية » عن « اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية » ص ٨ تحت ، طبع ذيلا لتعريفات الجرجاني ، مصر ١٢٨٣

(٢) سورة النحل آية ٩٧ (٣) سورة البقرة آية ٤٠ (٤) سورة البقرة آية ١٥٥ ، ١٥٦

الروابط القديمة

بين بلاد العرب والقطر المصري

للدكتور حسن كمال

مدير الصحة الدورية والدعاية الصحية بوزارة الصحة

تؤدي فريضة الحج كل عام حوالي العشرة آلاف نسمة من سكان القطر المصري لأنها الركن الخامس للإسلام فهي واجبة شرعاً على كل مسلم . لكن كلما عاد الحاج المصري المثقف الى وطنه خالجته الرغبة في معرفة الروابط التاريخية القديمة التي كانت تربط القطر المصري بالقطر الشقيق والتي يرجع تاريخها الى ما قبل الاسلام

اما ان هناك روابط عديدة وحوادث تاريخية هامة ونظريات علمية خطيرة ذات علاقة بالموضوع فأمر معروف لدى المشتغلين بالآثار . ورغبة في اظهار هذه الروابط رأيت ان أجمع الهام منها راجياً بذلك أن أسد فراغاً تتوق اليه أنفس كثير من الباحثين

على الرغم من الرأي الحديث القائل بأن المصريين الاقدمين نشأوا وترعرعوا في القطر المصري — ذلك الرأي الذي يطلق عليه الاثريون لفظ (Autochthonism) — فأن هناك اسانيد هامة تشير الى ان المصريين الاقدمين وسكان بلاد العرب من اصل واحد — وهناك رأي كذلك بأن المصريين أتوا من بلاد العرب عن طريق باب المندب فالسودان يعزز ذلك اولية الجنوب عند قدماء المصريين واشتراك العرب والمصريين في تنا الأنف ودبدبة الذقن وتموة الشعر

اما رابطة اللغة فأني اترك فيها الكلام للمغفور له احمد كمال باشا الأثري حيث ذكر في (مقتطف سبتمبر سنة ١٩٢١ ص ٢٦٣) تحت عنوان بحث لغوي ما يأتي : —

« ان المصريين القدماء ارادوا تخليد ذكر اصلهم فأثبتوه بالحفر على آثارهم قائلين ان اجدادهم يدعون الاعناء (جمع عنو) اي انهم اقوام من قبائل شتى اجتمعوا في وادي النيل وأسسوا فيه مدناً كثيرة منها مدينة عين شمس ويقال لها بالمصرية العين البحرية ومنها العين الجنوبية وهي

أرمنت وهنا عين التي عبدت فيها بعد دندرة . ولما نموا وكثروا تفرقوا في الجهات المجاورة لوادي النيل ففريق منهم وهو المعروف باسم اعناء (الحنو) او الحنويين توجهوا الى بلاد نوبيون وتونس والجزائر وسكنوا فيها وفريق آخر يسمى اعناء (التنو) هاجر الى بلاد الصومال واجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر ممتدًا الى فلسطين . وفريق ثالث يسمّى اعناء (السيتو) سكنوا القسم الجنوبي من مصر حيث جنادل النيل . وفريق رابع ويقال له اعناء (الكنوز) وهم اهل النوبة . وهكذا تفرق الاعناء وتوطنوا الجهات التي ذكرناها وبقوا فيها لفهم مدة من الدهر فكانت هي لغة البلاد التي تكلم الى الآن بالعربية . فاللغة المصرية اي لغة قبائل الاعناء التي سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هي اصل اللغة العربية بلا مراء ، وعلى هذا الاساس ارجع سعادته في معجمه الضخم كل كلمات اللغة المصرية القديمة الى ما يقابلها في العربية

واستنتاج سعادته انى من نصوص الدير البحري — وهو بالطبع نظرية الشيء الذاتي [illegible] ومع انه لا يتعارض مع نظرية ارجاع المصريين الاقدمين الى بلاد العرب ومجيئهم من باب المندب فالحبشة فالسودان فمصر إلاّ انهُ يرجع بالمصري والعربي الى أصل واحد بل ولغة واحدة

***

وكم كنا نودّ لو اجريت الباحث الخاصة بالنسب الدموي على عدد كبير من المصريين والعرب لعلنا نستوثق من هل غالبية هذين العنصرين ترجع الى أصل واحد كما هو المظنون . وقد ساهم الاستاذ الفاضل الدكتور علي بك شوشه مدير مصلحة معامل الصحة في بحث هذا الموضوع وشرحه في بعض محاضراته وكذلك الدكتور محمد شرف بك . ونحن نتقدم هنا الى شوشه بك طالبين منهُ أن يضحّي بعض وقته فيصرفه في تحليل دماء عدد كافر من المصريين والعرب علّهُ يصل بنا الى نتيجة علمية حاسمة

هل غزا العرب مصر في أواخر حكم الاسرة الثامنة ؟ (حوالي ٢٤٤٥ ق . م) هذا السؤال لا يزال يتكهن به بعض الباحثين أمثال فلندرز بتري . والمعروف انهُ لما سقطت الاسرة الثامنة تفككت عرى الحكومة المصرية وعمت الفوضى البلاد وساد فيها التلف وكثر الخراب . اما الاشخاص المسؤولون عن هذا الانقلاب العظيم فلم تهتد اليهم . ويظن الاستاذ بتري انهم كانوا من عنصر عربي غزا مصر عن طريق برزخ السويس كما يستنتج ضمناً من آثار الملك (خيان) الذي تمصر وادّعى انهُ حكم جميع القطر المصري كما ادّعى بعده الرعاة لما دخلوا مصر ، وقد عثر على الجزء السفلي لتمثال هذا الملك بمعبد تل بسطة . وهو مصنوع على شكل التماثيل المصرية

القديمة ومن الصوان الاسود . كما عثر على صخرة مجيدين منقوش عليها اسم هذا الملك داخل خمة ملكية وغير ذلك من الآثار . وقد لقب هذا الملك بأنه « امير الجبان » — ويعني امير الصحراء — فهو واخاله هذه يشير الى الحكم الصحراوي . وثمة بعثة من اوائل الاماكن المصرية التي يحتلها الاجنبي عند دخوله القطر المصري ، ويلي هذا الملك ملك آخر يقال له (خزر) وملك ثالث اسمه (يعقوب حر) . وهذه الاسماء الثلاثة اجنبية وليست مصرية . اما الاستاذ برستد فينسب هذه الملوك الى عهد الهيكسوس او الرعاة الذين دخلوا مصر حوالي ١٧٠٠ق.م) وحكموها وملكوا بها حتى عام ١٥٨٠ ق . م . وقد قال يوسيفوس (Josephas) ان الهيكسوس هم بنو اسرائيل فاذا كان هذا الرأي صحيحاً — وهو على الارجح غير صحيح — فان خروج الهيكسوس من مصر يكون عبارة عن خروج بني اسرائيل . ولم نعثر حتى الآن في آثار هذا العهد على ذكر لبني اسرائيل قط . وعلى ذلك فيجب اعتبار الهيكسوس غير بني اسرائيل

والهيكسوس او الرعاة من اصل عربي بدليل قول الاستاذ برستد ان معرفة وطن امبراطورية الهيكسوس وأصلهم وأخلاقهم ليس صعباً وان الغالب ان رواية (مانيتون) القائلة بأن هؤلاء القوم فينيقيون صحيحة

***

والثابت ان اهالي بلاد العرب كثيراً ما هاجروا الى سوريا . ولذلك لا يبعد ان هذين القطرين اتحدا بعد مجهودات حربية تحت ادارة حاكم قوي وكوّنا مملكة واحدة . ويلاحظ ان السوريين الذين أتوا الى القطر المصري ايام الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٩ — ١٧٨٨ق.م) كانوا متمدينين راقين كما ان حروب الفراعنة في سوريا بعد طرد الهيكسوس من مصر أثبتت وجود حضارة عظيمة هناك . والظاهر ان انهيار صرح امبراطورية الهيكسوس العظيمة ترك بعض تأثيراته في اهالي فلسطين وسوريا استمرت عدة اجيال بعد بسط النفوذ المصري عليها . ولذلك نجد بين اخبار حروب مصر بتلك الجهات بعض معلومات عن امبراطورية الهيكسوس التي تضعضعت

اما هجرة سيدنا ابراهيم من بلاد العراق الى كنعان فحصلت حوالي ١٦٠٠ق.م . ولم نعرف بالضبط تاريخ دخول بني اسرائيل القطر المصري ولا مدة مكوثهم به . لكن يستدل من نصوص الكتاب المقدس ان تاريخ الخروج كان سنة ١٤٩٠ ق . م . وخطابات تل العمارنة التي يرجع تاريخها الى (١٤١٥ — ١٣٦٢ ق . م .) — في عهد اخناتون — تشير الى وجود (عابريا) ؟ العبرانيين في فلسطين

وفي سنة ١٢٢٥ ق . م . قامت ثورة ضد ملك مصر (منفتاح) في فلسطين اخمدت . وورد

ضمن اخباره « ان الاسرائيليين ابيدوا ولم يبق لهم بقية » . وفي سنة ١٠١٠ ق . م استولى سيدنا داود على مدينة بيت المقدس وفي عام ٩٣٠ ق . م سبب المصريون بيت المقدس. وفي عام ٥٨٦ ق . م سقطت بيت المقدس في ايدي البابليين. وفي عام ٣٣٢ ق.م خضع البرانيون لسلطة اسكندر الاكبر . وفي عام ٣٢٠ ق . م استولى بطليموس على بيت المقدس

***

هذا باختصار بيان بعلاقة مصر القديمة بشمال بلاد العرب حتى عهد بطليموس الاول — وهي علاقة بموزها الكثير من البحث والاسانيد والمراجع الوثيقة وغير ذلك . وعلى كل حال فهذا هو كل ما يمكن ان يقدمهُ الكاتب للقارىء في ايجاز يناسب المقام

بقي علينا بعد ذلك ان نبحث في علاقة بلاد العرب بفلسطين في القديم في العهد البرناني وقد وفى الاستاذ (ثارن — Tarn) هذا الموضوع حقهُ في « الدراسات المصرية » عام ١٩٢٩ ص ١٠ — ٢٥) فنقتطف منها ما يأتي مما يهم القارىء معرفته . —

لاشك ان معلومات اسكندر المقدوني عن شبه جزيرة العرب وحجمها كانت ناقصة جداً لانهُ أمر هيرون (Hieron) ليطوف حول شبه جزيرة العرب من بابل الى هيروبوليس (خليج السويس) فقام بحراً حتى وصل رأس مسندام فقط وقفل راجعاً وذكر في تقريره ان بلاد العرب لابد وان تكون كبيرة كبلاد الهند . وفي الوقت نفسه أمر اسكندر المقدوني بارسال بعثة بحرية لتطوف حول شبه جزيرة العرب من خليج السويس الى خليج الفرس فوصلت هذه البعثة حتى باب المندب وقفلت راجعة ايضاً لقلة الغذاء والماء على الارجح ، وقد ذكرت البعثة الاخيرة ان المسافة بين السويس وباب المندب تبلغ ١٤٠٠ فرسخ يوناني وهو تقدير قريب جداً من الصواب اذ انها في الحقيقة ١٣١٢ فرسخاً يونانياً (Stades) . ولما وصلت البعثة الى حضرموت سمعت بوجود ممالك غربية على الساحل الغربي مثل مهرا وحضرموت وسبأ

وفي عهد بطليموس الثاني (٢٨٣ — ٢٤٧ ق . م) عُهد الى بعثتين لاكتشاف ساحلي البحر الاحمر الشرقي والغربي بدقة وعناية اما البعثة التي قامت باكتشاف الساحل الشرقي. فوصلت الى باب المندب وكانت تحت رئاسة ارستون (Ariston) الذي ورد في مذكراته اقدم ذكر للنقود في النصوص اليونانية

***

ولنبحث الآن في سرّ اهتمام اليونانيين بجزيرة العرب . لاشك ان اليونانيين وغيرهم من الممالك المجاورة كانوا كثيري الاهتمام بالاستيلاء على شمال بلاد العرب لان تجارة العطور

كانت تأتي من الهند والشرق الأقصى الى جنوب بلاد العرب بالسفن وتنقل منها بواسطة القوافل عن طريق سبأ ويثرب (المدينة المنورة) متبعة بعد ذلك طريق السكة الحديد الحجازية حتى (العلا) و(ميدان صالح) ومن ثم تتفرع الطريق فرعين فرع يتجه نحو (غزة) والآخر نحو (طبرة) و(دمشق) . هذا هو السر الذي من أجله ناضلت مصر نفوذ بابل في شمال بلاد العرب وتشتر

***

الى هنا انتهى ما اردت ذكره عن العلاقات القديمة بين شبه جزيرة العرب والقطر المصري بعد ذلك يأتي العهد الروماني والاسلامي وهما معروفان

ولكن قبل الفراغ من هذا البحث يجب ذكر شيء عن رابطة الدين فالمعروف من الآثار المصرية ان الديانة المصرية قبل حكم الاسر كانت تتركز في التوحيد. فقد قال المرحوم كمال باشا (بقية الطائفين ص ٥١) ما يأتي : —

لا شك ان سلف اهل مصر كانوا يعتقدون وجود الله واحد ربي ولا يُرى ومعبود صمدي قديم ازلي لا اول له ولا آخر وانهم كانوا يقدسونه باجلال تسمه الجليلة ويتقربون اليه بعمل الحسنات واجتناب السيئات ومعرفته واداء شعائر عبادته وانهم ارتقوا في عادة معنى الالوهية الى درجة قصوى . وقد ورد في آثارهم كثير من الجمل والعبارات المثبتة لوحدانية الله تعالى وقدرته واحواله وصفاته بها — كل شيء خلقهُ الله العظيم بنفسه — ومنها — خالق الكائنات والاشياء — ومنها — الخالق لكل مخلوق الذي لم يخلق (وهو) فاطر السماء والارض . — ومنها — الموجد لكل ما يكون أما ما لم يكن فهو في مكنون علمه — ومنها الله معبود باسمه الأزلي خالق الأرواح في الاشباح — ومنها يمضي الدهور وهو باق دائماً — ومنها — ذو الازلية الذي يمضي دهوراً لا تمضي وهو على حالة وجوده — ومنها — ذو الازلية الذي لا حدّ له — ومنها — لا يمسك بالذراع ولا يقبض باليد — ومنها — لا تدركه الابصار — ومنها — سميع لمن يتضرع اليه — ومنها — الذي يكون والذي لا يكون مختص به — ومنها ما ورد في معنى التوحيد — الواحد الذي لا شريك له

وقد وافق على اعتقاد المصريين بوحدانية الله كثير من علماء اللغة المصرية القديمة — أما تعدد المعبودات التي قالت بها الآثار فليست إلاّ أمراً ظاهرياً قصد به بيان مظاهر الذات الالهية ليس إلاّ »

وهكذا — حتى في الديانة — بدأ أهل مصر وأهل شبه جزيرة العرب نشأتهم بالتوحيد وانتهوا بنفس العقيدة على يد سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم

الفلسفة الماركسية

في الاجتماع والسياسة والاقتصاد

لعلي أدهم

الشيوعية مذهب في الاقتصاد وخطة في السياسة وعقيدة فلسفية تدين بها في العصر الحاضر دولة عتيدة كثيرة السكان مترامية الاطراف ، وتحاول تثبيت قواعدها وبسط سلطانها ، ولا معدى لنا اذا حاولنا ان نعرف طبيعة العصر الحاضر ونلم بمشكلاته البارزة وسياساته المتعارضة من ان نختبر في نزاهة ودقة نظامها ودعاويها واتجاهاتها ووعودها ، وقد يتراءى لبعض ان الكتابة عنها تزيدها انتشاراً وتأييداً ولكني لا ارى صواب هذا الرأي ، ولو جاريناه القائلين به لأمسكنا عن دراسة الكثير من مسائل الفكر ومذاهب الفلسفة ، وفي الشيوعية كما في سائر المذاهب الفلسفية جوانب صادقة وبها كذلك جوانب من النقص والزيف والباطل ، وبين دعاتها رجال خلقوا من طينة البطولة واخلصوا في سبيل عقيدتهم ألم التشريد والنفي وغصاصة الحاجة ومرارة الحرمان ولكن اصدق الناس اخلاصاً واصفاهم نية قد يقع في الخطأ ويتصور المحال ، وكثير من الآراء التي شقيت من جرائها الانسانية لم تصدر عن أشرار الناس وانما أذاعها قوم لا سبيل الى الشك في صدق سريرتهم ، والشيوعية ترى قلب النظام الاجتماعي وترى الحالة الحاضرة ظالمة فاتكة وانها ستفضي بالعالم الى الفوضى وتؤدي به الى الخراب والدمار فهي اذن امر خطير يستوجب الروية وامعان النظر ، وليس من الحق ان نفرض ضرورة بقاء النظام الحالي وامتناعه على التغير فالتاريخ كله حركة تحوُّل مستمرة ولكنهُ في نفس الوقت ليس سلسلة انقلابات مفاجئة وثورات طارئة وانما هو حركة تطور تدر فيها الثورة

والشيوعية مثل الفاشية تحاول التوفيق بين السياسة والاخلاق وهي تفسير خاص للحياة وطبيعة الوجود وهي تتضمن نظرية للمعرفة وفلسفة للتاريخ

والشيوعية من حيث هي نظرية متماسكة ومذهب فلسفي كان يطلق عليها في اول امرها اسم « المادية الجدلية » وتشير هذه التسمية الى تفرعها من فلسفة هجل ، ويذهب هجل الى ان تقدم الفكر وسائر الاشياء انما ينشأ من الصراع بين العناصر المختلفة المتناقضة ، ولنظريته جانبان فهي من جانب تصف الطريق الذي اجتازته الاشياء الى الوجود . ومن جانب آخر تصف السبيل الذي ينبغي سلوكه

اذا اردنا الخلوص الى حقائق الاشياء ويرى هجل ان العمليتين عملية تقدم الاشياء وعلمها وعملية الاهتداء الى الحق — يكونان جانبين مختلفين لحقيقة الواحدة ، وكارل ماركس يرى اسبقية الجانب الاول ولكن هجل يعزو الاسبقية الى الجانب الثاني . وكل نزعة من النزعات في ابان انتصارها تعمل على خلق نزعة معادية لها ولا تزال هذه النزعة الجديدة تشتد وتقوى حتى تتغلب عليها وتحليها عن الميدان ، ومن أمثلة ذلك النزعة الفردية في القرن التاسع عشر فقد بلغت القمة وأوفت على الكمال ولكن انتصارها الباهر كان مبدأ الى خلق النزعة الاجتماعية التي قاومتها وقضت على نفوذها

وكان هجل يعتقد ان القوة الدافعة في هذه العملية قوة فكرية صرفة ولكن ماركس أنكر عليه ذلك لأنهُ بمادئه النسبية كان يرى ان الافكار ان لم تكن أفكاراً صادرة من عقول خاصة فهي اوهام عديمة القيمة . وكان يتمسك بالنظرية المادية التي ترى ان الافكار نفسها تتكون من تأثير البيئة وانعكاساتها ، والافكار التي تقوم بالعقل انما منشؤها الاحداث والحركات التي تعرض في العالم خارج العقل ، فكوائن العالم العضوي هي التي تخلق الحوادث في عقل الانسان ومن ثم تخلق الحركة التي تسميها « التاريخ » وعقل الانسان جزء من هذه الحركة ولكنهُ ليس هو المبتكر لها

ويمزج ماركس مذهب المادي بطريقة هجل الجدلية ويستخرج من هذا المزيج تفسيره للتاريخ وتعليله لحوادثه . وملخص نظريته ان الحوادث تنشأ من الصراع بين النزعات المتباينة ، ويمكننا ان نصل الى لباب التاريخ بفهم النزعتين المتصارعتين ، وكما أننا في عالم الفكر اذا اتقنا أثر نزعة من النزعات لا مفر لنا من الانتهاء الى نقيضها فكذلك في عالم الواقع يقتضي نجاح نزعة من النزعات ظهور النزعة المناوئة لها فنظام الاقطاع مهد السبيل لظهور الرأسمالية ، والنظام الرأسمالي يوحي الى الطبقات الفقيرة الشعور بالتفاوت بين الطبقات وبذلك يطبع السلاح الذي يحارب به ويملي للقوة التي تقضي عليه ، والقوة الدافعة وراء العملية الجدلية — في زعم ماركس — ليست عقلية وانما هي حادثة طبيعية مادية ، وليست ارادات الناس ولا أفكارهم هي التي تغير وجه التاريخ وتحمل على اتجاهاته . وانما هي الفواعل الطبيعية وتكشف المواد الخام ومبتكرات الصناعة ، ولما كانت فكرة الاختراعات وتأثيرها البعيد في الفنون والصناعات قد تظهر قوة الفكر الانساني في توجيه الحوادث وصياغة التاريخ لذلك عني ماركس بأن يوضح أن الاختراعات لا تنشأ من عقل المبتكر تامة التكوين ناهضة الجناح وان ما يبتكره الناس في الواقع لا يبتكرونهُ من تلقاء أنفسهم وبتفكيرهم الفردي وانما يمهد لهم سبيله ويذلل لهم عصيه طبيعة المشكلات التي تستقلهم بها الظروف المطيفة بهم والأحوال العارضة لهم وفضلاً عن ذلك فان طوارىء العصر وبوادر الأحوال هي التي تحمل الاختراع وتهله او تذبحه وتملي شأنه وتعمل على اصلاح عيوبه واستكمال نقصه

ويرى ماركس ان أساس المجتمع قائم على انتاج الوسائل التي تصون الحياة البشرية وتدفع عنها غوائل الحاجة وتوزيع ذلك الانتاج انقسام المجتمع الى طبقات أساسه طريقة توزيع

الانتاج والاسباب النهائية لكل التغيرات الاجتماعية والثورات السياسية لا يبحث عنها في عقل الانسان واهتدائه الى الحقائق الخالدة وادراكه للعدالة وانما في تغير اساليب الانتاج والمبادلة ولا تلتمس في فلسفة العصر رايا في اقتصادياته فاذا اصبح باطلا ما كان يراه الناس حقا وصار ظلما ما كان يراه الناس عدلا فانما سبب ذلك التغيرات الصامتة التي تطرأ على طرائق التوزيع والانتاج وتجعلها نافرة من النظام الاجتماعي السائد الذي يرتكز على اسس اقتصادية قد غيرها التغير وهذا التنافر الذي يؤدي الى نسخ نظام المجتمع وتعديل اسسه ليس وليد الذهن او سليل الرغبات الانسانية وانما مصدره الانتاج وهو مسألة ليست مستقرة في عقولنا وانما هي قائمة خارج عقولنا ومستقلة عن ارادتنا واعمالنا والاشتراكية الحديثة ان هي الا انعكاس هذا الصراع في العقول

ومقومات الحياة الثقافية وخصائص المجتمع الاخلاقية والدينية واتجاهاته الفانونية والفنية جميعها في رأي الشيوعية مشتقة من الاصول الاقتصادية ، وادوار التاريخ المتعاقبة منشؤها صراع الطبقات والطبقات المتصارعة نتيجة الاحوال الاقتصادية

وعلى هذا النمط من تحليل بناء المجتمع وعناصر تكوينه وتفسير التاريخ تقوم الافكار الشيوعية وترتكز اسس المذهب ومن مبادئها تتفرع فروعه وتطرد احكامه

والانسان لاجل ان يحصل على القوت الذي يقيم اوده ويستحضر الثياب التي تقيه طوارىء الجو وتقلباته قد تعوّد ان يتناول المواد الخام ويختال فيها حيلته ويعمل فيها فكره لتواتي حاجته وتفي بمطالبه وتشبع غرائزه ومن ثم نشأ علاقة بين الانسان وبين الاشياء وهذه العلاقة بضرورة الحال تتضمن كذلك العلاقة بين الانسان والانسان لان طبيعة تناول تلك المواد تستلزم التخصص وتوزيع العمل وعلى مدى الايام ينهض في آثار ذلك حقوق وامتيازات يدعيها بعض القوم ليتفردوا باستغلال بعض الاشياء ويذودون عنها الغير ومن هنا نشأ الملكية من ناحية والحرمان من ناحية اخرى ، ويرى الماركسيون ان الاشخاص المجردين من حقوق الملكية يمكن استخدامهم في الاستغلال تحت اشرافهم ورقابتهم لقاء اجر زهيد يدفعونه لهم وقد نشأت من اساليب الاستغلال تلك الصور المختلفة في معاملة الانسان للانسان ، وتلمح من ذلك ان العلاقة بين الناس في مختلف العصور قائمة على اسلوب تلك الاشياء وطريقة تناولها وصنعها وقد ظلت تلك العلاقة طوال العصور المتعاقبة ثابتة في جوهرها . ومن جرائها انقسم المجتمع الى فريقين كبيرين يتبادلان العداوة والبغضاء ، وعلاقة الاستغلال ولو انها لم تتغير في الجوهر ولكنها مع ذلك قد اتخذت صوراً متعددة ويميز كارل ماركس من بينها ثلاثة انواع رئيسية حدثت في تطور المجتمع التاريخي فهناك الاستغلال الذي اتخذ صورة الرق والاستعباد . وهناك استغلال عهد الاقطاع وقد تلتها صورة الاستغلال في عهد الرأسمالية والاستغلال ظاهر الظهور كله في الصورتين المتقدمتين سواء في علاقة العبد بسيده او الامير الاقطاعي برعيته وفي العصر الرأسمالي ظلت العلاقة

واحدة في الجوهر ولكن يختلف أثرها ويختلف من وقتها بين المنتجات لا استعمالها المباشر ووجود الوسطاء بين المنتج والمستهلك وذيوع الحرية السياسية وسيرون البادىء الديموقراطية وتقدم الجماعات رهن بتغير العلاقة بين الانسان والاشياء او بنمط آخر يتوقف تقدمها على الاسلوب الذي يتناول به الانسان المواد الخام ويحيلها سلعاً تمض حاجته وتكفل بمطالبه ومن آونة لاخرى تنبع في عالم الصناعة مستحدثات تبتدع صوراً جديدة في المجتمع وكلما سمت الاختراعات في معارج الرقي وكبر نصيب الناس من البراعة الصناعية واستفاضت المعرفة واستثارت الافكار استلزم ذلك صوراً جديدة للنظام الاقتصادي

وسن الآداب وقواعد السلوك وشرائع القوانين في مختلف المجتمعات تم على حقيقة النظام الاقتصادي السائد لانها انشأت تبعاً لحاجات الطبقات المتحكمة المستغلة وهي ترمي من ورائها الى تحبيذ العلاقة الخاصة بين الطبقتين وتسويغ استغلال احدى الطبقتين للطبقة الاخرى ، وجميع النظم السياسية ومذاهب التشريع مرتبطة بالنظام الاقتصادي فهي ثمرته ومرآته معاً ، وقد كانت العبودية مباحة ومعترفاً بها في المجتمعات التي كانت تستغل العبيد ومن ثم يرى ماركس ان ركون الطبقات المستغلة الى التماس الحق وتعويلها على تشدان العدالة امر لا غناء فيه ولا رجاء في مخايله لان تلك العدالة المنشودة قائمة على افتراض صحة النظام الذي يثورون به ويحتجون على مثليه وليس هناك عدل مطلق ولا حق مجرد — كما يرى ماركس — وانما هناك معايير للحق وتصورات للعدالة ومن بين تلك المعايير والتصورات ما يسوغ وجهاً خاصاً من وجوه التقدم الاقتصادي ويرى صلاحه ومطابقته للحق ومسايرته للعدالة

ويقف الشيوعيون من الدين موقفاً بعيداً عن الاعجاب والتقدير بل هم لا يحجمون عن مقاومته وشن الغارة عليه والعمل على تقويضه لأنه في عرفهم ضرب من ضروب المخدرات التي تراخي العزيمة وتثلم النشاط وتغري بالزهادة والاستسلام ، وهم يرون ان الطبقات المتمولة قد اتخذت الدين وسيلة من وسائلها التي تستعين بها على حشد عقول الطبقات الفقيرة بالأوهام والخرافات وتصرفها عن مجابهة الحقائق وادراك ما ينصب لها من الاشراك وما يحاك لها من الدسائس ويسترعي الشيوعيون النظر الى ما ورد في الكتب المقدسة عن تحبيذ القناعة ومدح التواضع والخشوع وذم الكبرياء والجبروت

ولنظر الشيوعيين الى الآداب والفنون وسائر ألوان الحياة الفكرية متأثر بمذهبهم في الاقتصاد والأدب عندهم لا ينظر اليه منفصلاً عن السياسة والاقتصاد لأن الأدب الحق في زعمهم هو الذي يزيد الحياة قوة ، ولما كانت حياة الانسان ممتزجة بحياة المجتمع وتقوية الحياة تتطلب تسهيل توزيع النشاط الانساني بحيث يثمر ثمرته المرجوة ولا يذهب عبثاً لذلك يرى الشيوعيون ان الأدب الذي ينمو عالقاً بأغصان شجرة الرأسمالية نمواً فضولياً هو أدب قليل النفعة زهيد

القيمة والأدب الجيد هو الذي يدعو الى زيادة الانتاج الانساني ويعاون العناصر التي تعمل لتحقيق ذلك فادته اذن الدعاية ودعايته متجهة الى محاولة التغيير للدفع خلق وقيما أدب الماضي هي في أنه يقدم لنا صوراً أمينة للظروف الماضية وأحوال الطبقات في العصور الخوالي والادب في العصر الحاضر يجب أن يعين على احداث الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية وهم يؤثرون الأدب القريب من لغة الشعب وتصوراته ولا يرتضون الروايات التي تدور حول حياة الافراد وانما يفضلون الروايات التي تصف صراع الطبقات لانها تمهد سبيل التقدم نحو الاشتراكية

ويرى الشيوعيون ان الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية لا يتم بالطرق السلمية ولا مناص فيه من اصطناع الشدة واستعمال العنف والقهر وذلك لان النظم السياسية والقانونية والأدبية القائمة على أساس اقتصادي خاص تولد في النفوس الرغبة في الدفاع عنها والاستبسال في سبيلها حتى عندما يكون ذلك الأساس الاقتصادي قد آذن بالسقوط وأشرف على الزوال ، وكل نظام سياسي قد منح طبقة خاصة حقوقاً تحرص عليها وتتمسك بها لا يمكن تعديله دون الاستهداف لمقاومة الطبقة المستمتعة بامتيازاته والمحتكرة لخيراته وهي تحاول ان تقنع الناس من طريق اشرافها على تربية النشء ان النظام الراهن كفيل بتحقيق العدالة وان الخير في بقائه وحياطته وهكذا يبقى النظام السياسي جامداً في حين ان الاختراعات الحديثة في عالم الانتاج قد جعلت الحاجة الى تغييره شديدة ملحة ويقع في روع الطبقات الفقيرة ان وسائل الاقناع واساليب الديمقراطية غير شافية ولا مقنعة وانهم مضطرون الى احداث الانقلاب بالقوة والصدام

ويرد الشيوعيون الحرب الكبرى الى اسباب اقتصادية وذلك ان قوى الانتاج كانت في تقدم مستمر وزيادة مطردة في حين ان النظام الاجتماعي الراهن ظل بغير تعديل وترتب على ذلك ان أثمان السلع ارتفعت الى حد لا يمكن المجتمع من استيعابها جميعها فاشتدت من جراء ذلك الحاجة الى المنافسة لفتح اسواق جديدة تحت ستار الاستعمار وانتج ذلك الحرب

وظهور قوة الطبقات الفقيرة له نظائر في التاريخ لأن كل طبقة استأثرت بالنفوذ استدعى وجودها ظهور طبقة مناوئة لها وهذه الطبقة تزحزحها في النهاية عن مكانها وتغتصب نفوذها ولكن اشتداد قوة الفقراء في العصر الحديث طراز فريد من الحركات الاجتماعية لان نزاع الطبقات في العصور السالفة كان يشبه تغلب طبقة على طبقة واما انتصار طبقة الفقراء في العصر الحديث فانها ستؤدي الى خلاص الانسانية وتقضي على نظام الطبقات وهذا هو مصدر قوة العقيدة الشيوعية لأن انصارها لا يعملون لتغليب طائفة وانما يعملون لتحرير الانسانية ويشعل هذا الاعتقاد حماسهم ويبعث في نفوسهم حب التضحية والتفاني في التبشير بالمبدأ وتدعيم العقيدة

ويرى الشيوعيون ان تحرير الانسانية والغاء الطبقات وازالة الفوارق الاجتماعية يستلزم فترة تمهيدية تستولي خلالها على أعنة الحكم ديكتاتورية جريئة لا تحجم عن استعمال القسوة

والارهاب توطيداً لمكانتها ودفاعاً عن حوزتها ومتى استقرت الاحوال وزال الخطر بطلت وظيفة الحكومة وانتهت مهمة الديكتاتورية

ويشك الشيوعيون في نجاح الديمقراطية لانها في عهد الرأسمالية لا يمكن الا ان تكون خيالاً لا حقيقة له ومهما كانت اكثرية الناس من الطبقات الفقيرة التي لا تملك شيئاً فمن العبث الكلام عن الحرية الفردية او قدرة الفرد على التأثير في نظام المجتمع الذي يعيش فيه، ولا حرية لمن لا يملك شيئاً ومهما تكن الحكومة ديمقراطية فان النفوذ سيظل في يد المسيطرين على القوى الاقتصادية لاستيلائهم على وسائل الانتاج الصناعي، ولا نزاع في انهُ مما يبعث الارتياح والسرور ان يباح للانسان حرية النقد والمناقشة ولكن الذين لا يتغذون تغذية صالحة او يرهقهم العمل المضني لا يرون في حق الاستمتاع بالنقد سوى نوع من الترف لا قبل لهم به ولا رغبة لهم في تذوقه لانهم احوج الى ملء بطونهم منهم الى تحريك ألسنتهم وما دام يتقصمهم الموت فهم زاهدون في الحرية، وحرية التفكير وحرية المناقشة والبحث والتعبير عن الرأي هي أنفس ذخائر الديمقراطية وأسطع آياتها ولكن الشيوعيين يشكون في وجودها وينكرون قيمتها وهم يرون ان الرأسمالية اذا اشتدت بها الازمة وعضتها الحاجة فانها لا تتردد في الغاء هذه الحرية الوهمية وتظهر على حقيقتها سافرة غير متوارية ويضربون لذلك مثل الفاشية في ايطاليا والنازية في المانيا والشيوعية في نظرهم هي وسيلة انقاذ الحضارة في هذا العصر المضطرب الجائش لأن الرأسمالية ستظل في كفاح عنيف وتظل دولها يصارع بعضها بعضاً صراعاً ينذر بأسوإ النتائج ويقوض العمران ويعصف بثمرات الحضارة

ولعل أقرب نقد يوجهُ الى الشيوعية هو قيامها على طريقة هجل الجدلية لأن هذه الطريقة صحيحة من ناحية المنطق وما وراء الطبيعة ولكن تطبيقها العملي على الشؤون الدنيوية والحوادث التاريخية لا يخلو من الاعتداء على الحقائق والاساءة الى التاريخ، وعند ما نعرض حوادث التاريخ نرى أنها لا تطابق تمام المطابقة الأسلوب الجدلي الذي يقول به هجل والتاريخ مزيج من الضرورة والحرية والنظام والمصادفة والعوامل الهامة الأساسية وكذلك الحوادث التافهة الزهيدة وتياراته مختلفة وعواصفه كثيرة فالطموح له أثره في توجيه التاريخ وكذلك الدسائس والغيرة والمسائل الجنسية والحماسة الدينية والهوسة المثالية ولا يمكن تجاهل اثر الأفراد البارزين الذين نسميهم « ابطال التاريخ » واخضاع التاريخ لعامل واحد يقتضي تجاهل الكثير من حقائقه والالتواء في تفسير حركاته وشؤون الحياة الانسانية ليست جميعها خاضعة للمنطق مترسمة لخطواته ولها ظلال مختلفة وملابسات كثيرة وتاريخ الانسانية يتوقف على كثير من المصادفات التي لو تغير بعضها لتغيرت قصة التاريخ واختلف سير الزمان ومسألة تنازل الديكتاتورية التي تنشأ عقب الثورة الشيوعية عن امتيازاتها وسلطاتها امر غير منظور ومن الصعب التسليم به والاعتقاد بصحته

التربين

THE TURBINE

الأستاذ الفارسي

« التربين »

THE TURBINE

للشاعرة الاميركية لفاريت مونرو

[التربين Turbine مشتقة من Turbo اللاتينية ومعناها الدوران Turbinis ومعناها الاعصار وهي تستعمل في الفنون الصناعية الحديثة للدلالة على جهاز خاص استنبط اولا سنة ١٨٢٣ وصنع سنة ١٨٢٧ وقاعدته توليد طاقة محركة بسقوط الماء على عجلة دائرة وهي في عنوان هذه القصيدة رمز للاجهزة المولدة للطاقة في الحضارة الصناعية — المقتطف]

انظر اليها — تقرب هناك على عرشها —
كأنها تجمع بين كمال الانوثة ، وهدوء الراهبة .
ولكنك إذا تعرضت لها ، فدن صواعقها تزعزع الارض .
إنها متشامخة كأي ملكة جميلة تدرك واجبها الملكي :
تضيء العالم ... وتفعل ذلك ليلة بعد ليلة ...
عند ما يقلع مولاها الزاهي — الشمس — عن عمله .
أما أنا فبعدها ، استيقظ فأراقبها ...
وأعدو الى جانبها من بدء الشفق حتى بزوغ السحر ...
وهي تدندن بهدوء ... سِرٌّ مبتهجة لان الانسان يحمل ثروة الأرض ليطعم
بيراتها الجائعة ...
أقفد مشيتها ، ولا أجرؤ على التمرد ..
لأن يمناها هي القوة ... ويسراها الرعب ... وسخطها الدمار .
أنظر ! إذا لبث خيطاً معدنيًّا يقطع طرفي هذا المفتاح المحوّل ،
إنها تفجر جنّياتها ... وتُمزق قيرابها
وتصرخ إلى أن ينطلق لهيب سقر الخمودة ،
فيدمر عرشها تدميراً .

أما شعبها ، قطيع العمال الجوابين الحانين — الحمق والعتلاء الذين ينظرون منها الثور — فيبيرون مغمورين في ظلام الليل الغالب .

***

أعجب لها أحياناً : فيمَ تتنازل لتكون صديقتي ؟
تلك التي تحدثني ، وتلاشي وحدتي بقربها .
وبالرغم يا صاحبي من أني تافه حقير ، وهي سامية جليلة . . .
أترى أنها قاسية القلب ؟ كلا ! بل رقيقة حنون . . .
كما يكون العظيم حيياً .
إذ أنها تؤاسي بهدوء كل كآبة طاغية ،
وتجيع أفراحي ترقص لها في الليل الطويل الأناة .
أنها تحدث إليّ . . . تنبئني بهمومها ، تماماً كما أنبئها بهمومي .
« ولعلها تشعر بألم عميق لوخزة حصاة موجعة تنال من كُرَيَّاتها »[1]
حينئذ بغير صوتها لغته . . . فتدعوني منتحبة نادبة لأمكن ألمها . . .
فأسرع إليها — لا إلى عبدها الذي يسير غورها كالجراح —
ويخفف ألمها .

***

ولنا كذلك مزاحنا — أضاحيك صغيرة ! —
تلك التي لا يدركها سوانا في هذا العالم المحتشد . . .
أنها تهزأ بي لتظهر قدرتها . . .
فقد تنضح أغلفة النحم بخاراً . . .
وإذا بي أعدو حولها مجنون . . .

---

(١) في الاصل :

Perhaps she feels an ache
Deep down—that agonizing stab
of grit grating her bearings

لأحول دون انفلات شياطينها الجهنمية ...
وفجأة تحتضم بصماتها ... وتقهقه بهدوء من مخاوفي !

***

ولكن هناك لحظات يأتي فيها دوري ،
حينئذٍ يستطيع عبدها ان يسودها — ويظفر بها ليتحكم فيها .
اذ انها امرأة ينال منها الضيق فوق عرشها ... والملل من نفسها ...
تتزين بالقوة التي لا تلبث ان تنقلب الى شراسة عنيفة ...
حين يطرأ عليها الخلل فجأة ... انها تهزأ مني ...
وتكيد للاسلاك الواهنة بعناتها الجنوني ...
الذي يهز الفضاء ... ويستنزل آلاف البروق ...
كي تمحق عظمتها ... وتحرر روحها !
حينئذٍ — بهذه اليد الصغيرة —
ينفي عليّ — سريعاً كتوعدها —
ان أخمد اضطرابها ... وأقيد من ثوراتها الخدس ...
وأنقذها من ثورها العنيف ، ذي الصفة الطفولية
« وأقيم نفسي — هنيهة — مولى لمن دنا أو بعد من شعبها ،
لأبدد النفوس » (١)
ولقد فعلت ذلك في الليلة الماضية
وحيداً كنت هنا ، ويدي فوق قلبها ..
واجهت ما يسيطر عليها من الجن ... وطردتها بالسوط !
ولم تخفها بعد ذلك لمحة ظلام من مصابيح المدينة .

***

أنظر يا صاحبي . هنا زمن !

---

(١) في الاصل :

And make me the lord of for and near
amoment, startling the mystery

ما هذه الكرة البلورية الزجاجية التي أرضها لحفة
هذه القناعة ذات اللون البرتقالي ...
إن طفلاً صغيراً يستطيع أن يطفئها داخل قبضة اليد ...
أية أعجوبة غريبة هي ؟!
إنها ترقد في يدي باردة جامدة ...
وشرايينها الصغيرة — ذلك الغشاء النحاسي المجعد — زرقاء بيضاء
ولكن دعها — بدورة أو اثنتين —
تمس ذيل الأهداب البعيدة من ثوب سيدتي ....
والنظر الى الدماء الحية تلتهب ... تنساب الى قلبها ...
وتبدد الظلام ... مضيئة العالم ...

***

وحين أمس ثوبها — أنا خادمها في الليل الساكن —
وأتكيء بيدي على حافة برجها ...
أشعر باختلاج نارها ...
إنها تنحني بعظمة — دون استحقاق —
هذه المرأة الغامضة ، حين تبدد بسناها ظلامي ،
وحين تقودني بعيداً الى مصانع العالم ...
حيث أشعر بهائله القوى اللامحدودة ، التي تغنيها
كرتنا الصغيرة في الاثير ، بعد أن تحتمي بأشعة الشمس ،
وهناك بالقرب من قلب الحياة .. أجد السلام ..

[نقلها : زهدي التاجي الفاروقي]

الادب الفارسي

وخدمة الوثنيين له في الهند

للسيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي

— ٣ —

حين بدأ يأفل في الهند كوكب المغول الساطع ، وتميل اركان مجدهم الراسخ ، تزلزلت وطائد دولهم الراسية ، فأصبحت كأنها اعجاز نخل خاوية ، قد تشتت نظامها ، وتشعب التئامها ، فتشذب بولاة الامر بتشطة . وصار حكام الاقاليم طرائق قددا . وما كان هؤلاء قبلاً الا اعضاء حكومة كبيرة منظمة ازدهرت في رعايتها العلوم والفنون ، وترعرعت في حمايتها العلماء والادباء والشعراء . فلذلك فلم يكد ذلك الطود يهوى ، وانقصر العظيم يخوى حتى انتقلت تلك الرعاية والحماية الى مراكز هؤلاء الحكام. فكان اهم تلك المراكز اقليم « اَوَدْه »واقليم « بِهَار»

ففي « اَوَدْه » اسس حكامه بلاطاً فاخراً على نهج البلاط الملكي في دهلي، متوسلين بمسمه ، ومتحلقين بشيمه ، ومقتدين بمحاسنه ، ومتحلين بأوصافه ، فأمّه اهل العلم والفن والادب والشعر من دهلي ذرافات ووحداناً . فأصبح البلاط بهم طلعة لا تمل وغرة لا تكره . وكان بينهم علماء الفارسية وادباؤها وشعراؤها واشهرهم من الهنود الوثنيين : (كندن لال) عشقي ، و (راى بنات سنج) بيدار ، و(كنورجسونت سنج) برواه ، و (راي سراب سنج) ديوانه ، و(ميرزا محمد حسين) قتيل وهو من أصل وثني من شرفاء الطبقة الشطرية [1] . لم يكن الاخيران مجددين لاسلوب خاص بالادب الفارسي فحسب بل مصدري الالهام للكثيرين من الادباء والشعراء «فكنورجسونت سنج »برواه تلقى العلوم الفارسية عن (راي سراب سنج) ديوانه ، واصبح (ميرزا محمد حسين) قتيل استاذ الفارسية لعدد وفير من المسلمين في بلدة لكهنو ، حاضرة اقليم اَوَدْه . وتصانيفه : « نهر الفصاحة »

(١) ينقسم الوثنيون على حسب دينهم الى اربع طبقات : طبقة البراهمة وهم السادة واصحاب الامر فيهم، وطبقة الشطرية وهم الذين موكل اليهم الدفاع عن الوطن فهم جيش الامة وطبقة الشودرية وهم اهل التجارة والزراعة ، وطبقة المنبوذين وهم اصحاب المهن الحقيرة

و « شجرة الاماني » و « جهار شربت » في الادب الفارسي وفنونه شهيرة وفي غنى عن البيان

عم انتقد بعضهم من المتأخرين اسلوب (ميرزا محمد حسين) قتيل . فالشاعر الفيلسوف الكبير (ميرزا اسد الله خان) غالب [1] مثلاً قال في بيت ترجمته فيما يلي

ان الذي اجتاز هذه المواقف
لا يحتاج الى ان يعرف قتيلاً ولا واقفاً [2]

ولكن نواب صديق حسن خان يعتبره في كتابه القيم «شمع انجمن» من ذوي البسطة في العلم ومن الادباء الافذاذ في عصره . فالرقمات (اي مجموعة مكاتيبه) تدل على انه لم يكن صاحب اسلوب خاص بالفارسية فحسب بل كان قادراً على كتابة العربية والتركية كذلك وبنفس السهولة

لم يكن شعر (راي سنات سنج) بيدار وتضلعه من فنون الادب الفارسي اقل استيثاراً لتبصر اهل العلم والادب ، فقد نوه به العالم الاديب ابو طالب الذي ولد في بلدة زرسي غير ايران وتوطن الهند في اوائل القرن الثامن عشر ، في كتابه « حديقة الافكار » المحفوظة نسخته الخطية النادرة في مكتبة المستشرق الانكليزي هارلي Harley . وهو كتاب جمع فيه المصنف أحوال الشعراء الذين لم تكن آثارهم سهلة المنال وعلى حبل ذراع طلاب الفارسية . فوقف صفحات منه على تقدير كفاءة الشاعر (راي سنات سنج) بيدار ، وذكر فيها أنه كان من شعراء بلاط أوده ، أدرك عهدين من حكامه — عهد شجاع الدولة وعهد آصف الدولة . وله ديوان كبير احتوى على خمسة آلاف بيت . وكان ذا حظ أوفى من فنون الشعر وبخاصة في القصائد ، كما كان له القدح المعلى في استخراج التاريخ من حروف الآيات . فقد كتب قصيدة طويلة في التهنئة بزواج ممدوحه آصف الدولة ، استخرج فيها تاريخ الزواج اي سنة ١١٨٤ هجرية من كل شطر واليك بعض الابيات منها قال :

---

(١) كان شاعراً مطبوعاً باللغة الفارسية والاوردية ومنزلته بالاوردية عثابة منزلة شكسبير بالانكليزية أو جويته بالالمانية

(٢) «قتيل» و «واقف» اسمان لشاعرين

تعالى الله عجب أيام عيش جاودان آمد
زهر راحت كه نويد از آسمان آمد
دوسرو جويبار حسن يا مهرومه دوران
و يا سعدين كه ازهر فرح باهم قران آمد

لم تكن انواع الشعر الفارسي المعروفة مثل الغزل والنسيب والقصيدة مظهراً لكفاءة هؤلاء الشعراء الهنود الوطنيين فحسب ، بل كانت انواعه الاخرى ايضاً مثل الملحم والرباعي والمثنوي التي لا توجد في الشعر العربي ، مجتلى براعتهم . نعم كان الذين فاز قدحهم في مضمار هذه الاصناف من الشعر الفارسي حيث لا يرام مساماتهم ولا تُتعاطى بحارهم حافظ وسعدي ونظامي ، وخيّام ، وفردوسي ، وروميّ وخسرو ، ولكن الجهد الذي بذلهُ فيها هؤلاء الهنود والشأو الذي ادركوه في حلبة اتقانها وجدتها مما يستوقف النظر . فقد كتب الشاعر « بيدل » الذي درس على الشاعر (راي سراب سنج) ديوانه ، كتابه « سلسله نهابت » من صنف المثنوي كما كتب (بهكوان داس) وهو تلميذ الشاعر « فاخر مين » كتابه « لية الصين » ونظم الشاعر (بندرابن داس) خوشكو تحت قيادة استاذه الشاعر الكبير « بيدل » احوال بلدة « متزا » وهي من البلاد المقدسة عندهم . وكذلك نظم رفيقه في التلمذ (جوربخش) حضوري قصة هندية « كامروب وكامتا » . واضطلع بنقل ملحمتين هنديتين كبيرتين « مها بهارتا » و « راماينا » الى الفارسية نظماً الاديب الشاعر (لاله متناق راي) ، فقام به بمشاركة رفقائه الآخرين مع وعورة مطلبه ، وصعوبة مرامه أحسن قيام . ونظم الشاعر (حكيم شند) ندرت الهاپنوري الأساطير الدائرة حول شخصية الاله « كرشنا »

قبل ان تكلم عن الكتّاب بالفارسية يجدر بنا ان نذكر بين هؤلاء الشعراء اسم صديقنا المرحوم الشاعر الهندي الفيلسوف الكبير الدكتور محمد اقبال تغمده الله برحمته ، اذ كان علاوة على ابداعه في لغته الأوردية شاعراً مفلقاً بالفارسية أيضاً ، له فيها سبعة دواوين بين صغير وكبير . والمرحوم وإن كان مؤمناً قانتاً ومسلماً مخلصاً ، ومن عشاق النبي العربي عليه الصلاة والسلام ، والحضارة العربية الاسلامية ،

ومن كبار مفكريها ومدافعين عنها ، كان هندي الأصل ، أسلم أحد أجداده قبل مائتين وثلاثين سنة ولا يزال أفراد نسبه موجودين في الهند على دينهم الى اليوم

ولا اصل بتاتاً لما قالهُ كاتب مصري في مجلة اسبوعية انهُ من العرب وانهُ قال له ذلك في مصر . ومستبعد جداً بل مستحيل ان يقول اقبال ذلك وهو قد صرَّح في دواوينه عن اصله الهندي. قال في بيت ترجمته ما يلي :

ان السيد والتركي ربطا قلبيهما ودينهما بالسياسة

فاين يوجد عارف الاسرار غير الذي من سلالة برهمن[1]

وقال ايضاً في بيت آخر ترجمته ما يلي :

انظر اليَّ فانك لا تجد في الهند مثلي

من سلالة برهمن ولكنهُ يعرف رموز روم وتبريز[2]

ثم من غرائب ما وقع في هذه المجلة نقل كل شيء فيها عن مقالاتنا في المقتطف بغير الاشارة اليه ، وكنا ترجمنا النصوص المستشهد بها عن نحو الاردية والفارسية وكتب الكاتب مع عدم معرفته بهما حرَّفها مع ان النقل امانة ، وترجم بعض افكار الدكتور عن مجموعة محاضراته بالانجليزية وقال انها هي المحاضرة التي القاها الدكتور في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ، وليس فيها من المحاضرة شيء فان موضوع المحاضرة كان « الاسلام كتحول في التاريخ » ولا يزال صديقنا الفاضل الدكتور عبد الوهاب عزام الذي افتتح الحفلة بكلمة وصديقنا الاستاذ محمد احمد الغمراوي الذي كان يقيد المحاضرة وغيرهما كثيرون ممن حضروا المحاضرة وسمعوها يشهدون على ذلك.

ولا حاجة بنا الى ان نتكلم هنا عن وصف شعر اقبال بعد كل ما نشرناه عنهُ

اما النثر الفارسي فلم تكن براعتهم فيهِ اقل شأناً من النظم فقد ذكرنا آنفاً غير واحد من كتبهم فيهِ التي شيعت بالحمد وذكرت بالجميل في اندية العلم والادب . وتود الآن بطائفة اخرى منها وقد كانت بعيدة المدى اثراً حيث طاب نشرها في المحافل وحسن ذكرها في المجالس جيلاً بعد جيل . فمنها « دقائق الانشاء » للاديب (رنجور راي) ، و« جلشن بهار ايران » للاديب الشاعر (بندرابن داس) خوشكو ،

(١) يشير الشاعر الى نفسه (٢) اشارة الى رموز تصوف مولانا جلال الدين الرومي الصوفي المسلم الشهير والى رموز شعر شعراء تبريز مثل شمس الدين التبريزي

و«الانشاء» للاديب (ماد هورام) الذي كان بديوان الامير «جهانداد شاه»[1] محرره الخاص للفارسية. وقد اعتبر كتابه هذا مثالاً للانشاء الفارسي عند الادباء والفضلاء فأصبح كتاب العلم والتعلم في المكاتب والمدارس في شمال الهند زماناً

على ان اجمال في النظم والنثر يرجع الى جودة التعبير وحسن البيان والابداع فيهما ولا يمكن ان يتوخى لها وجوه النجح اذا لم يكن الشاعر والاديب راسخي القدم في اللغة، غزيري المادة وواسعي الاطلاع فيها. فلم يكن هؤلاء الجنود ممن لا يقوام لهم بها ولا من الراضين بالحرمان عنها، فقد انصرفوا اليها وكاثب الطلب وسلكوا نحوها سبيل النجاح، فصنفوا فيها غير واحد من كتب المراجعة الهامة للفيدة التي لا تزال تشهد لهم بفضل السبق وسعة الذرع الى اليوم. ففي بلدة سيالكوت مثلاً صنف اديب منهم «مصطلحات الشعراء» الذي ما برح معدود العلم للادباء والشعراء. صرف صاحبه في اخراجه خمس عشرة سنة من حياته وجمع فيه الكلمات التي استعملها شعراء الفارسية واستعاراتهم واصطلاحاتهم مع الشواهد الى زمنه فأصبح كتاباً فريداً في بابه جم الفوائد، قريب المنال، داني القطوف

اما الكتاب الذي كان ارسخ اصلاً، وأبسق فرعاً، وأحلى جنىً، وأعذب وروداً، وأكرم تاجاً فهو القاموس الكبير «بهار عجم» للعالم اللغوي الاديب الثبت (لاله اودي بهان) الشهير باسم (تيك شندبهان). «بهار عجم» كتاب جليل جامع في اللغة استوعب فيه صاحبه اصول الكلمات وأحاط بفروعها، وبيّن مترادفاتها وذكر اضدادها وقدم شواهدها من كبار الأئمة وفطاحل الشعراء، حيث لا يوجد مثيله حتى بين مصنفات اهل ايران انفسهم. فسم سبقه بعض الكتب ولكن ينقصها هذا الاستقصاء والاستيعاب. وعليه فما لا شك فيه ان (تيك شندبهار) قام بتأليفه هذا من خدمة الفارسية بمثل ما قام ابن منظور بكتابه لسان العرب من خدمة العربية، او الدكتور جونسون بقاموسه من خدمة الانكليزية. وهنا يستوقف النظر ويظهر مكان هذا العالم من الفضل، ويبين موضعه من الحذق ويبرز منزلته من الذكاء المتوقد انه اهتدى في ذلك الزمن — سنة ١٧٧٥ ميلادية — الى طرق الدراسة الحديثة لعلم اللغة المقارن Comparative Philology فقد صنف كتابين جليلين في هذا الموضوع وهما «جواهر الحروف» و«نوادر المصادر» حقق فيهما الكلمات

(١) هو ابن الملك نور الدين جهانكير ولد في سنة ١٠١٤ وتوفي سنة ١٠٥٥ هجرية

الفارسية بالمقارنة والموازنة مع كلمات اللهجات الاخرى الى اصولها الآرية الهندية

من الأمور العربة المسلم بها ان التاريخ لا يلائم طبع الفكر الهندي وقد أشار اليه العلامة البيروني أيضاً . فأنت تجد كتباً قيمة محفوظة عندهم من الزمن القديم الى الآن ولكن لا يمكنك ان تبلغ كنه تاريخها ولو بكلمة ، ولا أن تحيط بنبذ صحابها ولو بلمحة . فهناك عندهم علوم وفنون وحكمة عالية وفلسفة دقيقة ومذاهبها المختلفة ومدارسها المتنوعة ولكن تاريخ ظهورها وأحوال أصحابها مجهولة [1] . على أنهم لم يقدروا ان يستمروا على تلك الحال . فان المسلمين الذين نزحوا اليهم وتوطنوا بلادهم وحملوا ثقافتهم اليهم وهي اكثر اعتناء بالتاريخ من غيرها فلم يكن لهم بد من ان يصاغوا بصيغتها ، وينطبعوا بطابعها ، فأخذوا عن كتب منهُ حروفاً مواتية واجتنوا من اطرافه قطوفاً دانية حتى لم يكن عليهم من وعورته إباء ولا في تعاطي صعوبته عناء . فقد كتب غير واحد منهم كتباً قيمة فيه بالفارسية في اواخر عهد المغول . تحت بالبهاء فدُخر لها الثناء . بعضها في تاريخ الهند العام وبعضها في عهد خاص منهُ فمن القسم الاول « لباب التواريخ » للاستاذ المؤرخ (راي بندرابن) صنفهُ في سنة ١٧٢٣ ميلادية ، و« خلاصة التواريخ » للعالم (سوجن راي) صنفهُ في سنة ١٧٢٣ ميلادية و« منتخبات التواريخ » للفاضل (جك جيون داس) صنفه في سنة ١٧٥٣ ميلادية . ومن القسم الثاني « فتوحات المكيري » للفاضل (ايشور داس) صنفه في سنة ١٧٣٠ ميلادية ، و « تاريخ محمد شاهي » للاستاذ (خوشحال شند) صنفه في سنة ١٧٧٧ ، و « خلاصة التواريخ » للاستاذ (كلبان سنج) صنفه في سنة ١٨١٠ ميلادية . وجميع هذه الكتب جزيلة المباحث ، جمة الفوائد لا غناء عنها للباحث المحقق حيث لو لم يكن اصحابها للاحاطة بما فيها في تعصب ناصب ، وشتان معن لبق كثير من المسائل التاريخية والاجتماعية والعلمية والادبية من ذلك الزمن في خبايا الغيب . استمرت جهود الهنود الوثنيين هكذا مبذولة في خدمة الادب الفارسي الى اوائل القرن التاسع عشر حتى استولى على البلاد المستعمرون الغربيون وفرضوا عليهم لغتهم فأعمى أثرها عنهم . وما نوهنا به هنا وفي مقالتينا السابقتين من خدماتهم للادب الفارسي ليس الا نذراً يسيراً من الجم الكثير

(١) أنظر الفلسفة الهندية مجلد أول للعالم الفيلسوف راد هاكرشنن ص ٥٢

باب المراسلة والمناظرة

بين البطريرك

يؤنس الخامس وملكي مصر والحبشة

كان من محاسن الصدف ان المرحوم الدكتور يعقوب صروف احد منشئي مجلة المقتطف العراء حصل على النسخة الاصلية من كتاب «لباب الآداب» لواضعه أسامة بن منقذ الكناني الملقب بمؤيد الدولة [1] في اواخر القرن السادس للهجرة ، اغلبه نصائح وحكم عالية على ألسنة الملوك والحكماء والفلاسفة . وكان من محاسن الصدف ايضاً ان اخذت صورة الصفحة ٩٦ من هذه المخطوطة ونشرت في مجلة المقتطف بعدد ابريل سنة ١٩٠٨ بالفوتوغرافيا مرتبة طبعاً بالسطور والكلمات كما هي في الاصل وقال منشىء المجلة تعليقاً : —

« وهو أمر جرى منذ ثمانمئة سنة في هذا القطر وفي هذه العاصمة رآه مؤلف هذا الكتاب بعينه وسمع ما قيل فيه بأذنه ، وهو كأنهُ حدث امس وكتب عنه اليوم ، مرت ثمانمئة سنة والعادات لم تتغير واللغة الكتاب لم تختلف اختلافاً يذكر »

ولكن لنظر الى ما جاء بين دفتيه بالنسبة للعادات واللغة فقد يصح النظر اليه هنا بمناسبة ما ورد في هذه العبارة من الناحية التاريخية التي تصادف ان منشىء المجلة رحمهُ الله ان اهتم بتصوير هذه الصفحة فنطقت بما يأتي بالحرف من قول المؤلف

« ... ورع قوي ورعية طايعة قلت اذكر في قول الحكيم انما سلطان الملك على الأجساد دون القلوب أمراً شهدتهُ بمصر في سنة سبع واربعين وخمس مئة ، وهو ان رسول ملك الحبشة وكتابه وصل الى الملك العادل ابي الحسن علي بن السلار رضي الله عنهُ فسأله ان يأمر البطرك بمصر ان يعزل بطرك الحبشة وتلك البلاد كلها مردودة الى نظر بطرك مصر فأمر الملك العادل باحضار البطرك فحضر وانا عنده فرأيت شيخاً نحيفاً مصفراً فأدناه حتى وقف عند باب المجلس فسلم ثم انحرف فجلس على دكة في الدار وانفذ اليه يقول له ملك الحبشة قد شكا من البطرك الذي يتولى بلاده وسألني في التقدم اليك بعزله ، فقال يا مولاي ما وليته حتى اختبرته ورأيته يصلح للناموس الذي هو فيه ، وما ظهر لي من امره ما يوجب عزله ولا يسعني في ديني ان أعمل فيه بغير الواجب ، ولا يجوز لي ان أعزله . فاغتاظ الملك العادل رحمهُ الله من قوله وأمر باعتقاله فاعتقل يومين ثم أنفذ اليه وانا حاضر ايضاً يقول له لا بد من عزل هذا البطرك لأجل سؤال ملك الحبشة في ذلك فقال

(١) طبع حديثاً ووقف على طبعه الشيخ احمد تيمور

يا مولاي ما عندي جواب غير ما قلته لك وحكمك وقدرتك انما هي على الجسم الضعيف الذي بين يديك واما ديني فما لك عليه سبيل. وانما أعزله ونور عالي كل مكروه فأمر الملك العادل رحمه الله باطلاقه واعتذر الى ملك الحبشة اه. وهذا يحملنا على الرجوع الى المناسبات التاريخية وأهمها ما يأتي:

١ — كان الأنبا يؤانس الخامس هو الثاني والسبعين في عداد الآباء البطاركة ويعرف بابن ابي الفتح من دير ابي يحنس احد الراهبين اللذين كانا مرشحين للبطريركية عند انتخاب البابا ميخائيل الأول سلفه، ورسم في ١٥ بؤنة ٨٦٢ للشهدا وسنة ١١٤٦ للميلاد في عهد خلافة الحافظ. وبعد ان مضى على كرسي الرئاسة الدينية ١٨ سنة و ١٠ شهور و ١١ يوماً توفي في ١٤ بشنس سنة ٨٨٠ ش ١١٦٤ م

٢ — وقد أشير في سير البطاركة[1] الى ذلك الحادث ان دعيًا من غير العائلة المالكة اغتصب مملكة الحبشة وقتل ملكها الشرعي وجلس مكانه فوبخه مطران الحبشة بشدة على هذا الظلم فنفاه وأرسل الى البطريرك يطلب منه تعيين غيره مدعياً انه كبير وشاخ فامتنع البطريرك عن اجابة طلبه قصد المغتصب الى والي مصر وأرسل اليه هدايا ورجاه ان يلزم البطريرك بايفاد مطران آخر فلما تكلم الوالي مع البطريرك قال له إن مطران الحبشة لا يزال حيًّا فاقتنع »

هذه بعض المناسبات التاريخية وقد يحق التساؤل عن طريق المواصلات القديم بين مصر والحبشة في تلك الأزمنة الغابرة. فقد وجدت مخطوطاً في كتاب « تكريس كبير القمامسة ثم قسمة الراهب ونبي الاسكيم وقسمة الراهبة والرئيسة ثم قسمة المطران والاسقف » مخطوط بمكتبة الدار البطريركية بالقاهرة — حين كنت أترجمها وتبويبها — بعنوان « السفر الى بلاد الحبشة » كلة نقلها نقلا لما لها من الشأن مع المحافظة على متنها وحرفها قال:

من نقادة تنزل في المعدية لقوص ومن قوص تنزل في المعدية لقنا ومن قنا للقصير. واما السفر على البر فمن نقادة للقصير خمسة ايام واجرة كل جمل اربعين نصف فضة. ومن القصير ينزلوا في المراكب نسوا كن سفر خمسة عشر يوم مع الطياب والاجرة عن كل شخص ثلاثة أشرفية، ويعطوا الهدية للعدرين صاحب سواكن بساط وبرنس اسود عن الجماعة كلهم ان كانوا كثيراو قليل ثم يركبوا الجمال ويسافروا في بر الحبشة خمسة عشر يوم أجرة كل جمل أربعماية وخمسين دوهم نقرة، والعربان السكان في هذا البر تحت حكم الحبشة ثم يوصلوا بعد سفرهم في بر الحبشة الى أول بلاد النصارى الحبش التي فيها الكنائس والأديرة والايمان ثم يسافروا من بلد الى بلد الى ان يصلوا الى مواطنهم بالسلامة ان شاء الله تعالى » اه بالحرف

فين نحن أبناء القرن العشرين من أمس الدابر قبل صنع البواخر ومدّ السكك الحديدية وإنشاء خطوط الطيران: ولله في خلقه شؤون

توفيق اسكاروس

(١) كتاب السكنيسة القبطية للمرحوم منسى القمص صفحة ٥٣٧

حول مقال (هنيبعل مطران)

حضرة رئيس تحرير المقتطف

قرأت مقالة الدكتور أدهم وأود ان لا يفهم منها قارىء اني أوافقه على ما جاء فيها خاصاً بي ومع احترامي للدكتور أبي شادي أرجو ان لا يفهم قارىء اني أوافقه على مذهبه في التفكير او على طريقته في صناعة الشعر فان الاختلاف بيننا أكثر من تقاؤل وتشاؤم ومذهب طبيعي وغير طبيعي . وقد نشرت قبل الآن ان الاستاذ العقاد عندما عرفته كان قد اطلع على الادب الغربي والأوربي وكان قد نظم اكثر الجزء الاول من ديوانه وان الاستاذ المازني كان في مدرسة المعلمين يدرّس الادب ولم افده الا باهداء نسخة من ديوان الشريف الرضي اليه

ومع إجلالي واعجابي بالأستاذ خليل بك مطران أقول إني لم أتأثر طريقته أكثر من تأثري طريقة أي شاعر آخر من بوابغ الشعراء وأراني مضطرًّا أن أنشر بعد الآن مقالاً مطولاً اصحح فيه كثيراً من الآراء التي ينشرها الدكتور ابو شادي وأصدقاؤه . هذا وأرجو من الدكتور أدهم أن يسمح لي بنشر هذا البيان الذي يخالف بعض ما جاء في مقالته ولهُ الشكر وتفضلوا بقبول عظيم الأحترام

المخلص — عبد الرحمن شكري

حول ترجمة فتى العصر وفكرة تكلم زرادشت

جاءنا من كاتب نقد هذين الكتابين في مقتطف يناير — الاستاذ حبيب الزحلاوي — ردٌّ على ردّ مترجمها الاستاذ فليكس فارس جاء فيه انهُ كان قد أعدَّ ادلةً تأييداً لرأيه في الترجمة باختيار نماذج من الأصل وما يقابلها في الترجمة لنشرها مع نقده في المقتطف واننا اعتذرنا بضيق المقام . وهذا صحيح ولكننا لم نطلع على هذه النماذج . وفيه ايضاً انهُ اطلع صاحب الترجمتين على بعض هذه النماذج فأقرَّ ما في بعضها من المآخذ . فاقتضى التنويه بمضمون كتابه

تصحيح غلطاً

سيدي الاستاذ فؤاد صرُّوف المحترم

اشكر لك ادراجك في المقتطف مقالتي في (لغو اللغة) وكنتُ اودُّ ان أصحح بنفسي مسوَّدة الطبع لكن لم يتيسر لي الامر . ولذا وجدت فيها اغلاطاً ، اذكر منها

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٣٧٠	٧	وإما	وأمَّا
٤	٣	تفس	تفُس
٣٧١	١٠	قابلةٌ	قابلةٌ
٣٧١	١٠	غير كبيحة	غير حكية
٣٧٢	٢٠	طائفة اخرى	طائفة اخرى
		لاغية	لاغير

واختم الكلمة بالسلام والشكر والاحترام

الاب انستاس ماري الكرملي

مكتبة المقتطف

الحركة الادبية في سوريا ولبنان

المشادة بين أدباء مصر ولبنان — حركة النشر والكتب الجديدة

يؤلمني في هذه المرحلة الشاقة التي تسعى فيها الاقطار العربية الى توثيق عرى الالفة والمحبة عن طريق المصلحة والسياسة ان تقوم بين بعض ادباء مصر ولبنان مشادة مأثرة تقطّع عرى الالفة والمحبة عن طريق الأدب والثقافة كأنّ ما تجمعهُ السياسة يفرّقهُ الأدب . ولا أعلم على من يجب أن تلقى تبعة هذه المشادة التي أصبحت محنةً بعد أن أخرجتها فلتاتُ اللسان عن لطافها الأدبي . لي مناوشات لا أجد فيها ما يجي العصبية لأدب اللغة ، بل ما ينفّر القلوب ويضرم نار البغضاء وخوّف الجهود المبذولة عن هدفها الصالح الى الأمر الطالح ، فملأهون على الامم العربية أن تفرقها السياسات من أن يفرقها الأدب ، فالأدب هو دين القومية ، وما السياسات إلاّ أعراض تزول أو تتبدل مع الزمان

لقد تمنّى أن تدور باسم الأدب ضجة فارغة في زمن نحن أحوج ما نكون فيه الى التآخي والتعاون سياسيًّا وأدبيًّا واقتصاديًّا ، وأن يكون مثيري هذه الضجة حاملو ألوية الأدب وأصحاب الدعوة لتشييد جبكل الفكر على دعائم الوحدة القومية . فبدل أن نلتقي على أشجان الجراحات التي من حقها أن تجمعنا وتؤلف منّا أمة روحية واحدة على تباين مذاهبنا وآدابنا نسعى لتفرق بيننا ونتباعد باسم ادب « مصري » وأدب « غير مصري » خلقها تافسٌ أقلّ ما يقال فيهِ انهُ يسيء الى الوحدة العربية الأدبية ، أساس الوحدة القومية في الشرق . فمن دعائم النهضة العربية في الشرق أن توثق عرى الشعور بين جميع الأقطار الناطقة بالضاد وأن يعمل الجميع لما فيه خير اللغة متضامنين متكاتفين ، وفي خير اللغة خيرُ الأمة لأن اللغة هي الرابطة الوحيدة بين شعور الجماعات على تباين مذاهبها . ومتى ارتبطت الامم بروابط الشعور الصحيح نشأت عن هذه الروابط الوحدة السياسية والاقتصادية معاً ونجت البلدان العربية من أشد ويلاتها

***

ستّ سنوات خلت أدلى الدكتور طه حسين برأي في إمارة الشعر ، بعد وفاة شوقي ، التوى منهُ القصد على الأديب اللبناني الاستاذ ابراهيم سليم النجار كما التوى على الكثيرين غيره ، فردّ

عليه بمقالٍ لأذع عقبه ثورة عصبية ربما تفاقم أمرها لو لم يستدركها الدكتور طه حسين بحكمة دلت على رجاحة عقله وإخلاصه للأدب وعلى أنهُ يشعر بشعور الأمة العربية فلا يريد أن يسمع في دولة الأدب دويّ حرب أهلية . ولا يشوقه كما لا يشوق أيَّ حكيم عاقل في الجمهورية العربية الشاخصة الى مستقبلها من بين جراحها الدامية — أن يمتشق هواء الخصومة والعداء في دولة الادب بدلاً من مهازل العروش والإمارات

ولبنان عقد أحد الأدباء اللبنانيين في جريدة « المكشوف » مقالاً عاتب فيه ادباء مصر ، ولكن قلمه طوّح به تطويحاً عنيفاً تكثر فيه وجه العتاب على الدكتور زكي مبارك فخيّل اليه أن جريدة المكشوف « تشتم المصريين لتملأ صدورهم غيظاً وحقداً » وتذهب الى القول بأن « حملة الأدباء اللبنانيين على الأدباء المصريين ليست جديدة فقد ظهرت طلائعها منذ سنين . » وكان أن واصلت جريدة « المكشوف » من جهة والأستاذ مارون عبود في جريدة « صوت الأحرار » من جهة أخرى نقدها لبعض مؤلفات الأدباء المصريين فزعم بعض إخواننا في مصر أن القصد من نقد أدباء لبنان لما يكتبه أدباء النيل هو اعلان « حملة على الأدباء المصريين » ، في حين أن القصد من ذلك ليس كما توهمه هذا البعض ، فالنقادون اللبنانيون يتناولون أدباء مصر بين حين وآخر كما يتناولون أدبائهم وأدباء سائر الأقطار العربية على أنَّ ادباء العرب جامعة واحدة على اختلاف أقطارهم

وعما أننا حقاً من هذه الشادة خروجها عن نطاق الأدب والبحوث الأدبية الى نوع من المهاترة زراية بأي أديب ، مصريًّا كان أو لبنانيًّا ، عن اعتماده التنويه بفضل أو للإشادة بمأثرة وأي خير يرجى من قول قائل : « اذا كان الله خصَّ بلادكم بالأزهار والثمار فقد خصَّ بلادنا بحلاوة الأصوات وجمال الأساليب ، والليلة السعيدة هي التي تقضي بين التغاريد المصرية والفواكه الشامية ... » ومن قول آخر ردًّا على هذه الدماثة المفرطة : « نحن لا نريد أن نعتقد بأن المصريين لا يحبون منا إلا فواكهنا وإن نكن نفضل نكاتهم على سائر ما خصَّهم به الله ... »

***

على أن هذه المهاترة الخطرة لم تقف عند هذا الحدّ بل تجاوزته الى ما ينذر بأسوإ عُقْبى ، فقد أصدرت مجلة « الحديث » الحلبية عدداً خاصًّا بالثقافة المصرية نوّهت فيه بفضل بعض الأدباء المصريين على الأدب العربي متوقعة لمصر الانتداب بثقافتها على الأقطار العربية ، فلم ترق كلمة « الانتداب » كاتباً فقد في جريدة « المكشوف » فصلاً قال فيه : إن الأعتراف لمصر بالانتداب الأدبي معناه رسوب البلدان الأخرى في نطاقٍ من القصور لا يرضاه أدباء لبنان

وحجة أدباء لبنان على إخوانهم أدباء مصر أن هؤلاء الأخيرين يصدرون إلاَّ عمَّا تنتجهُ المطابع المصرية فلا يعرفون شيئاً عن الحركة الأدبية القائمة خارج مصر

ويظهر أن مقالة « زهير زهير » في المكشوف أثارت حفيظة الدكتور زكي مبارك فمت الى الشيخ فؤاد حبيش ، صاحب المكشوف ، بكتاب يقول له فيه : « يجب أن تثق بأن ضمائرنا لا تسمح بأن نتجنَّى على لبنان كما تتجنون على مصر ، لأنا نعرف منكم بأصول الأدب والذوق والعقل ... » وليسمح لي الأستاذ صاحب « المقتطف » بأن أنظر هذه الفقرة لأديب أقدر فضله وأكفر عنها بما كتبهُ الاستاذ توفيق الحكيم في مجلة « الرسالة » إذ قال بكثير من الأدب التام على كبر في النفس : « اذا كان الواقع هو أن نسيم الثقافة يهبُّ علينا اليوم من جبال لبنان فلا أحب انا نحن المصريين من هذا ، وهو خير لنا وأشرف من أن يهب علينا من جبال الالب غير أن الذي يؤلمني هو اننا معشر الشرقيين يكبر علينا دائماً أن نرى الفضل يأتينا من شرقي ، ولا نعجب بل نفخر أن يأتينا الفضل من غربي » . واذا حقَّ لي أن أوجه بعض العتاب البريء الى الاستاذ توفيق الحكيم فلكونه يسلك مسلك بعض إخوانه في الاغتمام بترجمهم الناجي ، فلو أنهُ اطلَّ من هذا البرج الى ماوراء العريش لأدرك أن في الأقطار العربية من أوفى قوة التحرر من الطابع الغربي فلا يجد نسيم جبال الالب سبيلاً الى نفسه

وصفوة القول إن الادباء اللبنانيين ما فكروا يوماً في الاساءة الى اخوانهم في مصر ، وكيف يسيئون الى من أشربوا محبتهم في قلوبهم قبل أرواحهم ، وخصوهم بعناية ما خصُّوا بمثلها أدباء اي قطر آخر ؟ أما هذه الضجة الفاترة في بعض الصحف المصرية واللبنانية فأحرى بها ان تتحول الى ما فيه خير الأدب الذي تشتق في سببه من ان تذكي نار الضغينة بين بلدين لا غنى لأحدهما عن مودة الآخر . وأية قيمة لهذا التنافس بين ادباء يدعون الحرص على اللغة ثم يؤيدون مفروض الحقوق لهذه اللغة بادعاء الفضل عليها في شكل من الاستفزاز يخلق للشعور جراحاً بين بلدين أشد ما يربطهما تراث اللغة العربية وآدابها ؟ إن الاقطار العربية جميعاً تشخص في آدابها الى هدف واحد ، ومهما تباعد اشهرها فلا بدَّ ان تلتقي ، لأنها تصبُّ في بحر واحد هو اللغة العربية فليكن قصب السبق لمصر ، وليكن للبنان ، وليكن للعراق ، وليكن لسوريا . فالرابح هو واحد مهما تباين وجوهه ، والنتيجة هي واحدة مهما تختلف السبل اليها

***

لا تزال حركة النشر ماضية في النشاط ، فقد أصدرت مطابع بيروت في الشهر الماضي كتاباً عن « دريفوس » للاستاذ يوسف يزبك ، وقصة طويلة للاستاذ ميشال شلي عنوانها « تلّ السنديانة » وهذه الاخيرة تدور حوادثها حول شاب لبناني يهجر قريته قبل الحرب الكبرى

الى اميركا تاركاً فيها حبًّا أقيم على الوفاء له . وما ان تضع الحرب أوزارها حتى يعود الى قريته حاملاً من المهجر مالاً وافراً وثقافة جديدة وداء ويلا فيجد المرابين قد استولوا على ملك حبيبته غناً ، فيقيم دعوى الدين على المرابين ويستعيد الملك بماله ولكن بسم حبيبته . وسرعان ما يحوك حوله الخاصمون دسائس أحقادهم ويتطلقون يحاربونه في جبهتين دينية خلقية ، وحكومية صحية ... فيسعون به الى أسقف الأبرشية ويوغرون صدره عليه مدّعين أنه عائد من أميركا ليبثّ في محيطه آلباني المبادىء الغربية الملحدة ، ويسعون به الى السلطة مدعين أنه مصاب بداء ويل فيجب اقصاؤه عن القرية . على أن كاهن القرية ، وهو من أحرار رجال الدين ، ينتصر للشاب ولا يخشى مجابهة الأسقف ، فتنقسم القرية الى قسمين أحدهما يؤيد المطران والآخر يؤيد الكاهن ، وقبل أن يتفاقم الأمر يكون هوا لبنان قد شفى الفيلسوف من علته فيتزوج حبيبته ويعيش العروسان بالنعمة والنعيم

وهذه القصة الجميلة ترينا صورة صادقة عن الحياة اللبنانية في القرية والمدينة . اما «دريفوس» فأساءة يهودية وضعها الأستاذ يزبك مستنداً فيها الى المصادر التي حاربت هذا الرجل ولم يكشف إلاّ قليلاً على المصادر الأخرى التي أثبتت براءته ، ومهما يكن فالكتاب موضوع بأسلوب مشوّق وبلغة نقيّة وبيان رائع . وينصرف الأستاذ أمين نخلة الى إعداد العدّة لجمع فصول بديعة في الأدب نشرها في جريدة صوت الأحرار تحت عنوان « تحت قناطر اريسطو »

وقد تصدر « دار المكشوف » قريباً مجموعة شعرية للأستاذ بيخائيل نعيمة ، ومجموعة قصص لبنانية للأستاذ الشيخ خليل تقي الدين يكشف فيها عن لون جديد في الأدب العربي الحديث

أما الدكتور نقولا فياض فسيصدر قريباً الجزء الثاني من « على المنبر » وفيه مجموعة نفيسة من المحاضرات الاجتماعية والأدبية والطبية التي القاها على منابر مصر ولبنان وسوريا وفلسطين

***

هذا في لبنان ، أما في سوريا فالنشاط السياسي مستغرق جهود معظم الادباء على ان الاستاذ معروف الارناؤوط منصرف بعض الانصراف الى وضع قصة عن السيد المسيح بلغة «سيد قريش» وقد مضى عليه نحو من سنتين في الاشتغال بها

ومما يجدر بالقول أن المطابع في هذه البلاد لا تصدر الاّ القليل مما تنتجهُ أقلام الادباء والسبب في ذلك عائد الى ان الاستهلاك ما يزال ضعيفاً بالقياس الى عدد القراء لا بالقياس اليه قبل اليوم . فقبل اليوم كانت الالفا النسخة ترسب في السوق ثلاث سنوات او اربع ، أما اليوم فالالفا النسخة قد يستهلكها القراء في سنة واحدة اذا اوتيت قسطاً وافراً من الدعاية . ولا بدّ من القول ان للدعاية الصحيحة يداً على ترويج الكتب

بيروت : الياس ابو شبكة

الدكتاتورية في العصور المختلفة (١)

لعلَّ أول ما يضطرب في خيال الانسان وهو يقرأ تاريخ العظماء هو كيف استطاع هذا او ذاك من بني الانسان أن يسمو على أترابه ؟ أي ملكة أو أي خلَّة ارتفعت به إلى أعلى ثم هو ان امعن في قراءة التاريخ بدت له نفرات هذت منها يد القدر ترقى بالرجل ليكون عظيماً يبدُّ أقرانه

وفي بطون التاريخ جماعة من العظماء سيطروا على بني وطنهم واستأثروا بالحكم دون سواهم سمَّاهم الاغريق بالمستبدين او الطغاة، وأطلقنا نحن عليهم لقب الدكتاتوريين . أفنستطيع أن نسمهم بسمة واحدة، والدكتاتور في العهد الروماني كان قائداً شوريًّا يختاره جماعة ليواجه أمراً ما ثم يلبث في منصبه ستة أشهر فحسب ، على حين أن الدكتاتور في أيامنا رجل مستبد أشد استبداد فهو يستمتع بسلطان لا يحده زمان ولا قانون ، ويستعبد كيف يشاء امة كانت منذ حين ترفل في ثياب الحرية ؟ لا ضير ، فللحكم المطلق حسناته كما أن له سيئاته ، غير أن صاحب كتاب « قصة الدكتاتورية في العصور المختلفة » ساوى بين كل حكم يستبد به فرد واحد ثم أخذ لنفسه بأن يمقت كل حاكم دكتاتوري ، وراح يستشف من وراء نفسه نظرات الجمهور والفلاسفة والمؤرخين الى مثل هذا الحكم وهي — كما يتراءى له — تتزيَّى حقداً وبغضاً .. تلك ، ولا ريب ، نظرة فيها التحامل والغفلة . فنحن نرى أن بعض الدكتاتوريين يفوزون بفنون من حب الشعب وتقديره وان كثيراً من الامم لا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة في سبيل المجد إلا على يدي حاكم مستبد ذي إرادة حديدية ونفس عالية وهمة سامية ، يرى بعين عقله ويعمل بوحي ضميره ؟ ثم هو لا يفسح للشورى سبيلاً فتتسرب إلى حكمه ، وهي مضيعة للوقت ومكسلة للنشاط ومثبطة للهمم، ومن ورائها الريبة والحقد والضغينة والحسد و ... مما يحط بالامم إلى الدرك الأسفل ، على أن الحكم الشوري في الأمم الناشئة هو العقبة الكأداء التي تتخبط فيها الأمة فلا تستطيع أن تبلغ بعض غايتها ، وكيف وفي المجلس الشوري جماعة يقضون أيامهم يناقشون أمراً واحداً لا يستقرون على رأي ولا يلقون به في غيابات الإهمال

نعم ، لقد ساوى كيلت بين جميع الحكام المستبدين واتخذ هذا لنفسه مبدأ ثم راح يضرب الأمثال يدلل بها على صدق ما زعم ، فنثر أمام قارئه ثبتاً من أسماء أصحاب الحكم الاستبدادي، فأختار من العهد الإسرائيلي أيمليك ، ومن الأغريقيين كليستيس وبيستراتس وبوليكراتس، ومن الصقليين جيلو وهيرو وديونيسيس و ... ثم الطاغي يقول إن جميع أولئك طغوا على الناس في غفلة منهم وفي أنفسهم الأنانية والغرور فما منهم الا من يغلظ على مناصيه فيذيقهم وبال

(١) نظرات في كتاب :

The Story of Dictatorship from the Earliest Times till To-day. By E.E. Kellett

أمرهم ثم يشير على أعين الناس غشاوة صفيقة من الكلام الخلاب الجميل يأسر به نفوس الناس ، ثم يمضي المعاهدات و يسير نار الحرب لا يخفى في ذلك ما يصبو اليه من عدوه واستقرار او من محز وعظمة

وانزلق مستر كيلت دفعة واحدة من القرن الرابع الى عهد النهضة حيث أنفق ما يشبع رغبات بدئه في حياة الديتشي وقيصر بورجيا في وقت معاً ثم وجد مثلاً في نابليون الذي خطفت عظمته أبصار موسوليني وهتلر والكماليين فاتخذوه أستاذاً ينهجون نهجه ويسيرون على سنته

ولقد أعجز كيلت ان يلمس الفروق بين الحكم المطلق القديم والحديث سوى فرق واحد هو ان الحكم المطلق الحديث يمتاز بأنهُ يرتكن على مذهب يكون هو الغاية التي يهدف الحاكم دائماً نحوها . فمثلاً لينين يتشبث بالمذهب الاشتراكي ، وهتلر بوحدة القومية وانقاء العنصري وموسوليني بالفاشستية

وفي الكتاب حديث طويل عن لينين وهتلر وموسوليني يبدي عن ناحية من نوازع هؤلاء الحكام ويغضي عن ناحية ، ولا عجب فالدكتاتورية أنانية لا تصبر على سمو في حدود لحرية الأفراد في سبيل التغني بمجد الدولة . كيف إذن يستطيع إنسان أن يجبر برأي ومن ورائه القوة التي لا تنشر الرحمة والصفوة التي لا تحس بالشفقة ؟ تلك هي الدكتاتورية أو هي الحرية التي يسوقها الينا الظلم والاستبداد . أي معنى فيها سوى أن الأمة لا تصل الى ما تبتغي من حرية ومجد الا حين يلبس ابناؤها جميعاً ثوب الرق والاستعباد ؟

ولقد كان لينين — في نظر المؤلف — هو خير الثلاثة

أما موسوليني فرغم أنهُ يبدو نشيطاً عبقريًّا رغم أنهُ اشتط فأودى بناس كثيرين ، وألقى بآخرين في أعماق السجون ، ورغم أنهُ تقاضى عن الحرية الفكرية وفتح باب الحرب الحبشية غير أنهُ كان يفتك من روحه الرقَّاقة في كل ما يأخذ على عاتقه من عمل ، ولقد بدا ذلك في تقريب وجهات النظر بينهُ وبين الفاتيكان وفي اندفاع ايطاليا الى الأعمال العامة ، ولكن ايطاليا الآن تتحدر إلى هاوية من الخراب المالي تقودها اليها الجيوش الجرارة التي تكلفها بالاطاقة لها . . . به أماهتلر فما زال في موقف النهوض (كتب هذا الكتاب قبل استباحة النمسا وتشيكوسلوفاكيا)

ومهما يكن في كتاب كيلت من آراء فما تزال الأسئلة تضطرب على شفاهنا عما عساه ان يكون في العصر الحاضر ، عصر الدكتاتوريات ؟ افيجرف هذا العالم تيار الحرب فلا يرتد الا وقد التهم نصف الأرض نصفها الآخر ، ام هذه الدكتاتورية الغالبة ستنسى بعض مطامعها ليستقر الناس في أوكارهم ويطمئنون في حياتهم ؟ لا ريب فالأيام ستحمل الينا — قريباً — الجواب الذي لا يستطيع الحدس ان يرق اليه . . . !

كامل محمود حبيب

الجيش المصري
في عهد محمد علي باشا الكبير

تحتفل مصر في هذا العام بذكرى انقضاء مائة سنة على انتصار بطلها الفاتح ابراهيم باشا في موقعة نزيب. وبهذه المناسبة المجيدة اصدر اليوزباشي الاستاذ عبد الرحمن زكي أمين المتحف الحربي مؤلفاً نفيساً في تاريخ الجيش المصري في عصر المغفور له محمد علي الكبير كتب مقدمته أستاذنا المؤرخ المحقق شفيق غربال وكيل كلية الآداب في جامعة فؤاد الاول

وعنى المؤلف عناية فائقة في بحثه ورجع الى اوثق المصادر فأبرز صورة صادقة لجيشنا الحديث لا يسع من يقرؤها الا ان يلمس غيرة الكاتب في احياء ذكرى هذا الجيش ويدرك الشبه العظيم بين مجهودات مصر في ذلك العصر ومجهوداتها الحالية في انشاء جيش قومي قوي

مهد الاستاذ لموضوعه بالكلام عن قوات الدفاع في مصر قبل زمن محمد علي فذكر الوحدات التي تألفت منها الفرق المختلفة وبيّن كيف تألفت من هذه الوحدات عناصر الفتنة والفساد وكيف عمل محمد علي على التخلص منهم بارسالهم في حرب ضد الوهابيين. ويصف لنا وصفاً ممتعاً محاولة الباشا الاولى في إنشاء جيش منظم بعد عودته من حرب الوهابيين وكيف رفض الجند اصلاحه مقتبساً في ذلك عبارات طريفة من مؤرخ ذلك العصر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي

« أمر الباشا جميع العساكر بالخروج الى الميدان قبل الفجر للتعليم على طريقة الافرنج الى الضحوة فأخذوا في الرماحة والبندقة المتواصلة المتابعة مثل الرعود ورجعوا داخلين المدينة في كبكبة عظيمة وداسوا أشخاصاً بخيولهم بل وحميراً أيضاً — كان قصد الباشا احصاء الجند وترتيبهم على النظام الحديث والباسهم الملابس المقمطة ومن أبى ذلك كان جزاؤه الضرب والنفي بعد سلبه ثيابه فحصل بين الجنود تذمر الخ »

وشرح كيف حاول محمد علي تكوين جيش من أبناء السودان ولم يوفق وكيف أصاب الهدف لما قرر أن يتعلم الفلاح الجندية عنوان القوة ورمز المجد ووجد في الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوي) عضداً قوياً فدرّب الجند المصريين واستعرضهم محمد علي ومعه قنصل فرنسا العام وقنصل انكلترا العام في معسكر التدريب بني عدي وبعد عودتهم كتب قنصل فرنسا الى حكومته في فبراير سنة ١٨٢٤ يثني على ما رآه من حسن نظام الجيش وبلوغه درجة عظيمة من الدقة في المناورات

وكما وفق المؤلف في شرح محاولة الباشا في إنشاء جيش منظم لمصر وفق ايضاً في توضيح نظام هذا الجيش الجديد فتكلم عن ديوان الجهادية وناظره وعن نظام الترقية وما اعتراه من

مساوياً في أول الأمر عند ما كانت الحصوية العامل الوحيد فيها وتعديل ضد الطريقة المتبعة اليوم وأشار الى مجهودات البعثة العسكرية الفرنسية التي طلبها محمد علي وجاءت الى مصر في أواخر عام ١٨٢٤ برياسة الباروون بوييه لتدريب الجيش المصري وتنظيمه وحدثنا عن التسهيلات التي قدمتها الحكومة المصرية لاعضائها وعن مرتباتهم وعن تزايد عددهم وكلها موضوعات طريفة لا يسع المرء الا أن يقرنها بمثيلتها في العصر الحاضر

كذلك وصف المؤلف المدارس العسكرية المختلفة التي أنشأها محمد علي وأتى على برامج الدراسة فيها ويلاحظ انها حوت فيما حوته من المواد الدراسية اللغة الفارسية وبيّن كيف امتزج تاريخ هذا الجيش بتاريخ الاصلاح المحمدي العلوي امتزاجاً فريداً حتى صار تاريخه كما ذكر الاستاذ الجليل شفيق غربال في مقدمة الكتاب « تاريخ التعليم والسياسة الاقتصادية والسياسة الخارجية فوصف مجهودات محمد علي الجبارة في خلق مصر الحديثة وفي الاستغناء عن الخارج بادخال صناعات كثيرة وانشاء مصانع للاسلحة ثم ارسال البعوث من الشبان المتفتحين الى اوربا حتى يعلم الجيش واستطاع في مدة اثنى عشر عاماً ان يضع تحت امرة ابنه ابراهيم جيشاً مستقلاً مؤلفاً من ستين الف جندي في دولة حديثة لم يتجاوز عدد سكانها اذ ذاك ثلاثة ملايين نسمة »

وبعد ما انتهى المؤلف من وصف الدور الانشائي على هذا النحو تناول الدور الذي قام به هذا الجيش في ميدان القتال ووفق توفيقاً طيباً في توضيح معانيه فتكلم عن الامبراطورية المصرية في عهد محمد علي وعن انتصارات ابراهيم العظيم في الشام وعن اعانيه في الاستقلال واحلامه في مجد العرب — وكلها آمال حالت دون تحقيقها الدول الاوربية — وختم المؤلف بحثه بحديث الارقام ضمنه احصائيات عن عدد قوات الدفاع المصرية وتوزيعها في أنحاء القطر وعن كادر رجال الجيش في ذلك العصر

وحوى الكتاب فوق كل ذلك صوراً تخطيطية واخرى ملونة لقواد الجيش وضباطه وجنده بملابسهم واسلحتهم وكذلك خارطات توضيحية مبسطة للامبراطورية المصرية في عصورها المختلفة

***

الحق ان هذا البحث النفيس مزدوج الفائدة فهو كاف لكل من يريد صورة صادقة عن جيش محمد علي وهو أيضاً مثير لهمم الباحثين من القراء فأن المصادر التي استند اليها المؤلف وذكرها في بحثه لا تلبث ان تدفع القارىء الباحث الى صفحاتها حثًّا بزيادة الاطلاع — وكفى المؤلف فخراً ان يصيب الهدف على هذا النحو — هذا فضلاً عن ان البحث في حد ذاته فتح جديد ولا شك في ان اليوزباشي عبد الرحمن زكي قد أسدى باخراجه خدمة جليلة الى بلاده ولا سيما في هذا الوقت الذي أخذت فيه بانشاء جيشها القومي

أحمد نجيب هاشم

معلقة الارز

لنعمة قازان

طبع بدار الطباعة والنشر العربية بالبرازيل

للعرب الجاهليين معلقات سبع تجاوبت ، أو عشر على قول آخر . فلماذا لا يكون لعرب القرن العشرين معلقات كذلك ؟

ويقال أن العرب الجاهليين علقوا هذه القصائد الخالدة السبع او العشر على استار الكعبة اشادة بذكرها . فان الكعبة كانت مقصد حجيجهم ومكان اوثانهم

واليوم بطلت فكرة تعليق الشعر على الكعبة الاسلامية . فأين يعلَّق ؟ لقد فكر الشاعر اللبناني وطناً ، البرازيلي إقامة نعمة قازان، في اهداء قصيدته الى الارز الخالد في لبنان لتعلق هناك على أغصانه الخالدة ....

فتفكيره الحنين الى الوطن الأول ظهرت واضحة في اختيار اسم الكتاب . فأي شيء أولى من الارز ليعلق لبنانيٌّ الشعر على شجره الشيق ؟

هذه المعلقة قصيدة واحدة من بحر المتقارب . واذا كان لكل عصر مميزاته في التعبير عن المعاني ، فان معلقات هذا العصر يجب ان تكون سهلة الالفاظ ، لا خشنة ولا غريبة ولا حوشية كما كان الشأن في العصر الجاهلي

والفكرة في معلقة الارز سامية نبيلة . فالأخاء يشيع فيها . والوطنية والحنين الى الوطن كذلك. الاَّ أن الشاعر تساهل نوعاً ما في استعمال الالفاظ . ولا نلتمس له العذر بأنهُ بعيد عن وطنه العربي . فان القراءة كفيلة بأن تقوّم اللسان مهما يضرب الانسان في نواحي الارض .

وفي معلقة الارز نواح كثيرة من الخلق الكريم . اسمعهُ يقول

وليس التملق من شيمتي ... وليس التأنق من زعتي
فاني ترعرعت بين الحيال ... على البأس والفقر والشدة
ومن عاش مثلي على جرأة ... فلا يتلذ سوى الجرأة

وحسب الشاعر « نعمة قازان » بلا أنهُ وقف ريع معلقته على الفقراء والمحتاجين في لبنان والبرازيل

وأشكر لحضرته اهداءه هذا الكتاب اليَّ عن طريق المقتطف الاغر وأرجو ان نرى دائماً من جميل ادبه ما يحفزنا دائماً الى الكتابة عنهُ . وعلى الشاعر السلام

القاهرة محمد عبد الغني حسن

الاطلال

Mahmoud Teymour "Les Ruines de Sami (roman égyptien)
Paris, éditions "Les Ecrivains contemporains", 1938.

ان فن القصة، على وجهه العام، لا ينقاد لكل احد، وان ظن بعض المحدثين ان سياقة القصص قوامها ارسال القلم مع قليل من التفكير وكثير من التخيل. وسبب ذلك ان القصة تستلزم التجربة العملية والوقوف على الوان التأليف القصصي وقوة الاداء وبراعة التصوير وشدة التأثير

وكثير من هذه الشرائط مجتمع في فن الاستاذ محمود بك تيمور. ولذلك تراه في طليعة القصاصين عندنا. اما اللون الغالب على قلمه فالواقعية، ومعنى هذا انهُ يميل الى الوصف الدقيق للمنظورات والتحفظ المباشر للمحسوسات والتعبير الوافي عن المدركات والخلجات. بحيث انهُ يمسك بيد قارئه ويمضي به عليه ويريه ذهنه مع شيء من الاستئثار بالأمر

هذا وقد رأت أخيراً فرنسية لعشر ان تنقل الى اللغة الفرنسية قصة طويلة للاستاذ تيمور، عنوانها في العربية «الاطلال» الى جانب عشر اقاصيص. والترجمة الفرنسية قريبة من النص العربي، تحوي غير استكراه ولا تمويه. ولغتها سهلة، سليمة، وإن بعدت عن مطارح الزخرف والتأنق

ومما يسرنا أن نذاع آدابنا في بلدان الغرب بلغات اولئك القوم، وذلك دليل قائم على جودة أقلام طائفة من كتابنا. وعسى أن يلقى كتاب الأستاذ تيمور في الفرنسية سابقيه من دلائل التقدير في العربية. فقل هذا عليه وعلينا جميلاً يعود

ب. ف

قناة فاروق الاول

تلقينا من حضرة الباحث المدقق والمؤرخ المحقق الاستاذ عزيز بك خانكي المحامي مقالاً اقترح فيه ايصال البحر المتوسط بالبحر الاحمر بقناة نهري يبدأ من ثغر رشيد وينتهي الى ثغر السويس ويمر بفوه فالمحمودية فدسوق فالرحمانية فشبراخيت فكفلة العنب فكفر الزيات فبنها فالقناطر الخيرية الى القاهرة فالسويس عن طريق ترعة الاسماعيلية وقال ان هذه المسافة تقل مائة كيلو متر عن المسافة التي تقطعها السفن الآن من الاسكندرية الى بور سعيد بالبحر ومن بور سعيد الى السويس بالقناة وتنفيذ هذا الاقتراح لا يحتاج الا الى توسيع النيل وتطهيره وتعميقه لكي يفسح لاكبر البواخر على ان يسمى هذا القناة — بعد درس الفكرة وقبولها — قناة فاروق الاول. وحجتهُ في هذا الاقتراح ان قناة السويس ينتهي امتياز شركته بعد ثلاثين سنة والشركة الحق في ان تخفض رسوم المرور فيه بلا قيد فقد يخطر لها ان تخفض هذه الرسوم

قبل انتهاء امتيازها تخفيضاً يقصر ما تجنيه مصر منهُ نقصاً كبيراً فلا تجني منهُ اقل نفع

وقد بسط حضرته هذا الاقتراح بسطاً وافياً وعززهُ بالارقام والاحصاءات والشواهد وعرضهُ اخيراً على الباحثين والمفكرين ليبدوا رأيهم فيهِ

دليل موجز

لمعروضات دار الآثار العربية

ظهر هذا الكتاب النفيس والمقتطف مائل للطبع . فلا يسعنا اليوم الاَّ ان نشير اليهِ ، وفي العدد المقبل سنتناوله بما يستحقه من النقد

وقد كتبهُ بالفرنسية الأستاذ جاستون ڤييت ونقله الى العربية بتصرف الدكتور زكي محمد حسن ، امين دار الآثار العربية وصاحب التآليف الجليلة في الفن الاسلامي على ألوانهِ

ويقع الكتاب في ١١٥ صفحة. وفي آخره ٢٨ لوحاً مما تحويهِ دار الآثار العربية من الطرائف والبدائع

أساليب الاجرام في مصر

وطرق الوقاية منها ووسائل منعها — تأليف البوزباشي صالح زكي — صفحاته ١١٢ صفحة طبع بمطبعة النصر بمصر

يسرنا ان يتجه فريق من ضباطنا النشيطين من رجال البوليس والجيش الى ناحية الأدب والتأليف ويقف الجزء الصغير من وقت فراغه على خدمة وطنه وابناء أمته بكل ما أوتيه من علم وذكاء. وقد أخرج أخيراً الضابط النابه النشيط البوزباشي صالح زكي ساون مكتب حماية الآداب بالقاهرة كتاباً نفيساً عن أساليب الاجرام في مصر وطرق الوقاية منها ووسائل منعها وهو الاول من نوعه في موضوعه وبحثه ويحوي فوائد جمة تفيد جمهور القراء بوجه عام ورجال القانون والبوليس والمشتغلين بالامن والهيئات المحترمة بوجه خاص وليس الغرض من وضع هذا المؤلف البحث في الجرائم من حيث انواعها واسباب انتشارها او الوصول الى وسائل فعالة لاستئصالها ولكن كيفية الاساليب التي يقبعها المجرمون عند ارتكاب جرائمهم والوسائل الممكنة التي يستطيع الانسان اتخاذها لمنع هذه الجرائم وضبط فاعليها واتقاء شرهم . والكتاب مقسَّم خمسة أبواب في الباب الاول ذكر المؤلف جرائم القتل وأنواعها. وفي الثاني جرائم السرقات وأنواعها المتعددة وطرقها. وفي الثالث جرائم النشل وأساليبها المختلفة. وفي الرابع حوادث النصب. وفي الخامس جرائم التسول وأساليب المتسولين والوسائل الفعالة لمنع التسول

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد ويطلب من مؤلفهِ بمصر وثمنهُ ١٠ قروش

باب الأخبار العلمية

الكشف الأثري الجديد

في تل الحجر (تيس القديمة)

[حديث الدكتور دريتون عنه]

أفضى الدكتور دريتون مدير مصلحة الآثار المصرية بالحديث التالي عن الكشف الأثري الجديد الذي أتيح للاستاذ موتيه بعيد منتصف مارس وعن زيارة جلالة الملك فاروق له فقال : —

قبل أن أتحدث اليكم عن الكشف الأثري الجديد في تل الحجر يهمني ان اقول لكم ان ما ذكر عنه في الصحف يتضمن كثيراً من التحريف . وقد كان لي شرف مرافقة حضرة صاحب الجلالة الملك في زيارته لهذه المنطقة وكان جلالته قد تفضل فأبدى رغبته السامية في مشاهدة الكشف الجديد

وتشرفت بالسفر في معية جلالته بقطار الديزل الملكي فوصلنا الى فاقوس في الساعة العاشرة صباحاً وركب جلالته السيارة الى تل صا الحجر وكان يقودها بنفسه بسرعة فائقة

وعند وصول الركب الملكي الحفار كان المسيو موتيه يكتشف المقبرة في استقبال جلالة الملك وتفضل جلالته فنهأ المسيو موتيه بتوفيقه الى هذا الكشف الأثري

ولقد ذكرت الصحف أن صاحب المقبرة والتابوت الذي عثر عليه في داخلها هو الملك بسوسنس الثاني ولعل ذلك راجع الى ان النقوش الملونة والبارزة على جدران المقبرة ذكر فيها هذا الاسم كما ان هذه الصحف ذكرت ان هناك تابوتين احدهما وهو الخارجي من الفضة والثاني — الداخلي — من الذهب

والحقيقة أن المقبرة للملك اسمه شي شونك وليس هناك سوى تابوت واحد من الفضة يمثل شكل آدمي له رأس صقر وقد وضحت لنا هذه الحقيقة عندما أمر جلالة الملك برفع غطاء التابوت الفضي فلم نجد تابوتاً ثانياً من الذهب كما ذكر في الصحف خطأ وانما وجدنا مومياء محنطة سليمة مغطاة برداء من الذهب بديع النقش رائع المنظر وقد وضع على رأس المومياء قناع من الذهب الأبريز على شكل رأس صقر وتبين لنا من قراءة النقوش الظاهرة على الغطاء الذهبي ان المومياء للملك شي شونك

***

وهناك خمسة ملوك بهذا الاسم حكموا مصر في المدة الواقعة بين سنة ٨٥٠ الى ٧٥٠ قبل الميلاد واولهم الملك شي شونك الاول الذي احتل القدس واستولى على كنوز الملك رحبعام خليفة الملك سليمان وثروته . ولا شك أن هذه المومياء هي لواحد من هؤلاء الملوك الخمسة وسيسفر البحث العلمي عن حقيقته

وشاهدنا بجوار التابوت جثتين بالطين ورأينا مع بقايا الجثة الموجودة في يسار التابوت عقداً من حجر احمر عين مركب على سلسلة من الذهب . وعلى مقربة منها وجدنا عدداً من التماثيل الخشبية الصغيرة التي يعثر عليها عادة في مقابر الملوك من قدماء المصريين

وتناول المسيو مونتيه من بين هذه التماثيل تمثالاً جميلاً على شكل صقر من الحجر الازرق بديع الصنع وقدمهُ الى جلالة الملك فحصهُ جلالته وابدى اعجابه السامي به

ورأينا في هذه الحجرة ايضاً بعض الأواني الخشبية وهي مغلقة بالطين فأمر جلالته بفتح بعضها ففتح المسيو مونتيه ثلاثاً منها فاذا بداخلها ثلاثة تماثيل من الفضة تمثل الملك شي شونك واتضح انها عبارة عن اوان على هيئة تماثيل وفي داخل كل منها بعض احشاء الميت وكان اسم الملك شي شونك منقوشاً على هذه التماثيل الفضية الثلاثة فأكد ذلك ان المقبرة للملك شي شونك وليست للملك بسوسنس الثاني

ووجدنا في جانب من الغرفة آنية كبيرة من الفخار مسدودة بالطين و بلغ ارتفاعها نحو ١٣٠ سنتيمتراً وقطرها ٣٠ سنتيمتراً ولم تعرف محتوياتها بعد

وتحيط بهذه الغرفة او المقبرة غرف عديدة لم يفتحها المسيو مونتيه بعد ولكنهُ أحدث ثغرة في احداها فشاهد في داخلها تابوتاً كبيراً مليئاً من حجر الجرانيت الاسواني

وقال جلالة الملك انهُ لو كان مكان المسيو مونتيه لاستمرَّ في الكشف عن محتويات هذه الغرف في الموسم الحالي

وترجع مكانة هذا الكشف الى العثور على مقابر للملوك الاسرات ٢١ و ٢٢ و ٢٣ من ملوك الفراعنة وهي فترة كانت غامضة في تاريخ قدماء المصريين اذ لم يسبق اكتشاف مقابر لملوكها وانما عثر على بعض تماثيل لهم في طيبة ولا شك ان هذا الكشف سيكشف عن الحقائق التاريخية في مدة حكم هذه الاسرات الثلاث وقد ظلت غامضة حتى الآن

كما ان هذه هي المرة الاولى التي يعثر فيها على مقابر للملوك قدماء المصريين في غير الصحراء

ويتضح هذا الكشف ايضاً ما ذكره بعض المؤرخين اليونانيين مثل هيرودوتس من أن احد ملوك الفراعنة دفن في معبد المدينة ولم يتحقق هذا الزعم الا بهذا الكشف الجديد لأن المقبرة التي نحن بصددها تقع على مقربة من معبد مدينة تنيس المعروف

وقد ابدى جلالة الملك اعجابه السامي بهذا الكشف وكرر تهنئة المسيو مونتيه ولاحظ جلالته ان المكان في جهة بعيدة عن المواصلات التليفونية والتلغرافية فأصدر امره الكريم بتوفير هذه الوسائل فيها وقد استغرقت الزيارة الملكية نحو ساعتين ثم ركب جلالة الملك وحاشيته السيارات الى قفوس . وفي الطريق توقف الركب قليلاً ريثما تناول جلالته طعاماً خفيفاً في الصحراء ثم استأنف الركب السير الى قطار الديزل حيث عاد جلالة الملك الى القاهرة

شركات بنك مصر

والمنشآت الصناعية والاقتصادية في مصر

تنشر مجلس الادارة لبنك مصر تقريره السنوي وقد خص الجزء الثاني بالكلام عن أعماله في خلال سنته المالية فدلت الأرقام التي سردها التقرير على استمرار تقدم هذا المعهد المالي الوطني وازدياد الثقة به ازدياداً أبلغ الودائع فيه الى مبلغ ١٥٠ مليون جنيه وأتم نطاق جميع أعماله مع أن البلاد تجتاز أزمة مالية واقتصادية اشد عسرها يبدو في كل مكان

ولا تزال شركات التي أسسها البنك آخذة في التقدم ولا سيما شركة المحلة الكبرى للغزل والنسيج وقد أكملت بانشاء مصانع لنسج الصوف والحرير فصار في طاقتها ان تجهز البلاد بجانب كبير من حاجتها الى هذه المنسوجات

ولقيت هذه المصانع بحق ما يضاعف عزمها من تفضل جلالة الملك بشراء بعض منتجاتها فكان ذلك نداء عمليًّا عالياً من جلالته الى الجميع بان يحذو حذوه ويؤيدوا هذه المصانع تأييداً فعليًّا

ولا يزال البنك ماضياً في سياسته الصناعية المطلوبة وهي درس المشروعات والتدقيق فيها حتى اذا أعدّ مدادها ووضع أساساً متيناً لها أقدم على مباشرتها بالهمة المأثورة عنه وبعد النظر

ومن هذه الشركات الجديدة شركة لمصر الزيت وصنع الصابون وهاتان صناعتان موجودتان في مصر فالمطلوب من الشركة الجديدة ان لا تقتصر على اخراج الصابون العادي الذي تخرجه المصانع الأخرى لان الاكتفاء بهذا وحده لا يليق بعظمة البنك ولا يساعي اقطابه . فالمطلوب اذاً هو الابتكار واخراج صابون مستوف للشروط التي يشترطها الناس في هذا العصر حتى تستطيع الشركة الجديدة ان تحل منتجاتها محل ما يأتينا من الصابون من أوربا . وقد عالج القلم هذا البحث واثبت ان جميع عناصر النجاح موجودة في مصر فليس هناك ما يمنع النهوض بهذه الصناعة القديمة الى المستوى الذي يليق بها والذي يتطلبه تقدم البلاد على نحو ما صنع السير لفر (لورد ليفر هيوم) الانكليزي صاحب مصانع صنلايت الكبيرة في بلاده

أما شركة المناجم والمحاجر فهذه يرجى ان تمكن البلاد من الانتفاع بمحاجر الرخام والمرمر التي في انحاء القطر كمنطقة احرام الجيزة وجبل بني سويف وأن تنشط صناعة استنباط المعادن ولا تزال هذه الصناعة القديمة في مستهل نهضتها الجديدة

وأما شركة الدخان فقد قال التقرير ان الغرض منها اعادة سمعة السجائر المصرية الى ما كانت عليه وهذا جهد محمود سيشمل نفعه المدخنين والتجارة المصرية ومصانع السجاير الاخرى نفسها بما يخلق فيها من نشاط لمجاراة هذه النهضة الجديدة

ويسرنا ان نقول اننا سنبدأ في الشهر القادم في نشر مقالات عن المنشآت الصناعية والاقتصادية الكبيرة في مصر نستهلها بمقالة عن قطنها طلعت حرب باشا وشركات بنك مصر

تحسين حالة الصحة في المدارس

جاء في اتباد الصحف اليومية ان اللجنة التي ألفها وزير المعارف برئاسة الدكتور حافظ عفيفي باشا لدرس موضوع تحسين الحالة الصحية في المدارس المصرية ولاسيما الأميرية منها فرغت من هذا الدرس ووضعت مشروعاً عرض على مجلس الوزراء فأحاله الى اللجنة المالية في وزارة المالية . فلما اطلعت عليه رفضت الاعتماد المالي المطلوب له وقدره ٣٥ — على ما قيل — الف جنيه وأيدت اقرار هذا الطلب

***

فاذا صحَّ الخبر وهو مستقى من مصدر علم كانت ما صنعته اللجنة المالية من أغرب ما سمع عندنا فقد أهزَّ الرأي العام في جميع طبقاته لما اطلع على ما أذاعته وزارة المعارف عن سوء الحالة الصحية في كليات الجامعة والمدارس الثانوية والأبتدائية وضجَّ ذوو الرأي في البرلمان وفي خارجه من وجود هذه الحالة وامكان استمرارها . وعمد وزير المعارف الى مواجهة الأمر فألفت هذه اللجنة من رجال أكفاء واختصاصيين منهم اطباء لدرسه والأشارة بما يحسن أو ما يلزم لوقاية النشء من عوامل المرض والضعف ورأى من جهة أخرى أن يتوسل بوسائل شتى لاستدرار المال من المحسنين وسواهم عسى أن يتوافر له مبلغ من المال يعين على الأصلاح . وحجة اللجنة المالية هي أن مالية الدولة لا تسمح باجازة هذا الأعتماد

غير ان الرأي العام يقاوم هذا القرار بسؤال او أسئلة فيقول اذا كانت مالية الدولة لا تسمح بما يلزم من مال لوقاية تلاميذ المدارس وتثقيفها فما الفائدة من انفاق بضعة ملايين في كل سنة على مدارس تخرج للأمة شباناً وشابات مزودين بالعلم والمعرفة ولكن تعوزهم الصحة والعافية وهما التاج الموضوع على رؤوس الاصحاء

***

واذا كان اعتماد هذا المال للغاية السامية التي يرادها غير مستطاع بسبب حالة الخزانة العامة فكيف تسوغ اللجنة المالية اعتماد المال لسيارات الوزراء وكبار الموظفين وسواهم وانفاق المال على الاوبرا وجوقات التمثيل الاجنبية ونحو هذا من الكماليات واي فائدة جنينا من انفاق اكثر من عشرين الف جنيه في السنة على اشتراكنا في جامعة الامم سوى تكليفنا جمع احصاءات واستيفاء معلومات الى آخر القائمة الطويلة التي تبذل فيها بدر المال على كماليات لا تكاد تذكر في جنب المطلوب هنا

***

ان الامر أجل من ان يفصل فيه بقرار اللجنة المالية هذا وعلى وزير المعارف ان يعيد الكرة ويصر على طلب المال والاَّ افسد سوء الحالة الصحية معظم الجهود المبذولة لنشر الثقافة واعداد شباب البلاد لما هو منتظر من العمل والجد الصحيح

خط أنابيب البترول
بين السويس والقاهرة

عرضت احدى شركات البترول العظيمة على الحكومة مشروعاً بمد خط من الانابيب يسيل فيها البترول من السويس الى القاهرة كخطي الانابيب اللذين مدا من شمال العراق احدهما الى حيفا والآخر الى طرابلس الشام من سواحل سوريا

وقد لقي هذا المشروع ارتياحاً في الدوائر الرسمية وهي تدرسهُ الآن بعد ما قبلتهُ مبدئيًا بوضع الشروط اللازمة. وقلنا كذلك ان مشروعاً كهذا عرض على الحكومة من سنوات فلم تقبلهُ ولأنها رأت فيهِ اجحافاً بايرادات سكة الحديد

فاما اصلح الطريق الصحراوي بين القاهرة والسويس صار في الامكان نقل الزيت ولاسيما البنزين بقاطيس كبيرة مركبة على سيارات ضخمة وألف الناس منظر هذه القاطيس وهي قادمة توافل من السويس تنقل البنزين الى مستودعاته في العاصمة

وقد صار توفير الوقود السائل من اركان الدفاع الوطني ولاسيما اذا تيسر لانابيا توسيع اتفاقها مع رومانيا على ما يستنبط من زيتها وتوجيههُ الى اسواق انابيا بدلا من بيعه للبلدان الاخرى وفي جملتها مصر كما هي الحالة الآن . وحيث ان معظم البترول والبنزين في مصر يؤتى بهِ من رومانيا فليس من سداد الرأي الاعتماد على مصدر واحد. بل من الحكمة تدبير مصدر آخر هو هذا الذي يكفله خط الأنابيب الجديد فيستطاع به نقل الزيت المجلوب من منابع شركة الانجلو برشان في بلاد ايران فان الزيت يسيل منها الى جزيرة عبادان بأنابيب فيتصفى هناك ويرسل الى الآفاق

وقد عرض على الحكومة من بضع سنوات مشروع لشراء النصيب الأوفر من سهم شركة بترول في العراق يؤتى بزيت تنابعها لمصر تقم يلق المشروع قبولاً من حكومتنا في ذلك الحين. وقد حمدنا بعض الغارمين يأسف الآن على ما مضى ويتمنى لو تيسر اعادة عرض المشروع عليها

بقي أن جهود شركة الأنجلو اجبشن فيلدس في منطقة الغردقة وما يليها على ساحل البحر الأحمر أسفرت عن نجاح فزاد مقدار ما تستخرج من الزيت الطبيعي الى ثلاثة أضعاف ما كان وصار المقدار الأسبوعي يجاوز ١٢ الف برميل وهذا يربي على ستمائة الف طن في السنة ولكن مصر محتاج الى أكثر من هذا المقدار للأعمال العسكرية والشؤون المدنية. أفلا تستطيع الحكومة أن توسع اتفاقها على توسيع نطاق البحث والتنقيب بعد ما عدلت شروط الترخص تعديلا ينشط الشركة على مواصلة العمل والمجازفة بما يلزم لجس الأرض من جهد في ومال

المياه الصحية في القرى

روت الصحف ان الدكتور حسن محمد عثمان مدير قسم الملاريا بوزارة الصحة وضع مشروعاً للمراحيض في القرى يوفر نحو مليوني جنيه في السنة وان الوزارة أرصدت مبلغاً لتجربة هذا المشروع الخ

ويتلخص هذا المشروع في التخلص من المواد البرازية في القرى بطريقة صحية وكيفية يسلامة موارد ماء الشرب من التلوث وللقضاء على جميع الامراض التي تنتقل فيها العدوى من هذه المواد كالكوليرا والتيفوئيد والدسنطاريا والبلهارسيا والانكلستوما

***

وجاء في المشروع انهُ يوجد بالقطر المصري أربعة آلاف قرية يسكنها ما لا يقل عن اثني عشر مليوناً من الريفيين تنتشر بينهم طفيليات معوية

ويرى الدكتور حسن عثمان ان انشاء مجارٍ عمومية في القرى في الوقت الحاضر غير مستطاع فضلاً عن انهُ يكلف الدولة نحو مائة مليون جنيه ولذلك وضع نموذجاً لمرحاض قروي يمكن بواسطته تحويل المواد البرازية الى سماد من غير ان يتكلف القروي نفقات ماء ، بل بالعكس فان قيمة السماد الذي ينتج من هذه المواد يبلغ في السنة نحو مليوني جنيه

ولما كان هذا المشروع من المشروعات التي تهم السواد الأعظم من أهالي القرى فسنأتي على تفاصيله في عدد قادم لضيق المقام اليوم

مادة كيمياوية كالتور الجنسي

في كثير من النباتات والحيوانات مادة كيمياوية تدعى ترايميلامين Trimethylamine وقد أثبت البحث العلمي على يدي الاستاذ لاسكو هاقاس بجامعة روكسل حديثاً ان لهذه المادة فعلاً فسيولوجيًّا شبيهاً بفعل التور الجنسي (أو الشبق sex-hormone) هذه المادة شديدة الفعل حتى ولو جلت في ٢٥ الف ضعفها الى ٦٠ الف ضعفها من الماء

فاذا حقن نصف أوقية من هذا المحلول في جذوع نبات الطاطم زاد عدد زهراته ٢٢ في المائة واذا رضت الضفادع في محلولها ، طرحت جلدها استعداداً للمزاوجة مع انقضاء ثلاثة اشهر على فصل المزاوجة

وقد عولجت حيوانات اخرى من القوارب (امفيبية) غير الضفادع ، فكان تأثير هذه المادة فيها واحداً من حيث أيقاظ الغرائز الجنسية الهاجعة فيها

ولكن المادة سامة ، ولذلك اضطر الباحثون لوقف التجربة بعد ايام لكي لا تصاب الحيوانات بضرر

التفصي في قالب جديد

أمام مسرحية « كنت هنا قبلاً » في الادوار الملكية

بريستلي من أدباء الانكليز المعاصرين جمع بين التفوق في كتابة « القصة » والتفوق في كتابة « المسرحية » وليس الجمع بينهما بالشيء العادي المألوف في أديب واحد فنفحنا في ميدان القصة بكتابه المشهورين «جود كوما بنز» و « الجيل يفنت». أما مسرحياته فقد أحرزت رواجاً عظيماً ولكنه لم يكتف بالأسلوب الرائج بعد اتقانه فكان يمعد الحين بعد الحين الى وضع مسرحيات يطوبها على أفكار أو آراء فلسفية اجتماعية غير مألوفة ومسرحية « كنت هنا قبلاً » من هذا القبيل . وهي تدور على « معرفة المستقبل » وهل في النفس الأنسانية ما يمكنها من معرفته والتحكم به وهي فكرة قريبة من فكرة أخرى له في مسرحية سابقة اذ شبه الأنسان بملاح زورق في نهر وصل الى منعطف فيه فاستطاع من مكانه أن يرى ما اجتازه من النهر من ناحية . وما لا يزال أمامه . فكأنهُ يرى الماضي والمستقبل في آنٍ

الاَّ ان الفكرة الفلسفية ليست بحثاً مملاً في حوار يضني سامعهُ بل هي شائعة في مسرحية محبوكة الحوادث فيتبين المشاهد ما يريده المؤلف من تتبع حوادث المسرحية وأحوال أشخاصها ومن بعض الأقوال الفلسفية التي تتخلل الحوار

وبريستلي في مسرحيته هذه واقع تحت تأثير القائلين بأن الكون يسير في دوائر معادة متشابهة وأن ما يقع من التغير فيها يرجع الى « تدخل » مشيئة الأنسان . والذين يؤمنون بالمعرفة والمشيئة يستطيعون أن يجعلوا من هذه الدوائر لولباً مرتفعاً الى فوق والذين تعوزهم هذه النعمة تتحول الدوائر فيهم الى لولب متجه الى الدرك الاسفل فالبوار

والمسرحية تدور حوادثها في حانة قديمة في الريف الانكليزي ويسيطر على أشخاصها من رجال ونساء شخص رجل غريب الاطوار يدعى الدكتور جورتلر وقد مثله الممثل لويس كاسون ابدع تمثيل وهو الذي مثله عندما اخرجت الرواية في لندن اولاً

في الحانة صاحبها واسرته ينتظرون زواراً . واذهم منتظرون يدخل عليهم الدكتور جورتلر ويسألهم هل الزوار الذي ينتظرونهم شاب وزوج وزوجته فيجيبون بأنهم . ولكن ما يقع فعلاً هو ان الزوار المنتظرين يعتذرون عن المجيء ويجيء غيرهم وفقاً لوصف الدكتور مع انهُ لم يكن على علم مادي بذلك قبلاً . ومن ثم تبتدىء حوادث الرواية في التابع . وجورتلر يعيث في جوها معنى خفيًّا . فهو يقول ما يدل على انهُ عارف بما سيحدث لهؤلاء الناس . وذلك على قوله وفقاً لحلم رأى فيه ما يتوقع حدوثه او لان المتوقع يشبه حادثاً حدث قبلاً فتذكره اي ان حوادث المستقبل شبيهة — بحسب رأي الدورة في الكون — بما حدث في الماضي

واذن فمعرفة المستقبل من قبيل التذكر. وعندما ترتسم في افق حياة هؤلاء الناس صورة المأساة وفقاً لما يتوقعهُ جورتلر — او ما يتذكره — بين لهم رأيه في امكان التدخل ومنع ما ينتظر حدوثه ثم يتخذ من هذه الخطوة اتكاءً الى السمو بالحياة الى افق اعلى

فسرحية « كنت هنا قبلاً » تعد غريبة في الفكرة التي قامت عليها واطوار اشخاصها ولا سيما الدكتور جورتلر ، ولكنها تفتح أمام العقل ابواباً كثيرة التأمل

الكشفيات الاثرية

تؤيد الأقوال الكتابية في الاسفار المقدسة

أثبت علماء الآثار ان جنسي الذكور والاناث في مصر الفرعونية كانا يتحليان بالحلي على السواء . وان تلك الحلي كانت تغدق عليهما من لدن الملك، رمزاً لرضائه عنهما . وأمامنا في المؤلف الانكليزي النفيس الحديث المسمى « تاريخ التوراة » الذي تنقل عنهُ هذه الانباء صورة ضوئية منقولة عن رسم زيتي أُري في حيطان مدافن تل العمارنة ، تذكاراً لانعام أخناتون (الملك الذي حكم مصر في سنة ١٣٧٥ قبل الميلاد) على احد كبار موظفي بلاطه وعقيله بسلسلتين من الذهب

وجاء في الكتاب المقدس من عدد ٤١ الى ٤٤ بالاصحاح ٤١ من سفر التكوين ما يأتي :

ثم قال فرعون ليوسف « انظر قد جعلتك على كل أرض مصر . وخلع فرعون خاتمه من يده وجعلهُ في يد يوسف وألبسه ثياباً من كتان . (وقد سمي في الكتاب المقدس بالبوص) ووضع طوق ذهب في عنقه . وأركبهُ في مركبته الثانية ونادوا أمامهُ ، اركعوا . وجعله على كل أرض مصر . وقال فرعون ليوسف : انا فرعون فبدونك لا يرفع انسان يده ولا رجله في كل ارض مصر

وقد عثر علماء الآثار ايضاً على صورة زيتية مرسومة على حيطان احد مدافن بني حسن ، من عهد الاسرة الثانية عشرة الفرعونية تمثل البدو الساميين ، قادمين مصر يحملون المرّ والبهارات والعسل واللوز والكُندُر « لبان الذكر » وهدايا من حيوانات القنص ، الى حاكم الصحراء الشرقية في عهد سنوسرت الثاني Sunusret II في سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد

وقال الكتاب المقدس في هذا الصدد

فقال لهم اسرائيل أبوهم خذوا من افخر جنى الارض في أوعيتكم وانزلوا للرجل « يقصد يوسف ابنه » هدية قليلا ، من البلسان [1] وقليلاً من العسل وكثيراء ولاذناً وفستقاً ولوزاً. وخذوا فضة اخرى في أياديكم . والفضة المردودة في أفواه عدالكم ، ردوها في اياديكم لعله كان سهواً . وخذوا أخاكم وقوموا ارجعوا الى الرجل . والله القدير يعطيكم رحمة امام الرجل حتى يطلق لكم اخاكم الآخر وبنيامين . تكوين اصحاح ٤٣ اعداد (١١ ـ ١٤) والمقصود بالبلسان كما حققهُ العلماء المصريون «المصطكى»

أمل جديد

لمناسبة اليوبيل الفضي لاكتشاف الانسولين

قالت مجلة العلم الاميركية ما يأتي :—

قد يحل عصير الكرنب الأخضر الحقير ، محل الانسولين الخطير في علاج مرضى البول السكري . وذلك بناء على تقرير نشره عالمان انكليزيان ، ورأيا فيه ان خلاصة الكرنب معوان للجسم على هضم السكر الذي يدخله . وهو العمل الذي يعمله الانسولين عند ولوجه البدن حقناً تحت جلد المريض

وجاء في كتاب الصناعات والصناع المطبوع في القاهرة سنة ١٩٢٧ في باب العدد ما يأتي:

وبقرب المعدة أيضاً غدة كبيرة تسمى البنكرياس . وهذه تولد عصارة تسمى العصارة البنكرياسية وهي تفرغ في المعى بواسطة قناة. أما الغدد ذات القنوات فبعضها يفرز مفرزات داخلية، عدا ما يسيل من قنواتها . ومنها غدة البنكرياس التي لعصارتها تأثير عظيم في تغذية الجسد من مقدار السكر الطبيعي الموجود فيه. بحيث اذا اعتراها اي خلل فلم تستطع القيام بهذه الوظيفة ، أصيب الانسان بمرض البول السكري

وروت مجلة طبيب العائلة الانكليزية في هذا الموضوع ما يأتي :—

اكتشف الأنسولين ، وهو الخلاصة البنكرياسية التي تصون حياة المرضى، بداء البول السكري ، سنة ١٩٢٢ ، بيد ان من مساوئه المشهورة ، وجوب حقن الجسم به تحت الجلد مباشرة ليتصل الدم وأسرع دون تبدد بسحبه في الجهاز الدموي . ومن غريب أمر أولئك المصابين أن أغلبهم لا يزعجون من تواتر غرز إبر محاقن الأنسولين في جلودهم على الدوام. اذ هم يفضلون ذلك على الأحوال السيئة التي كانوا يكابدونها قبل تناولهم ايده

***

ولم يتقشر العلماء في جميع انحاء العالم في استكشاف مادة طبيعية ايًّا كانت، لتقوم مقام الأنسولين بحيث يستطيع المريض ، جرعها فتغنيه عن عذاب محاقن الانسولين ، على أن ينتفع بها انتفاعه بالانسولين ، وقد توغل الباحثون في نواحٍ كثيرة ، باحثين في جميع ضروب المواد ، ومنها خلاصة جذور البصل ونخالة الزبير والخميرة والتين الشوكي !! حتى هداهم بحثهم حديثاً الى الكرنب الاخضر اذ نجح عالمان في تشيكوسلوفكيا في استخراج خلاصة قوية جداً منهُ تشبه الانسولين . غير ان الوسائل الحالية التي توسلا بها الى استخلاصها تقتضي استهلاك عدة أرطال من الكرنب يوميًّا ، صوناً لحياة مصاب واحد بالبول السكري . وربما يفضي هذا الى اختراق هذه الطريقة ، ولكنا واثقون كل الثقة بأنهُ ستحل عما قريب ، مكتشفات أخرى عوناً للمصابين بذلك الداء الوبيل . اما الانسولين فليس له نظير حتى الآن

عوض جندي

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الرابع والتسعين

٣٨٩ الحجرات — الأساس العلمي للمتحجرات الحديثة

٣٩٤ اغنية الجندول في كرنفال فينيسيا (قصيدة) : لعلي محمود طه المهندس

٣٩٧ جامعة فؤاد الاول تستقبل جلالة الملك فاروق الاول

٤٠١ الأساليب العملية في زراعة النبات بغير تراب

٤٠٥ خليل مطران شاعر العربية الابداعي : للدكتور اسماعيل احمد ادهم

٤١٩ علاقة الانتاج الزراعي بتغذية الشعب : لحسين عثمان بك وكيل وزارة التجارة

٤٢٦ مشكلة السكان : للدكتور شريف عسيران

٤٣٣ كيف تتقي حالات الاسهداف الحرية

٤٣٦ انواع النسيب والتشبيب في شعر العرب : لعبد الرحمن شكري

٤٤٥ ابن بدر وكتابه النفيس : لفدري حافظ طوقان

٤٤٩ مفردات النبات بين اللغة والاستعمال : لمحمود مصطفى الدمياطي

٤٥٢ المائس الثائر (قصيدة) : لمحمد عبد الغني حسن

٤٥٣ العدد الصم : لحسن السلمان

٤٦٧ الطاقة الذرية — اطلاقها بأسلوب جديد بارع

٤٦٩ المروءة مصدر سطوي : للدكتور بشر فارس

٤٧٢ الروابط القديمة بين بلاد العرب والقطر المصري : للدكتور حسن كمال

٤٧٧ سير الزمان * الفلسفة الماركسية في الاجتماع والسياسة والاقتصاد : لعلي ادهم

٤٨٣ حديقة المقتطف * الترين : لشاعرة هارييت مونرو . الادب الفارسي وخدمة الوطنيين له في الهند : للسيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي

٤٩٣ باب المراسلة والمناظرة * بين البطريرك يؤنس الخامس وملكي مصر والحبشة. حول مقال (خليل مطران) . حول ترجمة فتى العصر وهكذا تكلم زرادشت . تصحيح خطأ

٥٠٦ مكتب المقتطف * الحركة الادبية في سوريا ولبنان . الدكتاتورية في العصور المختلفة . الجيش المصري في عهد محمد علي باشا الكبير . معلقة الاوز . الاطلال . قناع فاروق الاول . دليل موجز لمروضات دار الآثار العربية . أساليب الاجرام في مصر

٥٠٧ باب الاخبار العلمية * الكشف الاثري الجديد . شركات بنك مصر . تحسين حالة الصحة في المدارس . خطأ انابيب البترول . الحالة الصحية في القرى . مادة كيماوية كالفتور الجنسي . القمص في قالب جديد - المكتشفات الاثرية . امل جديد

الطائرة الامريكية « ياكي كير »

(راجع مقال « اسطول الشرق الجوي فوق البحر الابيض المتوسط » صفحة ٥٢٦)